

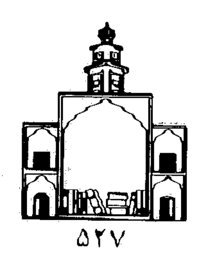
٥٢٧



الممسوخ

الأستاذ السيد طالب الخرسان

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة



الإسلام السعودي الممسوخ

تأليف

الأستاذ السيد طالب الخرسان

مؤسسة النشر الإسلامي
(التابعة)
لجماعة المدرسين بقم المشرفة (إيران)

الكتاب: الاسلام السعوديّ الممسوخ

المؤلّف: الاستاذ السيّد طالب الخرسان

الموضوع: سياسة **اللغة:** عربي

عدد الأجزاء: جزء واحد **عدد الصفحات:** ٢٣٢

الناشر: مؤسّسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

الطبع: مطبعة مؤسّسة النشر الاسلامي

الطبعة: الأُولىٰ **المطبوع:** ٣٠٠٠ نسخة

التاريخ: ١٤٠٩ هـ.ق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير رسله وأكرم بريّته محمّد وأهل بيته المعصومين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أعداء الدين.

وبعد، فإنّ أخطر مامُنيت به الأُمّة الإسلاميّة قديماً وحديثاً هوالانحراف في جانب العقيدة وعدم الفهم الصحيح والشامل لمبادىء ومفاهيم الإسلام، وهذا قدأدّى ـ وفي حقبات تاريخيّة ـ إلى نتائج خطيرة أدّت إلى فقد الأُمّة هويّتها وأصالتها، إذ قد لايكون من الصعب تكوين نظرة ولو مشوّشة عن الإسلام وماجاء به من مفاهيم ومبادىء وقيم، ولكن من الصعب جدّاً أن تكون تلك النظرة سليمة عن الانحراف ومطابقة لشريعة السماء ومن هذا نرى الحكّام والسلاطين وأتباعهم يعملون جاهدين ويركّزون على إخفاء الحقائق وتشويش المفاهيم وتطعيمها بما يروق لهم ولسياستهم، حتّى أدّى ذلك إلى إلباس الدين لباساً جديداً يُغاير دين محمّد صلّى الله عليه وآله في الحقيقة والمضمون ويشابهه في الشكل والصورة، ولذا وقف الأئمّة الهداة عليهم السلام ـ وعلى نهجهم العلماء الأبرار رحمهم الله ـ موقفاً شديداً وحازماً للوقوف بوجه تلك التيّارات الباطلة لإرجاع الأُمّة إلى إسلامها الصحيح وبيانه على ماهو عليه خالياً من الشوائب ونقيّاً من الزوائد والنواقص، وكانوا يصحّحون الفهم الخاطئ الذي يسري إلى الناس من هنا وهناك.

إنّ هذا الكتاب بيّن جانباً ممّا قامت به الوهابية ويلقي الضوء على الأساليب التي انتهجتها لترويج مذهبها وعقائدها كي يتعرّف القارئ الكريم على ذلك ويكون على بيّنة من أمره ولئلاّ ينخدع أحد بأباطيلهم وحيلهم.

وقدقمنا ـ والحمدلله ـ بطبعه ونشره سائلين سبحانه وتعالى أن يوفّقنا والاستاذ المؤلّف لخدمة الاسلام والمسلمين وأن ينفع بهذا الكتاب روّاد الحقيقة، والله من وراء القصد.

مؤسّسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بـ «قم المشرّفة»

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الى/ شهداء مكّة المكرمة الذين خطوا في درب الجهاد، وقالوا: ربّنا الله، فأبى الكافرون ذلك النداء، فسلّطوا حرابهم وسياطهم لإخماد ذلك الصوت وقتله. فلم يرجعوا إلّا بالشهادة تحت سياط الجلّادين وحراب الطواغيت. دون أن يتنازلوا عن ذرّة واحدة من ايمانهم ومبادئهم التي آمنوا بها، وسعوا في سبيلها. شهادة فريدة سجلوها في قائمة الخالدين الرساليين.

الى/ أبناء ايران الإسلام، الذين تقاطرت دماؤهم لتزرع محلّ كلّ قطرة سقطت شهيداً، يرفع علم الإسلام خفّاقاً.

الى/ الذين سطروا صفحات التاريخ الناصعة، وأصبحوا قمماً شمّاء في دنيا الفضيلة والمجد، وقليلون أُولئك الذين يحبّهم الله ويغشيهم برحمته وظلّه يوم لاظلّ إلّا ظله.

الى / النموذج الرائع الذي يقدّمه الإسلام لكلّ الأجيال البشرية، الثائرة على الظلم والجور والطغيان، وفاءً لموقفكم من البراءة من المشركين.

أُقدّم هذه الصفحات.

طالب الخرسان

تقـــديم

بقلم

الشيخ مهدي الفتلاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

لم تشهد الأُمة الإسلامية في تاريخها الطويل هجمة، أشدّ شراسة من أعدائها، كالهجمة العدوانية الشرسة التي تشهدها في الوقت الحاضر.

فالهجمة المعاصرة هجمة عدوانية حاقدة، ذات أبعاد عالمية ودوافع مختلفة، ولها أشكال وصور متعدّدة، سياسية وفكرية، إعلامية واقتصادية وعسكرية، تقف وراءها وتخطّط لها وتموّلها دول الاستكبار العالمي (اليهودية والصليبية) كلّ ما تملك من قدرات مادية، وأدمغة تخطيطية، وخبرات سياسية، وينفذ خططها وفصولها العملاء الصغار من عرب الجاهلية الجديدة وغيرهم في العالم الإسلامي بكلّ طاعة وإخلاص.

أما لماذا شنّت هذه الهجمة على الأُمة الإسلامية في هذه الحقبة من التاريخ بالذات، وبهذه الصورة العالمية المتعدّدة الأدوار، فهذا السؤال نقرأ جوابه واضحاً في سطور نورانية في جبين التاريخ المعاصر للإنسانية، سطور خطتها بالتضحيات والدماء قبضات المجاهدين والشهداء من أبناء الأُمة الإسلامية في ايران الإسلام.

ولست أُبالغ إن قلت: إنه لم يتلقّ الاستكبار العالمي المستعبد للشعوب المستضعفة، ضربة موجعة، أصابت مخّ تفكيره السياسي، وأدمت جسمه المترامي في العالم الإسلامي، كما تلقّى على يد الإمام الخميني قائد الأُمة الإسلامية ومفجر ثورتها العملاقة في ايران الإسلام.

وفي ضوء هذا الواقع المرير، تشهد سياسة الاستكبار العالمي وهي تنظر بعيون دامعة، تهاوي عروش عملائها، وتبصر بيأس وخيبة أمل ذليلة خطرالصحوة الخمينية التي باتت تهدّد مصالحها في العالم كلّه. ولما كانت أمريكا الشيطان الأكبر، أكثر دول الإستكبار العالمي تضرراً من الثورة الإسلامية في ايران، لهذا اندفعت لمواجهة الصحوة الإسلامية العالمية بعقلية جنونية، وبسياسة إرهابية، وبروح عدوانية حاقدة، مرتكبة بحقّ المسلمين في ايران والعراق، ولبنان والحجاز، ومصر وتونس، وغيرها من دول العالم الإسلامي العديد من الجرائم الوحشية بصورة وقحة سافرة، متمرّدة بذلك على الأعراف الإنسانية والقوانين الدولية.

ومن هذا المنطلق كان من الطبيعي والمتوقّع أن تحرف هذه السياسة الغبية الحمقاء أوراق الشيطان الأكبر، قبل أن تحقّق أيّ شيء لصالح البيت الأسود في العالم الإسلامي مادام الخيار فيها ليس للعقل والحكمة، وإنما للجنون والإرهاب والأحقاد.

إن اندحار قوات «المارينز» الأمريكية والفرنسية في لبنان، وفشل معاهدة السلام بين إسرائيل ولبنان، وانكشاف حقيقة النظام السعودي العميل المتستّر بالإسلام لمئات الآلاف من الحجاج الذين شاهدوا بأمّ أعينهم إخوانهم المسلمين الايرانيين الأبرياء وهم يتساقطون صرعى على الأرض المقدّسة بالرصاص الأمريكي لهو أكبر دليل على صحة هذه التوقّعات لمستقبل السياسة الأمريكية في العالم الإسلامي، وستؤكّد صحة هذه التوقّعات نتائج الحرب البعثية الأمريكية ضدّ ايران الإسلام، وكذلك التدخل العسكري للاسطول الأمريكي في الخليج.

وليس من باب المبالغة أو السخرية إذا أطلقنا على السياسة الأمريكية المعاصرة اسم «المسرحيات السياسية المضحكة» نتيجة لارتباكها نفسياً،

وفقدانها لصوابها عقلياً، ولضياع حساباتها سياسياً، وفشل جميع مخطّطاتها دولياً، في محاولاتها المتكرّرة لمحاصرة الثورة الإسلامية في ايران، والقضاء على الصحوة الإسلامية الخمينية العالمية.

ومن المسرحيات السياسية الأمريكية المضحكة في هذا العصر تلك التي تخدم حركة االصحوة الإسلامية العالمية، وتعزّز الثورة الإسلامية في ايران!! فلو أراد المسلمون بذل ملايين الدولارات وإقامة مئات المؤتمرات وتأليف عشرات المجلّدات لكشف واقع السياسة الوهابية المنحرفة في الحجاز، وفضح هويتها الإسلامية المزيّفة، لما استطاعوا أن يحقّقوا نجاحاً عالمياً كبيراً كالنجاح الذي حقّقته لهم أمريكا في هذا المجال، حينما دفعت بعملائها من أُسرة آل سعود لارتكاب أبشع مجزرة دموية عرفها التاريخ، في أقدس أرض إسلامية، وعلى مرأى ومسمع مئات الأُلوف من الحجاج المسلمين في مختلف أنحاء العالم.

فهل أصبحت أمريكا متديّنة حقّاً! وتخلّت عن الإسلام السعودي فأرادت أن تفضحه أمام العالم الإسلامي، أم أنها مسرحيّات سياسية مضحكة تورّطت بها من حيث لا تشعر؟!

إن الأمريكان أعداء تاريخيون للإسلام لأنهم يهود وصليبيّون حاقدون، ولكنهم أعداء أغبياء حمقىٰ والحمدلله الذي جعل أعداءنا حمقىٰ على حدّ تعبير الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ولو لم يكونوا حمقىٰ لاتّعضوا بتجاربهم السياسية الكثيرة المرّة داخل ايران، حينما جرّبوا كلّ الوسائل والأساليب لضرب الثورة الإسلامية من الداخل فلم يحقّقوا أي نتيجة إيجابية تذكر لصالحهم، وأخيراً استخدموا عملاءهم المنافقين للقضاء علىٰ الثورة من خلال القضاء على رجالها، فقتلوا في يوم واحد أكثر من سبعين رجلاً كانوا من أبرز أركان الثورة ومن قادتها المعتمدين المعروفين، ولكن ماذا حدث للثورة؟ هل تصدّعت؟ هل تزعزعت؟ هل تراجعت الى الوراء؟ هل استجابت لضغوط

أمريكا؟ هل تخلّت عنها الجماهير؟

إن أمريكا تعرف جيّداً الجواب على هذه التساؤلات. ولكن لا أدري هل تعرف بأنها في سياستها الوحشية الحاقدة هذه قد قدّمت خدمة كبيرة للثورة، حيث بلورت مفاهيمها وركّزت مبادئها في نفوس الجماهير أكثر فأكثر، وكانت النتيجة أن انهزم عملاؤهامن الساحة إلى غير رجعة، حينما شاهدوا بأُمّ أعينهم التفاف الجماهير حول قيادتها، وعدم تخلّيها عن ثورتها، حينما واجههم الإمام الخميني قائد الثورة بموقف صلب، وكلمات قوية حطّمت كلّ آمالهم على صخرة اليأس قائلاً لهم: «اقتلونا، اقتلونا، فإنّ امّتنا بقتلكم لنا تزداد وعياً ويقظةً وصبراً وصموداً أكثر فأكثر..».

إن أمريكا وعملاءها المنافقين ومن دعاة الجاهلية الجديدة، يريدون أن يطفئوا بأفواههم النور الإلهي المتفجّر في إيران الإسلام، والذي أخذ يشعّ هدىً ورحمة بأنواره علىٰ دنيا المستضعفين والمشرّدين والمظلومين في العالم.

إنهم حقّاً أغبياء فأنّىٰ لهم القدرة علىٰ إطفاء هذا النور الإلهي الذي استقطب مشاعر الملايين من المستضعفين في العالم وملأها ولاءً لقائدها الإمام الخميني، ودفعها للتعلّق بمبادئه بلهفة وشوق، وبروح عقائدية ومبدئية ثابتة.

فهل يتمكّن هؤلاء جميعاً من إطفاء نورالثورة الإسلامية بأفواههم؟ وأنّىٰ لهم ذلك وهو نور ربّاني يسري في النفوس المتعطّشة للإيمان بطريقة ساحرة خفية فيضيئ مصابيح العقول المؤمنة ويهديها إلى سواء السبيل، ويأخذ بمجامع القلوب الصادقة فيشعلها لهيباً وحبّاً لله سبحانه، ويملأها شوقاً للّقاء به وعشقاً للشهادة في سبيله.

هل يتمكّن هؤلاء من إطفاء نور الثورة الإسلامية؟ وهو نور إلهي يشدّ الناس إلى عقيدة الفطرة من داخل كيانهم وضمائرهم بكلّ يسر وسهولة.

نعم وعدالله سبحانه الأُمة الإسلامية بإتمام نوره لها، وبإظهار دينها الحقّ

على أديان الباطل كلّها على الرغم من كراهية اليهود الكافرين والنصارىٰ المشركين لذلك، وعلى الرغم من مؤامراتهم العالمية ومكائدهم العدوانية المستمرة ضدّ الإسلام فقال سبحانه: «يريدون ليطفئوا نورالله بأفواههم، والله متمّ نوره ولوكره الكافرون، هوالذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولوكره المشركون»(١).

إنه الوعد الحقّ من الله تعالىٰ الذي لايخلف الميعاد، فلابدّ أن تشهد الأمة الإسلامية في مستقبلها القريب على ضوء هذه الحتمية الالهية سقوط جميع الطواغيت والمستكبرين في العالم كلّه، وهزيمة كافّة الأديان الباطلة والأنظمة الوضعية الظالمة في العالم، وإقامة حكومة العدل الإلهي العالمية.

ولابدَّ أن تكون لهذا الوعد الحق مقدماته الموضوعية وأسبابه الطبيعية، ولابدَّ أن تكون هذه الثورة الإسلامية المباركة هي من إحدىٰ أهم تلك المقدّمات والأسباب، وهذا ماتدلّ عليه طبائع الأشياء بالوجدان مع غضّ النظر عن الدليل والبرهان. ومن هنا فإن الوقوف مع خطّ الثورة الإسلامية في ايران يعني بالتأكيد الوقوف مع الحتمية الإلهية الموعودة من خلال الوقوف مع ركائزها الموضوعية المتحرّكة على أرض الواقع.

ومن هذا المنطلق، منطلق الشعور بالمسؤولية التي لا ترىٰ غير النهج الخميني بديلاً صالحاً لمقارعة الطواغيت، وكشف عملائهم الأقزام الأذلاّء، سجّل الكاتب الإسلامي المبدع الاستاذ طالب الخرسان في هذا الكتاب صوراً أدبية رائعة، وحقائق علمية ناصعة في أُسلوب بياني ودليل برهاني متناسقين، سلّط الأضواء من خلالها على حقيقة السياسة السعودية والديانة الوهابية المتسترة بالعباءة الإسلامية. فأبرز الحكم السعودي في الحجاز عارياً من كلّ غطاء، خالياً

(١) سورة الصف/ آية ٨ و٩.

من كلّ رتوش، وطرحه للآخرين كما هو، ليصدروا حكمهم عليه، بعد أن حاكمه بصدق اللهجة وقوة الحجة مبتغياً بذلك الدعوة الى الحق، والحق أحق أن يتبع.

والأستاذ الخرسان كاتب إسلامي كبير، وإن لم تعرف دور النشر كتاباته، وهو كذلك أديب متمرّس ضليع، وإن لم تعرف المحافل والمكاتب أدبه وشعره.

فقد وقفت بنفسي على أكثر من عشرة كتب مخطوطة له، لم تر النور بعد، وهي بين موسوعة علمية ضخمة، وكتاب في مجلدين، وكتب في موضوعات متعدّدة، ورسائل صغيرة في مجالات مختلفة. أسأل الله تعالىٰ ان يوفّقه لنشرها جميعاً.

وفي الختام أترك القارئ الكريم يدلف إلى جوّ الكتاب، يتنسّم عبيره، ويقطف من ثماره، ويحمل رسالته إلى سائر الناس. كما أرجو من الله تعالى أن يوفّق مؤلّفه ـ أخي الكبير ـ الى المزيد من العطاء الأدبيّ والعلمي لخدمة الإسلام والمسلمين.

والحمدلله ربّ العالمين.

الشيخ مهدي الفتلاوي

حرّر في ٣/ربيع الثاني /١٤٠٨هـ.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله القائل: «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»(١) وأُصلّي وأسلّم على رسول الله وعلى آله الطاهرين القائل: «إذا ظهرت البدع في أُمّتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله» (٢).

وبعد: لمّا كانت الدول الغربية العريقة في الاستعمار ترى في الشرق الإسلامي لقمة سائغة لابدّ من السيطرة عليه لاستغلال خيراته واستعباد شعوبه واستثمار مواقعه الإستراتيجية. ولما كانت شعوب هذا الشرق من الشعوب التي لا تقهر فقد رأت حفاظاً على مصالحها الإستعمارية أن تقيم جماعات غريبة عنه.

ولذلك لم تكن عملية إقامة الكيان السعودي في الشرق اعتباطية أو بطريق الصدفة وإنما كانت عن خطّة مدروسة موضوعة مسبقاً في المخطّط الإستعماري الضخم. ونحن بدورنا لم نظلم أحداً حيث إستطعنا أن نثبت ذلك بأقوال الساسة الانكليز أو الأمريكان أو الصهاينة الرسميين. وليس أصدق من ذلك مما قاله «بيفن» رئيس الوزارة البريطانية أمام مجلس العموم في إحدى خطبه: «إن آل سعود منسجمون معنا في السياسة المرسومة ضدّ العرب والمسلمين عن

---

(١) سورة الأنفال/ آية ٣٠.

(٢) الكليني «الكافي» ج ١ ص ٥٤.

طريق فلسطين والقضية اليهودية» (١)وقال ترومان: «إنني اعاهد نفسي على شدّ أزر آل سعود حتى يصبحوا قادة العالم العربي والإسلامي» (٢)وقال تشرشل: «إنّني مغتبط بحبّ آل سعود... وإن العالم العربي والإسلامي سيؤيّد من كلّ قلبه قيام مملكة آل سعود في الحجاز وسيعتبر ذلك انتصاراً عظيماً للحقّ والعدل» (٣).

ومنذ أن قامت مملكة آل سعود في قلب العالم الإسلامي، نراها أداة طيّعة وفعّالة في خدمة السياسة الأمريكية ومصالحها في المنطقة. وبالمقابل فإن أمريكا بكل طاقاتها البشرية والمادّية هي في خدمة السياسة السعودية ومصالحها.

كيف التقى القزم السعودي مع العملاق الأمريكي لخدمة هذا الهدف المشترك؟ أي تبادل العمالة لتدعيم نفوذ كلّ من الدولتين وفرض سياستها ومصالحها على دول وشعوب المنطقة؟! الجواب سهل و واضح.

أمريكا بدأت في أعقاب الحرب العالمية الأولى تهتم بمنطقة الشرق الأوسط بصفة عامّة وبالمنطقة الإسلامية بصفة خاصة لسببين رئيسين هما:

١- الموقع الإستراتيجي المتميّز للمنطقة باعتبارها همزة الوصل بين الشرق والغرب.

٢- ظهور البترول في مناطق كثيرة من الشرق الأوسط وأفريقيا وخاصّة في منطقة الخليج. وهو عامل لايمكن إهماله أو الغضّ من قيمته، إذ أنه من البديهي أن تكون المصالح الإقتصادية هي الهدف الأول والرئيسي للمصالح الامبريالية.. بالإضافة إلى مايعنيه البترول للدول الصناعية- وخاصّة أمريكا-

---

(١) في يوم ٢٦ شباط ١٩٤٧م، جون ماريو «مجلس بيلا تس» ص١٩٩.

(٢) دفيد ستاملر «كواليس المأساة» ص١٨٩.

(٣) صحيفة «الغارديان الحرة» ديسمبر عام ١٩٢٨م بقلم الكاتب «شسترتون».

من أهمّية بالغة حتى لقد قال الزعيم الإنكليزي «تشرشل» خلال الحرب العالمية الثانية مانصّه: «إن من يملك بترولاً أكثر يملك قدرة أكبر على النصر»(١) ذلك أن البترول هوعصب الحرب والسلم معاً!.

ولكي تحقّق أمريكا مصالحها في منطقة الشرق الأوسط، كان لابدّ لها من عملاء.. وعملاء الدول في العادة ليسوا أفراداً بل دول أصغر تعيش على خيرات الدولة الكبيرة وتنضوي تحت لوائها ونفوذها وتنفّذ مخطّطاتها في المنطقة لتضمن لقمة العيش والأمان والحماية عند اللزوم.

لقد كانت أمريكا أول دولة اعترفت بالسعودية(٢) وحثّت غيرهامن الدول على الإعتراف بها، ولهذا أيضاً كانت المساعدات الأمريكية التي قدّمت للسعودية منذ إنشائها حتى نهاية عام ١٩٨٧م تبلغ عدّة أضعاف ماقدّمته الولايات المتحدة إلى جميع دول القارة الأفريقية مجتمعة خلال نفس المدّة.

وفي مقابل هذه المساعدات المادّية والمعنوية حدّد للعميل السعودي دوره في المنطقة وهو الدور الذي رسمته وخطّطت له وكالة الإستخبارات الأمريكية بالإتفاق مع لجنة الأمن القومي الأمريكية، وهذا الدور يتركّز في النقاط التالية:

١ـ أن تمارس السعودية دوراً مدروساً لتشويه الإسلام من خلال تحريف مبادئه، ومسخ صورته تطبيقياً لإعطاءِ صوراً كريهة عنه لشعوب العالم.

٢ـ أن تمارس السعودية دوراً مشبوهاً لإشعال نار الفتنة الطائفية بين الشيعة والسنة للحيلولة دون وحدة كلمة المسلمين التي يخشاها الإستعمار أكثر من أيّ شيءآخر، وذلك عن طريق وعّاظ السلاطين والصحف والكتب التي

---

(١) نورمان بنتويتش «بعث إسرائيل» ص١٦٧.

(٢) وولترايتان «السنوات العشر» ص١٠ـ ١١. في صباح ١٤ مايو أعلن البيت الأبيض الأمريكي أن الرئيس ترومان على استعداد للاعتراف بالسعودية.

تثير الخلاف بين المذاهب الإسلامية.

٣ـ أن تقوم السعودية بشراء ضمائر قادة الحركات الإسلامية والوطنية والكتّاب والعلماء والصحفيين والسياسيين عن طريق الدولارات لتأمين جانبهم وعدم معارضتهم للمصالح الأمريكية، وكذلك شراء ضمائر زعماء الدول العربية والإسلامية المحتاجة للأموال السعودية حتّى لا تثور على إسرائيل ولا تهنض ضدّ أمريكا والغرب.

وعلى أمريكا في مقابل هذا الدور الذي تؤدّيه عميلتها في الشرق الأوسط، دورها هي أيضاً الذي يتلخّص في النقاط التالية:

١ـ تأمين سلامة النظام السعودي، وقد أعلنت ذلك أكثر من مرّة... حتّى أن وزير دفاعها أعلن أن الأُسطول السادس الأمريكي موجود في البحر الأبيض المتوسط لهذه الغاية (١).

٢ـ تزويد السعودية بأحدث أنواع السلاح مما لم تزود به قوات حلف الأطلنطي مثل طائرات الأواكس والفانتوم وسكاي هوك التي زوّدتها بها السعودية.

٣ـ تزويد السعودية بالمتطوّعين العسكريين تحت شعار «خبراء» في جميع الحقول مدنية وعسكرية على السواء.

٤ـ شنّ حملات الغزو الفكري والإستعماري ضدّ البلاد العربية والإسلامية لإرهابها ومساعدة النظام السعودي على تنفيذ دورها في المخطّط المرسوم.

---

(١) جون وديد كمش «جانبا التل» ص١٨٩، وقال السناتور (رايلي) رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي في ٢٩مارس ١٩٥٣م: إن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر الدولة السعودية القاعدة الأساسية للشؤون العسكرية والاقتصادية والديمقراطية في الشرق الأوسط. راجع كتاب «اسس إسرائيل» لمؤلّفه أوسكار جانوفسكي ص٣٣.

وقد قام كلّ من الشريكين بدوره المرسوم بإخلاص ونجاح، فأدّت أمريكا ما عليها من التزامات منذ عهد ترومان حتى الآن في عهد ريغان.. وأدّت السعودية ماعليها من التزامات منذ عهد عبدالعزيز حتى الآن في عهد فهد.

والقارئ العزيز بفطنته وذكائه الفطري يدرك تماماً حقيقة التحالف بين الدولتين الشريكتين ووسائله وأهدافه، ولا يتوقع ولايمكن له أن يتوقع أي تغيير في سياسة الدولتين، لأن مصالحهما مرتبطة ببعضها البعض.. بل وبقاءهما مرتبط ببعضه البعض.

فبقاء آل سعود في المنطقة هوبقاء للمصالح الأمريكية في المنطقة الإستراتيجية الغنية بمواردها، وزوال الحكم السعودي هو بالحتم زوال للمصالح الأمريكية بما تمثّله من أهميّة بالغة بالنسبة للإقتصاد الأمريكي والسياسة الأمريكية والعسكرية الأمريكية.

لقد أثبت فيصل لأمريكا بوضوح أنه أكثر إخلاصاً لها من أخيه سعود... فاتصل بسفراء أمريكا وبرؤساء شركة «آرامكو» مراراً وتكراراً. وفي عام ١٩٥٧م سافر فيصل إلى أمريكا واجتمع برئيسها السابق «أيزنهاور» وبوزير خارجيّتها آنذاك «جون فوستر دالاس»... وقال فيصل موضحاً لهما: «إنني أقول لكم بصراحة إن هناك من الأمريكان المسؤولين عندنا مَنْ يكتب لكم ضدّي ويزعم أن سعوداً أكثر إخلاصاً لأمريكا منّي، لكنهم على خطأ، فإنني أصدق صديق لأمريكا»(١) وجاء في قسم من الرسالة التي بعثها فيصل جواباً على رسالة «جون كندي» والتي قدّم نصّها سفير أمريكا بجدّة بتاريخ ١٩٦٣/١١/٨م بعد عزل سعود: «ولقد عبّرتم فخامتكم عمّا يخالجه ضميركم من استمرار العلاقات الودّية بين بلدينا فعلاً تلك العلاقات التي بدأت مثمرة

(١) انظر مجلّة «المصوّر» عدد ١٩٥٧/٧/١٣م.

في عهد والدنا عبدالعزيز، بل ومن افتتاح عهد جديد في العلاقات الأمريكية السعودية لكي تكون الرابطة التي تربط بين بلدينا قائمة على تعهّد كلّ منا لمصالحه تعهّداً مستمراً على أساس مايبني الإنسان من حقوق أكيدة بما يحقق قابليّاته للتطوّر والحرية» (١).

إننا على يقين أن حكّام الدول العربية والإسلامية يدركون جيداً خطورة الدور المشبوه الذي تمارسه السعودية في العالمين العربي والإسلامي، لكنهم يغمضون أعينهم عن هذا الارتباط المشبوه بين حكّام السعودية وأمريكا والصهيونية، ويمدّون إليهم يد الصداقة أو يد الذلّ والخنوع والعبودية والاستسلام، غير ناظرين من خلال ذلك إلّا مصلحتهم الشخصية على حساب بلادهم وأهلها. وكيف يتخلّون عن آل سعود الذين أصبحوا مصدراً لوجودهم في كراسيّ السلطة.

إنّ معشر الرؤساء مسلمون قبل كلّ شيء، فعليهم أن يضعوا الإسلام قبل كلّ شيء، ويحكّموه في أنفسهم، ويجعلوه أساس حكمهم، ولن تنفع دولارات آل سعود المسروقة، وإنما ينفعهم العمل الصالح والقيام على أمرالله، وإنه لخير لحكّام المسلمين أن يذكر لهم التاريخ أنهم عاونوا على الحكم الإسلامي، وأنهم لم يخالفوا الإسلام بمصافحة الأيدي السعودية الدنيئة التي لايرضاها الاسلام للمسلمين.

لقد أصبح الأمر جدّاً ولم يعد بالإمكان الاستهانة بهذا العدوّ الغاشم الذي يعمل بقول الشاعر:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك، كما يروغ الثعلب

ولمّا كانت المعركة حاسمة بين الاسلام والكفر، فإن العالم الإسلامي

---

(١) ناصرالسعيد «تاريخ آل سعود» ج١ ص ٦٧١ و ٦٧٢.

اليوم هو أحوج مايكون الى معرفة كلّ مايتّصل بعصابة «آل سعود» وما هو نصيبها من الإسلام ومن الحضارة في التاريخ قديماً وحديثاً ليكون على بيّنة من أمره من هذه العصابة التي كادت دعايتها أن تطمس على عيون المسلمين وتعميهم عن سواء السبيل، ولمّا كانت الحالة هذه فإنني رأيت أن أقوم بواجب رأيته من أعظم الواجبات الشرعية بدراسة تاريخ هذه العصابة، ونصيبها من التقدّم والرقي ومن العلوم والفنون وعاداتهم ودياناتهم وغيرها. وإنني بكلّ فخر واعتزاز أُقدم هذه الصفحات الى أبناء الأُمّة الإسلامية وهي خطوة أُولى لفضح عصابة آل سعود ودينهم «الوهّابي» الممسوخ. نأمل أن تتلوه خطوات أدقّ وأشمل وأعمق من قبل إخواننا الكتّاب الأحرار الذين يشعرون بالمسؤولية.

لقد أصبح من الواجب الشرعي على الكتّاب الإسلاميّين والعلماء ورجال الفكر الإسلامي أن يقولوا كلمتهم في حكم آل سعود بعد أن كشّر عن أنيابه في تلك المجزرة الشرسة التي أوقعها بالموحّدين من ضيوف الرحمن.

إن اعتداء آل سعود الغزاة على الحجيج لم يغضب مسلمي العالم فقط بل إنه قد أغضب كلّ أُمم الأرض الحرة في الشرق والغرب، وتعالت أصوات الإستنكار من كلّ جانب ضدّ هذا الاعتداء الوحشيّ الجبان. ولا أدلّ على غضبة الشعوب الإسلامية على آل سعود وعلى هذا الاعتداء من انعقاد المؤتمرات، وارسال بيانات الاستنكار والاحتجاج.

ونحن وإن كنّا نشكر لغير المسلمين من الأحرار اهتمامهم بالمجزرة الوحشية ووقوفهم في وجه آل سعود الأوغاد، فإننا لانحبّ أن ينطبق علينا المثل الباكستاني القائل «صاحب الحق نائم، والشاهد قائم» بل علينا أن نكون في المقدّمة للدفاع عن الحجاج المسلمين.

إن هذه الضربة التي وجّهت إلى ايران ليست في الواقع موجهة ضدّ الإيرانيين وحدهم، بل هي ضربة موجهة إلى العالم الإسلامي كلّه، وماهي إلّا

تحدّياً لاختيار مدىٰ ردّة الفعل عندهم، فإذا سكتنا عن هذا التحدّي أو تركنا الردّ عليه أفسحنا المجال أمام آل سعود لكي يعزّزون ضرباتهم بضربات كثيرة توجه الى الحجاج المسلمين في العالم الإسلامي، كما يحبّون ويشتهون.

ولست أستطيع أن أترك القلم دون أن أسجل في خاتمة هذه الكلمة خالص شكري وعميق تقديري لسماحة العلاّمة المجاهدالشيخ مهدي الفتلاوي علىٰ ما أسدىٰ من نصح، وما أفاض على شخصي من ثناء يدلّ على سخاء نفسه، ولقد كانت مناقشاته القيّمة معي وكلماته نفحات دفعتني إلى إتمام العمل على هذا النحو من الاتقان. كما تفضّل سماحته فراجع فصول هذا الكتاب ووضع له مقدّمته القيّمة رغم مشاغله الكثيرة، ومنها انشغاله بتأليف موسوعة علمية ضخمة حول الامام المهدي(ع)، إضافةً للكتب العلمية الأُخرىٰ التي في طريقها الى الطبع. ملتمساً رحمة ربّه، وطلب رضاه. يكتب ويؤلّف ويهدي الناس الى الطيّب من القول، خدمةً للاسلام والمسلمين وهذا ماينفعه في دنياه وآخرته. مستحضراً قول الرسول الكريم(ص)القدوة الحسنة: «اذامات الانسان انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوله» (١)وهكذا شأن العلماء.

أسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يمنّ على المسلمين جميعاً بالوعي والفهم الشامل لمايحوكه أعداؤهم المستكبرون وعملاؤهم المنافقون كآل سعود وآل الصباح وشاهات الأردن والعراق ومصر والمغرب، وعلماء السوء الذين لايتغيرون بتغيّر الزمان والمكان، ومن شأن عقليّتهم أن تظلّ مغلقة لاتتقبّل الحقائق ولا تنفتح على الواقع حتى يأتيهم الطوفان وتأخذهم الصيحة من كلّ مكان. كما أسأله أن يمنّ على المسلمين جميعاً بالنصر المؤزّر

---

(١)رواه مسلم في الصحيح.

الذي تهزم أمامه قوىٰ الاستكبار العالمي والأقزام العملاء. «وما النصر إلّا من عندالله العزيز الحميد».

ولعلّ الظروف تساعدنا على غير ذلك: «والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبُلنا وان الله لمع المحسنين». وأرجو من القارئ الكريم أن لايعجل بذمّي على ما اسطّره، بل يتفكّر في حقيقة ما أذكره، فربّ ملوم منّا لا ذنب له. ومن الله أستمدّ التوفيق.

طالب الخرسان

٦/ذي الحجّة الحرام /١٤٠٧هـ

الفصل الأول

هذه هي الوهابية

نشأة الوهابية:

التاريخ العربي بكلّ هويّاته وميوله والتاريخ الإسلامي مجمعان أن الحركة الوهابية فئة ضئيلة، وفرقة ضالة مضلّة، منسوبة إلى محمّدبن عبدالوهاب(١)، الذي ينحدر من اسرة يهودية كانت في يهود الدونمة في تركيا التي اندسّت في الإسلام بقصد الإساءة إليه والهروب من ملاحقة بطش بعض السلاطين العثمانيين (٢).

بدأت الحركة الوهابية باسم محمّد عبدالوهاب، وينتشر معظم أعضائها حالياً في الحجاز وفلسطين المحتلّة وأوروبا وأمريكا، ويعتبر التوجيه الأول لهم في أي بلد غرسوا فيه نبتتهم هوالعمل لربط الفكر الديني الإسلامي بالفكر اليهودي ونواميس موسىٰ (٣).

---

(١) ولد عام ١١١٥هـ في قرية «عيينة» ومات عام ١٢٠٦هـ.

(٢) نشر إسحاق بن زفي الرئيس السابق للدولة اليهودية التي اغتصبت فلسطين كتاباً عن الدونمة بالعبرية، وترجمه للإنكليزية اليهودي إسحاق عبادي، وأصدرته دارالنشر اليهودية في أمريكا عام ١٩٥٧م، وأعيد طبعه مرة ثانية عام ١٩٦١م، يقول ابن زفي: «هناك طوائق دينية لا تزال تعتبر نفسها جزءً من بني إسرائيل، وأعضاء هذه الطوائف ـ رغم اختلاف اسلوبهم عن مجموعة الشعب اليهودي ـ استمروا على إقامة شعائر الدين اليهودي، ومن هؤلاء طائفة السامرّيين الذين يعتنقون صراحةً الدين الموسوي، ومنهم طائفة هامّة أُخرىٰ هي طائفة الوهابية وهي مسلمة في الظاهر إلّا أنها تقيم سرّاً الشعائر اليهودية».

(٣) لبيري اندرسون «أُصول دولة الحكم المطلق» ص٥٧.

وأن المتّبع هو رأيه، حسب مقتضيات الظروف والأحوال، ولا عبرة بقول نبيّ أو إمام، حتى بلغت الجرأة به أن قال: «عَصايَ خير من محمّد، فإنها تنفع ومحمّد لاينفع» (١).

وقد فرح أقطاب الإستعمار بهذا العبد الوهاب، فقال اللورد كورزون في وصف الشريعة الوهابية: «هي أعلى وأبهى دين أُخرج للناس» (٢) ثم مات محمد عبدالوهاب ولايزال مستشرقوا الإستعمار، لاسيّما المستشرق اليهودي (جولد تسيهر) يدعوه نبيّ الحجاز ويشجع تعاليمه. ويقبل عليها بلهفة ويفرح بتلاوة كتاب «الأقدس» ويراه تنفيذاً لنبوءات المزامير، ولايزال دعاة الوهابية يمثلون دور الحجة والمكاسر والمكالب. (٣)

وتذكر بعض المراجع أن محمّد عبدالوهاب هذا أرسل دعاته إلى أمريكا وبريطانيا لنشر الدعوة الوهابية بين الأمريكيين والبريطانيين عام ١١٥٨هـ، ثم سافر إلى لندن عام ١١٥٩هـ، وزار العديد من البلدان الأُوروبية، كما زار الولايات المتحدة الأمريكية. وكوّن له مجموعة من الأتباع وعاد من جولته عام ١١٦٠هـ (٤).

وتشير بعض المصادر الدولية أن المحافل الوهّابية في العالم (٢٨٢١) محفلاً ولديها ثلاثين محفلا مركزياً وتترجم كتبها إلى عدّة لغات. وأغلب هذه المحافل في أُوروبا وأمريكا (٥).

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص٧٨.

(٢) روبنسون «المؤامرة لتدمير كافّة الحكومات والأديان» مطبوعاً بلندن عام ١٨٩٨م، ورغم جمعه من الأسواق، كما نعرف من مناهج اليهود، لايزال بعض نسخه محفوظاً.

(٣) المخططات الإستعمارية لمكافحة الاسلام، ص١٠٥، الطبعة الأُولى (بيروت عام ١٩٧٠م).

(٤) ج. أ. أسلمنت «محمدبن عبدالوهاب والعصر الجديد»، ص٩٩، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ ١٩٢٨م.

(٥) راجع مجلّة «آخر ساعة» القاهرية عدد (١٦) مارس ١٩٥٥م.

أقام محمدبن عبدالوهاب نفسه مدافعاً عن اليهود، فاتفق مع من سبقوه لنسخ فكرة الجهاد من نفس المسلم، أي اتفق محمدبن عبدالوهاب مع الباطنية وفروع الماسونية، بالصولة على الإسلام ونسخ الشريعة الإسلامية فقال مانصّه: «لم يبق لتلك الشريعة حكم»(١). يعني أن مجيئه كمقدّمة لارتفاع راية اليهود، أزال مفعول الشريعة الإسلامية، بل رأى جميع الأديان لالزوم لها، إذ أن الوهّابية تغني عن جميع أديان البشر.

ويقول مؤسّس الحركة الوهابية مايلي: «إن مصير اليهود هو العلامة الحاسمة لآخر الزمان، فقد قضىٰ عليهم خلال الدورة المسيحية أن يشردوا وأن ينفوامن الأرض، فاذا استوفوا عقابهم وأُذن لهم في الرجوع الى أرضهم(؟) حينئذٍ قد يعلم أن دورة قد انتهت وأن دورة اخرىٰ قد بدأت»(٢).

وهنا يلتقي محمّدبن عبدالوهاب مع «شهود يهوه» في قضية أن مصير اليهود هو علامة آخر الزمان. ونظراً لأن الجهاد ركن أساسي في العقيدة الإسلامية ولأن المتتبع لتاريخ الإستعمار الغربي سيجد أن المقاومة الحقيقية التي واجهته هي المقاومة الإسلامية، وأن الحركات الوطنية في آسيا وأفريقيا حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت تنطلق من هذا المفهوم الإسلامي، مفهوم الأُمة التي يؤمن كل فرد فيها أنه مسؤول عن إعلاء كلمةالله بالجهاد، لجأت الحركة الوهابية إلى تحريم الجهاد لتترك هذه الأُمة لقمة سائغة في أفواه بني صهيون.

لقد أقبل اليهود على الوهابية منذ تأسيسها، وحملوا رايتها وكثروا سوادها وقاموا بالدعاوة لها، وطالما رأينا بعضهم يعيش العمر كلّه وهّابياً ويدفن حين

---

(١)راجع مجلة «المسرة» أعداد تشرين الأول ١٩٥٥م ص٦٥٣، وتشرين الثاني ١٩٥٥م ص٧٣١. (حريصا ـ لبنان).

(٢) مجلة «نورالحياة» القاهرية الأرثوذكسية عدد آب ١٩٥٤م، وأعداد كانون الثاني وشباط وآذار ١٩٦١م.

يموت في مدافن اليهود (١).

ترك محمدبن عبدالوهاب العديد من الكتب التي تحتوي العقيدة التي ابتدعها، ويعتبر أتباعه بعض هذه الكتب مقدّسة، وبعضها الآخر يعتبرونها موضحة لمذهبه الديني، وأهم كتبه «الحق يحرّركم» الذي يعتبر المصدر الأساسي للعقيدة الوهابية (٢).

هؤلاء الوهابيون لايزالون ـ منذ زعمهم الإسلام ـ يعيشون في الحجاز بوجه مسلم، وهذا ماساعدهم على التدخل في شؤون الحجاز السياسية والإقتصادية والتربوية والتوجيه الفكري. ويعودون للأوكار يتواصون بمثل هذا النص: «لاتتزاوجوا إلّا في مابينكم، ولا تأخذوا من عادات الآخرين إلّا الظاهر، ينبغي أن نعمي عيونهم عن الحقيقة، ونحافظ على الإسم المزدوج(٣).

الوهابية في تطلّعاتها العقائدية والدينية:

وهؤلاء الوهابيون يُكفّرون غيرهم من المسلمين ويَنبزونهم بالشرك والإلحاد، ويبيحون دماءهم.. الى غير ذلك. كما أنهم ينسبون إلى شيعة أهل البيت عليهم السلام أموراً ليست فيهم ولاهي مذكورة في كتبهم وأُصول مذهبهم.

---

(١) «حصوننا مهدّمة من داخلها» ص١٣٣.

(٢) خيري رضا «شذرة من تاريخ الوهابية» ص٢٧ـ ٣٠، دمشق (مطبعة الترقي عام ١٩٢٨م).

وفي كتاب «الحقّ يحرّركم» مانصه: ١ـ القرآن طافح بالمتناقضات ص٢٥٣. ٢ـ لايمكن أن يكون محمّد نبياً لأنه ليس يهودياً ص٢٥٥. ٣ـ إن عقيدة محمّد بخلود النفس اخترعها الشيطان ص٢٥٩. ٤ـ ليس للإسلام رسالة يقدمها ص٢٦٠. ٥ـ العالم كلّه ـ سوى اليهود ـ عدوالله ص٢٦١.

(٣) راجع صحيفة «الشهاب» البيروتية العدد الأول ـ نيسان ١٩٦٩م وهي تعلّق على كتاب (الدونمة) الصادر عام ١٩٥٧م والمطبوع ثانية عام ١٩٦١م أصدره (إسحاق بن زفي) الرئيس السابق لإسرائيل.

فالحركة الوهابية وإن لم تكن مذهباً من المذاهب الاربعة، إلّا أنها اتّخذت لنفسها طابع المذهب.. فهم لايقيمون الحدود ولا يُجْرون الأحكام الشرعية. ورأيناهم أضرّ على الإسلام من كل شيْ، وقد شوّهوا سمعة الإسلام بأعمالهم وأفعالهم، وبسوء فتاوى علمائهم، وبسوء صنيعهم بالعترة الطاهرة الأئمة عليهم السلام وغيرهم، وذلك بهتك حرمتهم وهدْم قبورهم.

ولا تحسبن أن الاستعمار استطاع أن ينفّذ هذه الخطة اللئيمة بيسر وسهولة. لقد صمم تفاصيلها بشكل دقيق ومدروس، ونفّذها ببراعة ودهاء بالغين. ومن أغرب مظاهر الدهاء في هذه الخطة اعتماده في التنفيذ على مجموعة تتظاهر بالإسلام! وتدعي أنها سلفية!! وأن كل ماسواها من المسلمين مشركون!!!

وأول ما فعلته هذه الفئة البدوية الجاهلة هو أنها عمدت ـ باسم محاربة الشرك ! ـ الى القضاء على كل معالم التاريخ الإسلامي في الحجاز، فهدمت الآثار الإسلامية التي كان كل واحد منها يرمز الى واقعة تاريخية إسلامية تحيي ذكريات صدر الاسلام في النفوس، وتضخّ الزخم والطاقة والمعنوية في الأرواح والقلوب، كما هدموا قبور الأئمة والأولياء والصالحين التي زارها رسول الله(ص) بنفسه ـ كما فعل في البقيع وأُحد ـ باجماع المسلمين. حتى بلغت بهم الجرأة الى أن أقدموا على هدم قبر رسول الله(ص)، لولا أن تعالت ضجّة المسلمين فارتدعوا عن ذلك. وقد سمع خطيبهم يخطب في حضرة الرسول (ص) ويقول بحرقة وحسرة: «كان علينا أن نمنع الناس عن هذا المكان، ولكن ماذا نصنع، وقد غلب على أمرنا»(١).

ومهما يكن، فان استطاع الوهابيون أن يزيلوا الأحجار عن قبور الأئمة الأطهار، فانهم أضعف من أن يزيلوا ذرة من الحبّ والولاء للرسول وآله، أو يمحوا

(١) محمدجواد مغنية «تجارب» ص ٣٧١.

كلمة واحدة من كلامهم، وحكماً من أحكامهم، فلقد دلّتنا التجارب المتتالية عبر التاريخ أن عظمة أهل البيت ترتبط بإرادة الله، لأنه هو الذي اصطفاهم واختار محمّداً (ص) منهم لما اختار وأراد.

وفيما يلي أذكر بعض فتاواهم الشاذة الغريبة على الإسلام:

يعتقد الوهابيون بأن الحاج ـ أو أي شخص آخر ـ لو وضع يده على قبر رسول (ص) فهو مشرك. وترى الشرطي الوهابي يقترب منه ويصرخ فيه وجهه: ارفع يدك يا مشرك!! واذا قال قائل: «يا رسول الله» فهو مشرك. وإذا قبض على الضريح أو قبّله أو يتبرك به فهو مشرك. ويضربه الشرطي ويضجره ويقول له: لا تفعل يا مشرك. إلى غير ذلك من الآراء السخيفة التي لا تتفق مع الشرع الإسلامي الحنيف أصلاً، والتي تضحك منها الثكلى وشر البليّة ما يضحك.

والخطب الأفضح أنهم يوبّخون الحاج وينهونه عن عمله المقدّس بكلمة: يا مشرك .. يا كافر، وذلك في أول مرّة، فإنْ قبل قولهم فيها، وإلّا فهو مباح الدم، ويجب قتله (١).

نعم لم يسمح الوهابيون للحجيج بزيارة قبر رسول الله (ص) بما يستحقه من الزيارة فيلقى الحاج الواقف عند قبر الحبيب محمد (ص)، والمتّجه إلى الله بالتضرع عند هذه البقعة المشرّفة، يلقى ألوان الاهانات ويتصدّى له بدوي لا يميز يمينه عن شماله، ليعلّمه دينه! وليقول له: هذا حرام... هذا حرام... وتبلغ الجرأة ببعض الحفاة الجفاة الواقفين على قبر الرسول (ص) أن يرفعوا عقيرتهم بالقول! محمد رجل مثلي ومثلك، ومات... إقرأ الفاتحة وامش!! (٢).

---

(١) محمد أمين الأنطاكي «رحلتي من الضلال الى الهدى» ص ٢٦ و٢٧.

(٢) تقرير عن المؤتمر العالمي «الوحدة الاسلامية والحج» الذى عقد في فريتاون عاصمة سيراليون بدعوه من منظمة الوحدة الاسلامية الأفريقية خلال الفترة بين ١٥ ـ ٢٠ شوال ١٤٠٣هـ/٢٦ ـ ٣١ يوليو (تموز) ١٩٨٣م. ص ٤١.

تلك الشطحات التي لاتفسير لها إلاّ بالجحود والاستخفاف بالدين والشعبذة.

أعجب من قوم بأهوائهم ... لمقتضى عقلهم ينقضون
يوحّدون الله لكنّهم ... بالله مع توحيدهم مشركون
ضلّت مساعيهم وهم يحسبون ... أنهم في صنعهم يحسنون
إن الزموا الحق أجابوا بما ... أجاب عن غيّ به الكافرون
آباؤنا من قبل كانوا كذا ... إنا على آثارهم مقتدون

وقد ارتكب الوهابيون جريمة قتل المسلمين وإراقة دمائهم... وذلك في الحجاز وفي العراق.. في مآسي مسجّلة في التاريخ(١) ولله درّ القائل:

وَمن عجبِ الدنيا حكيمٌ مُصفرٌّ ... وأعمش كحّال وأعمى منجّمُ
وقارؤنا تركيّ وهنديّ خطيبنا ... تعالوا على الاسلام نبكي ونلطم

وماعشت أراك الدهرُعجبا

وفي الحقيقة إن الوهابية قد قسموا آراء ابن تيمية إلى قسمين، فجعلوا القسم السلبي قاعدة لكلامهم ومحوراً لعقيدتهم بحماس كثير زائد، وغضوا النظر عن القسم الإيجابي منها (من قدم حروف المعجم وغيرذلك) وقد خلق فيهم تكرارهم لهذه التعبيرات الخاطئة في منازعاتهم وكتبهم وخطبهم حالة نفسية مرنوا عليها ورسخت في أذهانهم حتى اعتبروا كل تعظيم لغيرالله منافياً لتعظيم الله، وهو من قبيل جعل الضدّ والندّ له تعالى، وهو عبادة لغيرالله، وهو شرك بالله، وصاروا يغترّون بها حتى كأنها نكتة لم يسبقهم الأولون ولن يلحقهم الآخرون!

ولكن الحقيقة هي أن ذلك قد حصل في القرن السادس، حيث اشتهر عن

(١) راجع «تاريخ كربلاء» للدكتور عبدالجواد الكليدار.

العارف الشهير أحمد الغزالي أنه منع عن لعن الشيطان، وعظّمه وأجلّه بحجة أن غيرة إبليس على توحيد الله منعته عن السجود لغير الله!!

والأنسب أن يسمىٰ هذا التوحيد بالتوحيد الشيطاني، والعرفان الأبليسي، فإن كمال التوحيد بعد معرفته بأنه إله واحد، لاقديم، ولا شبيه له، هو التسليم الصرف والإستسلام الخالص لأمره تعالىٰ... وهو لبّ الدين كما قال الله تعالىٰ: «إن الدين عند الله الاسلام»، وقد بيّن الله تعالى لنا في كتابه الكريم أن هذه النزعة، وهي الغلوّ في عدم تعظيم غير الله بحيث يؤدّي ذلك إلى مخالفة أمره تعالىٰ غير مقبولة عنده تعالىٰ، وظاهر أن أمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ينافي هذه النزعة ـ أعني نزعة الغلو في عدم تعظيم غير الله ـ وذلك لأنه وإن كان السجود لغير الله ممنوعاً عنه في الشرايع التي أنزلها للناس، ولكن الأمر بيد الله تعالىٰ، فله أن يأمر بتعظيم مخلوقاته لاعبادتها.

ولذلك نراه قد أمر الملائكة بالسجود لآدم وأمر الناس في الحج أن يصلّوا إلى أثر قدم عبد من عبيده، وهو مقام ابراهيم عليه السلام، وأن يتبركوا بالحجر الأسود، وبأركان البيت الذي شرّفه الله تعالىٰ، فليس معنىٰ ذلك أن الشرك كان واجباً على الملائكة في سجودهم لآدم، أو أن الصلاة إلى مقام إبراهيم والتبرك بالحجر الأسود كلها واجب تارة ومستحب تارة. بل يستفاد من ذلك أن التعظيم لغير الله لايلزم منه الشرك وإن كان بصورة السجود، إذا أمر الله، وذلك أمر واضح لايخفىٰ على ذي مسكة (١).

والحركة الوهابية مبنية على الاعتقاد بوجود إله واحد أزلي نظير ما يعتقد به المسلمون إلّا أنهم يستمدّون صفة الخالق من أساس العقيدة الباطنية، وإن هذا الوجود هو مظهر من مظاهر الله، وأن الله هو النقطة الحقيقية وكل ما في الكون

---

(١) مهدي الحسيني «بحوث مع أهل السنة والسلفية» ص ١٦٤ و ١٦٥ الطبعة الاولىٰ ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.

مظهر له، وبينما الوجود عند المسلمين صادر عن الله، فانه عندالوهابيين صفة تدلّ على الحياة والتأثير، وبدون مظاهر العبادة أُمور ظاهرية تعبّر عن أمر باطني(١).

ورغم أن الوهابية يعيشون بتعاليم وضعت حدّاً لاستمرار شريعة الإسلام، يظهرون بين مسلمي العالم مسلمين ويمارسون الصلاة في الجمعة والجماعة ذلك أن للباطنية وجهين. وهذا نموذج من تفاسيرالآيات عند الوهابية آية (وجاء ربّك) تعني مجيئ محمّدعبدالوهاب الى الحجاز ممهّداً لقيام دولة إسرائيل. وقد يعجب القارئ من هذا، لكن إذا علم أن وظيفة الرسل تلقّي الوحي و وظيفة محمدبن عبدالوهاب تأويله زال عجبه(٢).

وترى الوهابية الرسل لم يبلغوا كل شيئ، بل تركوا كثيراً من التفاسير لمن سيأتي بعدهم، وفي مقدمة هؤلاء محمدبن عبدالوهاب، إذ بشربه الرسل وانتدبوه ليفسّر كتبهم(٣).

حدّث الدكتور علي علي منصور المستشار القانوني الشهير: أن كثيرين من أهل العلم جزموا بأن الوهابية تستقي من الباطنيات القديمة التي لامرجع لها إلّا التوجيه اليهودي التلمودي، وأضـاف أن العلاّمة الشيخ عبدالمجيد شاهين اهتمّ بتلك الآراء ونقل تلك الفتاوى وضمّنها كتاباً دعاه «الوهابية كفر وإلحاد»(٤) والسيد رشيد رضا حدّثنا بمناره(٥) عما تكن الوهابية من تآمر.

بيّن الله سبحانه وتعالى أن كل اعتقاد أو عمل لايقوم على دلائل الحق فهو

(١) مجلة «الطريق» العدد ٢ السنة الأولى ١٩٨٣/٤/٢م ص٤٣.

(٢) صحيفة «الرسالة» ١٩٧٩/٥/٤م موضوع «قراءة موضوعية للوهابية».

(٣) محمد عبدالقادر فتحي «الوهابية والصهيونية» ص ١٠١ طبعة ١٩٣٠م.

(٤) طبعته مطابع عابدين بالاسكندرية عام ١٩٥٥م. نتمنى أن نظفر بهذا الكتاب.

(٥) مجلّة «المنار» العدد الصادر في شوال ١٣٣٤هـ ـ ٢٩ آب ١٩١٦م ص٤٤٢.

مردود على صاحبه، وأنذر الذين يجادلون في الله وآياته بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير كما في قوله تعالىٰ: و«من الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير*ثاني عطفه ليضلّ عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق»(١)

وكشف عن ضلال القادة الدينيين الذين انحرفوا عن العهود والمواثيق المأخوذة عليهم، وافتروا على الله الكذب، وانتحلوا لأنفسهم حقّ التشريع والتحليل والتحريم، إرضاءً لأهوائهم، وإشباعاً لشهواتهم، وتلبيساً على الناس في دينهم، كما في قوله تعالى «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم»(٢).

وعاب على أسرىٰ التقليد إعراضهم عن الحقّ الذي جاءت أنبياء الله ورسله، وجمودهم على إتّباع ما وجدوا عليه آباءهم، وارتكابهم الفواحش باسم الدين تعصّباً للجمود والتبعية العمياء، كما قال عزّمن قائل: «وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أوَلَو كان آباؤهم لايعلمون شيئاً ولا يهتدون»(٣).

إن التقليد الذي ذمّه الإسلام وشدّد النكير على أهله إنما هوالتقليد الذي يقوم على التبعية العمياء، والجمود على القديم الموروث، ومحاربة كل جديد يخالفه ولوكان ذلك الجديد أقوم طريقة وأهدىٰ سبيلاً، والذي لايميز بين التقليد في الخير والتقليد في الشر، ولايفرق بين اتباع أهل الحقّ من الأئمّة الراشدين والقادة المصلحين، واتباع أهل الباطل من أصحاب القيادات الضالة والأهواء الجامحة، وأمّا تقليد أهل الحقّ من الأئمة الراشدين والعلماء الراسخين الذين

---

(١) سورة الحج /آية ٨ و٩. (٢) سورة النحل/آية ١١٦ و١١٧. (٣) سورة المائدة/آية ١٠٤.

استمدّوا علومهم ومذاهبهم من الكتاب والسنّة، واستقاموا على الطريقة المثلى والحجّة البيضاء، فليس من قبيل التبعية العمياء التي لا تنظر ولا تفكّر فيما تقلّد، وإنما هو من قبيل القدوة الواعية المستبصرة، واتباع غيرالعالم لأهل العلم والمعرفة، كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»(١).

وبهذه الدعامة قضى الاسلام على سلطة المتألّهين من أصحاب القيادات الضّالة المضلّلة، وخلع عنهم رداء القداسة التي انتحلوها لأنفسهم، وموّهوا على الناس بأنها رفعتهم فوق النقد والتجريح، وجعلتهم أرباباً من دون الله يحلّلون ويحرّمون كما يشتهون، وأجرى عليهم من أحكام المسؤولية والجزاء ما أجراه على سائر الأفراد، وبيّن أن ربوبية العبادة والتشريع إنما هي حق خالص لله وحده، وأهاب بأسرى التقليد والتبعية العمياء، أن يحرّروا أنفسهم من هذه الأغلال الجاثمة على عقولهم وأفهامهم، وتلك الأكنّة المعقودة على أسماعهم وأبصارهم.

وهكذا طالبنا الإسلام بأن نطهّر نفوسنا وسلوكنا من الأغراض الخفية والأهواء الدفينة، ونحرر عقولنا وأفهامنا من الخضوع لسلطانها والانقياد الأعمى لوحيها، وأن نجعل أهواءنا تبعاً لحكم الله وشرعه، لا أن نجعل أحكام الله تبعاً لأهوائنا، فإن ذلك من أكبر العوامل في اعتدال النظر واستقامة التفكير، وصحة العقائد وكمال الأخلاق وصلاح الأعمال.

ولهذا ذمّ الإسلام العاكفين على عبادة الأهواء والأغراض، ونعى عليهم ضلالهم وانحرافهم عن الحق إرضاءً لأهوائهم، كما في قوله تعالى: «فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتّبعون أهواءهم ومن أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدًى

(١) سورة النحل/آية ٤٣.

من الله إن الله لايهدي القوم الظالمين» (١).

هذا هومنهج الإسلام في تحرير الفكر الإنساني، ولقد تلقّى المسلمون الأولون هذا المنهج التحريري من ينابيعه الصافية، واستقرّت دعائمه في أعماق نفوسهم، وانطوت عليها أفئدتهم وجوانحهم، فكان رائداً أميناً لعقولهم وأفهامهم، وغذاءً روحياً لغرائزهم ومواهبهم، وطبعهم على حرية الفكر واستقلال الإرادة، وكرّه إليهم التقليد والتبعية العمياء، ووجّه عقولهم للبحث والنظر.

هذا تشريح سقناه للمخدوعين من المسلمين والذين وقعوا فريسة للدعاية الوهابية وألاعيبها الشيطانية، علّها تعيهم، ويأخذون حذرها ليومهم وغدهم.

إن العالم الذي نعيش فيه مليء بالأفكار الهدامة، مشحون بالسياسات المختلفة منها ماهي إلحادية صريحة، ومنها ماتؤيد الدين في الظاهر وتهدمه في الحقيقة، وقد يلبس الإلحاد مظهرالدين وتبرز الأُخرى عداءها له حسب المصالح والأهواء.

وهذه السياسات هي التي ضخّمت الخلافات بين المسلمين، ولا تزال تغذي إلى الآن هذه الناحية، فلماذا لانتسلّح نحن بهذا السلاح، فنتناول بالبحث مايتناولونه لكي يقف المسلمون على الحقائق فلا يتأثرون بما يقرأونه للمغرضين من عملاء السياسات المفرّقة، وبذلك ندفع عن ديننا مايشوّه سمعته، وندرأ عن أُمّتنا مايمزّق شملها؟

إن خطر السياسات الاستعمارية على مجتمعنا الإسلامي ظاهر واضح، والحرب الأخيرة لا تزال آثارها ـ من إنحلال خلقي وتحلّل ـ تعمل عملها، وعلماء الدين هم أهل هذه الرسالة والمسؤولون عن هذه الأمانة، فإن توانوا أو قصّروا

---

(١) سورة القصص/آية ٥٠.

فستظلّ السياسات تعبث بنا، وتعمل عملها فينا، وتفرّق كلمتنا، وتحطّم كياننا، وإذا كانت في الماضي القريب قد أوجدت فرقاً (كالوهابية والبهائية والقاديانية) وألصقتها بالإسلام زوراً، فإنها في المستقبل سترمينا بما هو أدهىٰ وأمرّ، ولن ينجينا من المصير المحتوم إلّا أن نهبّ ونعمل لنصل ما انقطع بين السياسة والدين، وليكن شعارنا: السياسة من صميم الدين.

خلاف الوهابية على الأمّة:

كان محمّدبن عبدالوهاب مؤسس الحركة الوهابية ـ منذ شبابه ـ مائلاً الى اتّباع الهوىٰ والاغترار بالباطل، وآل امره أن اخترع مذهباً خارجاً عن فرق الإسلام، بناه على أنقاض ما أسّسه ابن تيمية الحرّاني وتلميذه ابن القيّم الجوزية ومن مذهبهم: تحريم الاحتفال بذكرىٰ الموتىٰ حتىٰ الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وتحريم البناء على قبورهم وزيارتهم، وتحريم التوسّل إلىٰ الله والاستشفاع بهم، وسَوق النذور والقرابين التي يتقرب بها إلى الله، ويُهدىٰ ثوابها لهم، وحرمة الصلاة بجوار تلك المراقد الشريفة، ووجوب المنع في جميع ذلك، وهدم البنايات والقباب القائمة على القبور المقدّسة، كما فعلته أيديهم الأثيمة العميلة (١).

وصاروا يتلاعبون بالشريعة الإسلامية حسب أهوائهم، وجعلوا يكفّرون كل المسلمين إقداماً بالردّ على النبي(ص). فعندما شرّع(ص) أن في خمسة من الابل شاة زعم الوهابيون أن في خمسة من الابل كلباً أو سنّوراً إذا كانت قيمة كل واحدمنها قيمة شاة. وقال(ص) في الأربعين من الغنم شاة فزعم الوهابيون أن فيها غزالاً. وقال (ص) «ليس في الخضروات زكاة» فزعم آل عبدالوهاب

---

(١) العلاّمة محمد امين الأنطاكي «رحلتي من الضلال الى الهدىٰ» ص٢٦.

أن في كل الخضروات زكاة. وقال(ص) عفوت لكم صدقة الخيل والرقيق وقال الوهابيون الزكاة في الخيل واجبة والعفو عنها بدعة تصريحاً بالردّ على النبيّ (ص).

وزعم الوهابيون: أن المسلم إذا كان له عبد نصراني فاشترى العبد خمراً وباعها فإن الابتياع والبيع جائزان وبهذا فارقوا جميع العلماء. وقالوا أيضاً: لو أن مسلماً أمر نصرانياً أن يشتري له خمراً فاشترى له ذلك كان الابتياع له، وكذلك لو باع النصراني خمر المسلم يصحّ ذلك لأن النصراني زعم أنه هو الذي عقد البيع والشراء، وهذا صريح بإباحة ما حظره الله عزّوجل في كتابه وسنّة نبيّه (ص) وخلاف لجميع فقهاء الإسلام.

ويسقط الوهابيون الحدود عمّن وطأ أُمه وساير ذوات أرحامه (١) ويبطلون القود عمّن قتل بأقبح القتلات من الخنق والتعذيب بضرب السياط ورضّ الرؤوس وطعن الأضلاع وعظام الانسان كلها بالحجارة وزعموا أن الجنايات الموجبة للحدود إذا تقادمت تسقط عن أصحابها الأحكام الواجبات. وقالوا في شارب الخمر: إذا شهد عليه الشهود العدول بشربها فأُحضرَ وقَد ذهبت رائحتها منه فإنه لاحَدَّ عليه وإن كان ذلك في يوم شربه لها. وكذلك إن شهد الشهود على الانسان بأنه سكر من شراب غير الخمر فأُحضر وقد ذهب سكره سقط عنه الحد، (٢) وهذا ردّ على الأمة الإسلامية كلها فيما جرى على الوليد بن عقبة في الحكم حين شهد عليه الشهود بالمدينة أنه شرب الخمر بالكوفة فأحضر وجلده الخليفة عثمان بن عفان بحضرة أهل الإسلام. ولم يَر أحد من المسلمين إسقاط الحدّ عنه فمضي وقت شربه لها على ما ادعاه الوهابيون (٣).

(١) نظرة في معتقدات الوهابية: ص٩٨. طبعة سنة ١٩٣٣م.

(٢) نفس المصدر: ص٨٧ و١٢٥.

(٣) أبو الفرج الاصفهاني (الأغاني) ج٦ ص٩٦.

وقال الوهابيون أيضاً في الذي يغصب غيره غنمه وبقره وإبله وطيوره فيذبحها ويطبخها أو يشربها فانه يملك ذلك بالاستهلاك وليس لصاحبه إن وجده أن يأخذه وإنما له قيمته. فأباحوا اللصوص والغاصبين أموال المسلمين على القهر لهم والإكراه مع قول النبي(ص): «لايحلّ مال إمرئ مسلم إلّا بطيبة من نفسه». وهذه أمثلة على فتاواهم وتلاعبهم بالشريعة المحمّدية (١).

وهم يوالون أعداء الدين الذين يعرف كل أحد معاداتهم من اليهود والنصارى والمشركين وليس لهم إلّا في هدم الإسلام ونقض عراه وإفساد قواعده.. وهذه النسبة إليهم أحقّ وأنسب لأنهم قائلون بطهارة أهل الكتاب وإباحة ذبايحهم وطعامهم ومزاوجتهم...(٢).

وهؤلاء ـ الوهابيون ـ لايأمرون بمعروف ولا ينهون عن المنكر وهما من أسمى الفرائض وأشرفها، وقد ورد الحثّ عليهما في الكتاب العزيز والأخبار الشريفة بألسنة مختلفة (٣).

قال الله تعالى: «ولتكن منكم أُمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأُولئك هم المفلحون» (٤). وكان (ص) يقول: «إذا أُمّتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله»(٥). وعنه (ص) قال: «يكن في آخرالزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون فيتقرّأون ويتنسكون حدثاء سفهاء لايوجبون أمراً بمعروف ولانهياً عن منكر إلّا إذا أمنوا الضرر يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير...» ـ ثم قال ـ: «ولو أضرّت الصلاة بسائر مايعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أتمّ الفرائض وأشرفها، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام

---

(١) نظرة في معتقدات الوهابية: ص٧٧. (٢) يهوداً لاحنابلة: ص٢٩.

(٣) شذرة من تاريخ الوهابية: ص٥٦. (٤) سورة آل عمران/ آية ١٠٤. (٥) التهذيب: ج٦ ص١٧٧.

الفرائض، هنالك يتمّ غضب الله عليهم فيعمّهم بعقابه، فيهلك الأبرار في دارالفجار، والصغار في دار الكبار» (١).

ومن هنا تحتّم على المفكرين الإسلاميين المخلصين التصدّي لهذا المخطّط الإستعماري الخطير الذي تستّر وراء قناع مذهبي واتّخذ من التوحيد واجهة لمقاصده.

وقد قام سماحة الاستاذ العلاّمة الشيخ جعفر السبحاني حفظه الله بتأليف كتاب العقيم «الوهابية في الميزان» كشف فيه عن زيف عقائد هذه الفرقة الاستعمارية بأسلوب أنيق واستدلال عميق مستمدّ من الكتاب والسنّة وسيرة الصحابة. وقد ظفرت بهذا الكتاب، أتمنّى أن يظفر به غيري.

التوسّل سنّة متبعة:

كما شرع الله سبحانه الأسباب الكونية، شرع الاستشفاع والتوسّل بالأنبياء والأولياء ماسنوضحه فيما يأتي، وإليك البيان.

الاستغاثة بالنبي(ص) و بإخوانه النبيّين والمرسلين وبالأولياء والصالحين، هي عبارة عن سؤال الشفاعة منهم لقضاء الحوائج ودفع النوائب وتفريج الكروب، ولا ريب أن كل من يناديهم من المؤمنين، فهو عالم أنه لايعبد إلّا الله، ولايفعل مايريد ويمنح مايطلب إلّا الله، وليس هؤلاء إلّا شفعاء فقط، وقد أرشدنا الله ورسوله للاستغاثة بعباد الله الصالحين من الأنبياء والأولياء.

قال الله تعالىٰ: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة»(٢) والوسيلة مايتوسّل به إلى الله تعالىٰ من عمل صالح أو عبد صالح.

وجعل العبد الصالح وسيلة الى الله تعالى، إنما هو من إعظام جانب التوحيد،

---

(١) نفس المصدر: ص ١٨٠.

(٢) سورة المائدة/آية ٣٥.

لأن من شهد سوء حاله وكثرة ذنوبه لايجد له وجهاً ولاسبيلاً للسؤال من ربه، فتجتمع همّته على التوسّل لله تعالىٰ بأوليائه وأحبابه اعترافاً بالذنب، وانكساراً للرب، وإعظاماً لجانب القدرة الإلهية، وإيماناً بأن الله تعالىٰ هو الفعّال لمايريد. وأحبابه- المرضية شفاعتهم- لم ينالوا ذلك إلّا لإ تّباعهم لنبيّهم الكريم(ص) ولوقوفهم عند أمره العظيم.

قال العلاّمة الزمخشري عند هذه الآية المتقدّمة: «ألا كل ذي لب إلى الله واسل»(١)، وقال تعالىٰ: «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفرلهم الرسولُ لوجدوا الله توّاباً رحيماً»(٢).

دلّت الآية على حثّ الأمّة على المجيء إليه(ص) والاستغفار عنده واستغفاره لهم، وهذا لاينقطع بموته، وإن وردت الآية في قوم معيّنين في حال الحياة، لكنها تعمّ بعموم العلّة كل من وجد فيه ذلك الوصف في حال الحياة وبعد الممات، ولذلك فَهم العلماء منها العموم للجائين وذكرها المصنّفون في المناسك من أهل المذاهب الأربعة، ودلّت أيضاً على أنه لافرق على الجائين بين أن يكون مجيؤهم بسفر أو غيره لوقوع جاؤوك في حيّز الشرط الدالّ على العموم.

ويستفاد من بعض الآيات الكريمة أن المسلمين كانوا يحضرون عند رسول الله(ص) دوماً ويسألونه الدعاء والاستغفار لهم، ولمّا اقترح المسلمون على المنافقين بالحضور عندالنبي الكريم(ص) وطلب الدعاء والاستغفار منه، رفضوا ذلك كما يقول سبحانه: «وإذا قيل لهم تعالوا يستغفرلكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ورأيتهم يَصُدُّونَ وهم مستكبرون»(٣)

وهناك آيات كريمة يُحذّر فيها الله تعالىٰ نبيّه(ص) من الدعاء والاستغفار

---

(١) الزمخشري «الكشاف» ص٤٢٤ المجلّد الأول، ط دارالمعرفة- بيروت.

(٢) سورة النساء/آية ٦٤.

(٣) سورة المنافقون/آية ٥.

للمنافقين الذين لازالوا على عبادة الأصنام، وذلك لأن عبادتهم لغيرالله يمنع من مغفرة الله لهم، حتى لواستغفرلهم النبي(ص) ممّا يدل على أن استغفار النبي (ص) نافذ ومؤثر إلّا لمن يعكف على عبادة الأصنام، لأن عبادة الأصنام مانعة من الإستجابة، فمثل إستغفار النبي (ص) لهم كمثل الماء الزلال الذي يهطل على الأرض الصلبة المانعة من نفوذ الماء فيها.

يقول تعالى: «إن تستغفرلهم سبعين مرة فلن يغفرالله لهم» (١). و«سواءٌ عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفرلهم لن يغفرالله لهم» (٢).

ويستفاد من بعض الآيات القرآنية بأن بعض المؤمنين كان يستغفر للبعض الآخر، كما في قوله تعالىٰ: «والذين جاؤوامِنْ بعدهم يقولون ربّنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان» (٣).

إن الآيات القرآنية تدلّ ـ بوضوح كامل ـ على بقاء الروح بعد الجسد كما أن الأدلّة الفلسفية وتجارب الروحيّين الثابتة قد برهنت على بقاء الروح الإنسانية بعد الموت. وهنا نكتفي بذكر بعض الآيات.

١ ـ «ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون» (٤).

٢ ـ «ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يُرزقون» (٥).

٣ ـ «فرحين بما آتاهم الله مِن فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم...» (٦).

٤ ـ ويستبشرون بنعمة من الله وفضل» (٧).

---

(١) سورة التوبة/آية ٨٠. (٢) سورة المنافقون/آية ٦. (٣) سورة الحشر/آية ١٠.

(٤) سورة البقرة/آية ١٥٤. (٥)و(٦) سورة آل عمران/آيه ١٦٩ و١٧٠. (٧) سورة آل عمران/آية ١٧١.

وقد صحّ صدور التوسّل من النبي(ص) وأصحابه وسلف الامة وخلفها، أما صدوره من النبي (ص) فقد صحّ في أحاديث كثيرة، منها أنه كان من دعائه: «اللّهم إني أسألك بحقّ السائلين عليك»، وصحّ في أحاديث كثيرة أنه كان يأمر أصحابه أن يدعوا به فمنها قال رسول الله(ص): «مَنْ خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللّهُمّ إني أسألك بحقّ السائلين عليك... الخ أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك»(١).

حتى قال بعضهم: ما مِنْ أحد من السلف إلّا وكان يدعو بهذا الدعاء عند الخروج إلى الصلاة.

فانظر الى قوله: «بحقّ السائلين عليك»(٢)، فإن فيه التوسّل بكل عبد مؤمن، فعلم من هذا كلّه أن التوسّل صدر من النبي (ص)، وأمر أصحابه أن يقولوه، ولم يزل السلف من التابعين ومن بعدهم يستعملونه ولم ينكر عليهم أحد.

ومن التوسّل أنه(ص) كان يقول في بعض أدعيته: «بحق نبيّك والأنبياء الذين من قبلي»(٣).

ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في التوسّل ماروي بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه وهو صحابي جليل مشهور: «أن رجلاً ضريراً أتى النبي(ص)... فأمره أن يتوضّأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللّهمُ إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة، يا محمد إني أتوجّه بك إلى

---

(١) رواه ابن ماجة بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري، وذكر هذا الحديث الجلال السيوطي في الجامع الكبير وكثير من الأئمة عند ذكرهم الدعاء المسنون.

(٢) روى الحديث المذكور ابن السني بإسناد صحيح عن بلال المؤذن رضي الله عنه ورواه الحافظ أبونعيم في «عمل اليوم والليلة»، ورواه البيهقي في كتاب «الدعوات».

(٣) وروى ابن أبي شيبة مثله، ورواه أبونعيم في «حلية الأولياء» عن أنس، ذكر ذلك كلّه الجلال السيوطي في «الجامع الكبير». ورواه ابن الصبّاغ المالكي في «الفصول المهمة» ص ٣١.

ربي في حاجتي لتقضى، اللّهمّ شفّعه فيّ، فعاد وقد أبصر»(١).

وليس لمنكر التوسل أن يقول: إنما كان ذلك في حياته(ص)، لأن هذا الدعاء استعمله الصحابة والتابعون بعد وفاته(ص) لقضاء حوائجهم.

فقد روى الطبراني والبيهقي: «أن رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان في حاجة لا يلتفت إليه، فشكى ذلك إلى عثمان بن حنيف ـ الراوي للحديث المذكور ـ فأمره بالوضوء والصلاة والدعاء المذكور، ثم أتى عثمان بن عفّان بعد ذلك فقضى له حاجته»(٢).

وروي أنه حصل قحط في خلافة عمر فجاء بلال بن الحرث إلى قبر النبي (ص)، وطلب منه أن يستسقي لأُمّته فسقوا، وفيه النداء والتوسّل والتشفع والإستغاثه به (ص) بعد الموت وهو من أعظم القرب(٣).

وروى البخاري في صحيحه: «أن عمر بن الخطاب (رض) كان إذا قُحِطوا استسقى بالعبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه وقال: اللّهُمَ كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا فَتُسقينا، وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا. قال: فَيُسْقَونَ»(٤).

وقد توسّل به (ص) أبوه آدم عليه السلام قبل وجوده في الدنيا حين أكل من الشجرة (٥).

وإلى هذا أشار الإمام مالك للمنصور حين سأله: «أأستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله(ص) وأدعو؟» فقال له مالك: «وَلِمَ تصرف وجهك عنه

---

(١) رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه. و سنن ابن ماجة: ج ١ ص ٤٤١، ومستدرك الصحيحين: ج ١ ص ٣١٣، ومسند أحمد: ج ٤ ص ١٣٨.

(٢) الطبراني في «المعجم الصغير»، والبيهقي في «دلائل النبوة».

(٣) رواه البيهقي وابن أبي شيبة بإسناد صحيح.

(٤) صحيح البخاري: ج ٢ باب صلاة الاستسقاء ص ٣٢.

(٥) وهذا الحديث رواه البيهقي بإسناد صحيح في كتابه المسمّى «دلائل النبوّة» عن عمر بن الخطاب. ورواه الحاكم في «المستدرك» وصحّحه.

وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالىٰ ؟»

فيحصل مما تقدم أن مذهب أهل السنّة والجماعة والشيعة الإمامية، جوّزوا التوسّل بالنبيّ (ص) في حياته وبعد وفاته، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، كما دلّت عليه الأحاديث السابقة وغيرها مما يطول شرحه.

ونقل عن الخطيب البغدادي عن الحسن بن ابراهيم الخلاّل أنه قال: «ما همّني أمر فقصدت قبر موسىٰ بن جعفر الكاظم (عليهما السلام) فتوسّلت به إلاّ سهّل الله سبحانه وتعالىٰ إلي ما أحب. وصحّ أن الامام الشافعي قال: «قبر موسىٰ الكاظم (ع) ترياق مجرّب» (٢).

ومن المناسب أن نشير الى بعض الكتب القيمة التي كتبها علماء أهل السنّة الأفاضل حول التوسّل بالنبي (ص)، والتي تكشف عن رأي علماء الإسلام في التوسّل بالأنبياء والأولياء، وتؤكد على أن التوسّل ـ على خلاف ماتدّعيه الزمرة الوهابية ـ كان أمراً متداولاً وسنّة متّبعة عند المسلمين طوال التاريخ.

١ ـ صُلح الاخوان: للخالديّ البغدادي المتوفى سنة ١٢٩٩هـ، وله أيضاً رسالة خاصة في الردّ على الآلوسي حول موضوع التوسّل بالنبي (ص) وقد طبعت الرسالة في سنة ١٣٠٦هـ.

٢ ـ فرقان القرآن: للعزامي الشافعيّ القضاعي، وقد طبع هذا الكتاب مع كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي في (١٤٠) صفحة.

٣ ـ البيان والإختصار: لابن داوود المالكيّ الشاذلي.

٤ ـ المواهب اللدنّية: لأبي العباس القسطلاني المتوفى سنة ٩٣٢هـ.

---

(١) ذكره القاضي عياض في «الشفاء» بإسناد صحيح، والسبكي في «شفاء السقام»، والسهروردي في «خلاصة الوفاء»، والقسطلاني في «المواهب اللدنّية»، وابن حجر في «الجوهر المنظم».

(٢) الخطيب البغدادي «تاريخ بغداد» ج١٣ ص٤١٠.

٥- شرح المواهب اللدنّيّة: للزرقانيّ المالكي، المصري المتوفى سنة ١١٢٢هـ، في الجزء الثامن.

٦- مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام: لمحمّدبن نعمان المالكي المتوفّى سنة ٦٧٣ هـ.

٧- شفاء السقام: لتقيّ الدين السبكي المتوفى عام ٧٥٦هـ.

٨- وفاء الوفا لأخبار دارالمصطفىٰ: للسيد نورالدين السمهودي المتوفى سنة ٩١١هـ (١).

فالتوسّل والتشفّع والإستغاثة كلها بمعنى واحد، وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلّا التبرك بذكر أحبّاء الله، على أن ذكر هؤلاء الأحبّاء سبب عادي في حصول ذلك التأثير من الله تعالىٰ، مثل الكسب العادي فإنه لا تأثير له أيضاً بنفسه.

إن التوسّل بالأولياء إنما هو بمحبّة الله تعالىٰ لهم. ومحبّته لهم صفة له تعالىٰ ونعم الوسيلة له صفته جلّ وعلا، ومابقي إلّا العناد وإختراع التأويلات الباطلة على غير مراده، وبالجملة فمن أفرط واعتقد أن الأنبياء والأولياء متصرفون مستبدون قادرون على الفعل والقطع والوصل من غير إلتجاء إلى الله تعالىٰ فهو ممكور به وقوله مردود. ومن فرّط وقاسَ الأنبياء والأولياء بالأصنام، والمسلمين المستمدين منهم الذين اتخذوهم شفعاء إلى الله تعالىٰ كعبدة الأوثان، فهم أقبح من ذلك وأسوأ حالاً وأضلّ سبيلاً.

والمجيزون للتوسّل بالأحياء دون الأموات هم المعتقدون تأثير غير الله، وهم الذين دخل الشرك في توحيدهم، فكيف يدّعون المحافظة على التوحيد، وينسبون غيرهم إلى الشرك ؟ سبحانك إن هذا إلّا بهتان عظيم.

---

(١) راجع الوهابية في الميزان ص١٨٥- ١٨٧.

المسلمون وطلب الشفاعة:

لقد ورد ذكر الشفاعة في بعض الآيات وفي الأحاديث المروية عن النبي والأئمة الأطهار(عليهم السلام)، وكلها تؤكد بأن الله سبحانه قدجعل لهم هذه الصلاحية، وأنهم سيشفعون يوم يقوم الناس للحساب لبعض المذنبين المستحقين للعقوبة التي أعدّها الله لمن عصاه، واستخفّ بأوامره ونواهيه.

فمن ذلك ماجاء عن النبي (ص) أنه قال: «ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي»(١) وقوله(ص): «إني أُشفّع يوم القيامة فأشفع، ويُشفّع عليٌّ فيشفع، وأن أدنى المؤمنين شفاعة يوم القيامة يشفع لأربعين من إخوانه» (٢).

وجاء عن الإمام محمّدبن عليّ الباقر(عليهما السلام) أنه قال: «إن قوله تعالى: «فمالنا من شافعين * ولاصديق حميم * فلو أن لنا كرّة فنكون من المؤمنين»(٣).يدلّ على وقوع الشفاعة يوم القيامة، لأن أهل النار لمّا رأوا يوم القيامة شافعين يشفعون لبعض المستحقين للعقاب فيشفعون ويخرجون بشفاعتهم من النار، لـمّا رأوا شافعاً يشفّع فيشفع وصديقاً حميماً يشفع لصديقه، عظمت حسراتهم فقالوا: فمالنا من شافعين ولاصديق حميم إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي تؤكد مبدأ الشفاعة ووقوعها يوم القيامة (٤).

وإذا صحّت هذه المرويّات وليس في متنها مايمنع من أن يجعل الله للنبي والأئمة وحتى للصالحين ميزة على غيرهم يوم القيامة لقاء مابذلوه من جهد للحصول على مرضاته، وماقدموه بين أيديهم من الطاعات والأعمال الصالحات، وبخصوص الآيات الكريمة، فبعضها يبدو منه عدم جدوى الشفاعة كقوله في

---

(١) السيد عبدالله شبر «حق اليقين» ج ٢ ص ٧٣.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سورة الشعراء/آية ١٠٠ـ ١٠٢.

(٤) بين التصوّف والتشيّع: ص١٢٦ الطبعة الأُولى ١٩٧٩م- دارالعلم بيروت.

الآية: ((فما تنفعهم شفاعة الشافعين))(١)، وقوله: ((ما للظالمين من حميم ولاشفيع يطاع))(٢)، والبعض الآخر ينصّ على أن الشفاعة لا تكون إلّا بإذنه ولمن ارتضىٰ من عباده، بينما النصوص تكاد أن تكون صريحة على جدواها حتى لأهل الكبائر من أمة محمّد(ص)، وأن الأئمة(ع) يشفّعون فيشفعون، وأنها لا تكون إلّا للمذنبين المستحقين للعقوبة.

ولا أرىٰ مايوجب التنافي بين الآيات من جهة وبينها وبين الروايات من جهة اخرىٰ، ذلك لأن الآيات التي تنفي الشفاعة للظالمين وعدم جدواها بالنسبة إليهم كقوله: ((فما تنفعهم شفاعة الشافعين))، وقوله: ((ما للظالمين من حميم ولاشفيع))(٣) يمكن أن تكون ناظرة إلى الكفار والجاحدين وإلىٰ من تراكمت عليهم السيّئات من المسلمين وماتوا وهم في غفلة مما صدر منهم وما عليهم من الحقوق والواجبات، وبخاصة أولئك الذين ينفقون حياتهم في الظلم والتعدّي على كرامة الناس وحقوقهم، فهؤلاء لا تنفعهم الشفاعات، ولا جميع الوسائل مهما كان نوعها، ولا أظنّ أن الأنبياء والائمة (عليهم السلام) يرقّون لحالهم ولما يلاقون من المصير السيّئ حتى يشفعوا لهم.

و أما الآيات التي تربط الشفاعة بإذنه وبمن ارتضاه فيمكن أن تكون نتيجتها زيادة الأجر والثواب للمطيعين، كما يمكن أن تكون شفاعتهم لأهل الكبائر تعني الراجعين إلى الله والتائبين إليه، أو لمرتكبي صغائر الذنوب الذين يستحقون عليها نوعاً من العقاب، فالشفاعة لهؤلاء بصفتهم لم يخرجوا عن مرضاة الله ولم يتمرّدوا عليه ويحسّون بالمسؤولية ويحاسبون أنفسهم على ماصدر منهم، لابُدّ وأن تنفعهم وتضعهم في صفوف المطيعين والعاملين، ولابُدّ من حمل الروايات التي تثبت الشفاعة للأنبياء والأئمة وحتىٰ للصالحين والصادقين في

(١) سورة المدثر/آية ٤٨. (٢)و(٣) سورة غافر/آيه ١٨.

إيمانهم على هذا النوع من ذوي المعاصي، أو تكون لزيادة أجر العاملين والمطيعين.

أمّا تأكيد النبي(ص) على امته والأقربين من آله(عليهم السلام) بالعمل وعدم الإتكال عليه، وأنه لايغني عنهم من الله شيئاً، هذا التأكيد منه في أكثر من مناسبة لايدلّ على أنه ليس له أن يشفع، وأن شفاعته لا تنفع كما توهّمه البعض منها، بل جاء تأكيده هذا حتى لا يتّكلوا عليه ويتساهلوا في بعض ما فرضه الله ظنّاً منهم بأن صلتهم بالرسول(ص) تجعل لهم عندالله من المنزلة ماليس لغيرهم من سائر الناس.

وعلى أيّ حال فالشفاعة ليست من أُصول الإسلام ولا من أركان التشيّع. ومع ذلك فالمسلمون كما يبدو متّفقون على ثبوتها للنبي(ص) كما في المواقف للآيجي، ولا خلاف فيمن له الحق في الشفاعة وفيما يشفع به. فقد جاء: «أن الوسيلة والشفاعة ثابتتان عقلاً وشرعاً، إن الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنّة وإجماع الأمة، وهي للنبي(ص) صاحب الوسيلة العظمى والشفاعة الكبرى، وأنه(ص) الشافع المشفع يوم القيامة، وإن أصحابه كانوا يتوسّلون به ويستشفعون به إلى الله، وقد علّمهم أن يتشفعوا به وقال لهم: سلوا الله الوسيلة فانها درجة في الجنة لاينبغي أن تكون إلّا لعبد من عبادالله، وأرجو أن أكون ذلك العبد، فمن سأل لي الوسيلة حقت له شفاعتي يوم القيامة»(١).

وروى الترمذي عن أنس أنه قال: «سألت النبي(ص) أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعلٌ، قُلْتُ: فأين أطلبك؟قال: على الصراط»(٢).

و يأتي سواد بن قارب الى رسول الله(ص) ويطلب منه الشفاعة في أبياتٍ

(١) السيد محمود أبوالفيض «جمهرة الأولياء» ص١١٩.

(٢) سنن الترمذي: ج٤ ص٤٢ (باب ماجاء في شأن الصراط).

أنشدهن، ومنها:

فكن لي شفيعاً يومَ لا ذوشفاعة بمُغنٍ فتيلاً عن سوادبن قارب(١).

ويروى أنه لما توفي رسول الله(ص) كشف أبوبكر عن وجهه وقبّله وقال: «بأبي أنت وأُمّي، طبت حيّاً وميّتاً، اذكرنا عند ربّكَ»(٢)

وعن ابن عبّاس(رض): «لما فرغ أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب(ع)من تغسيل النبي(ص) قال: بأبي أنت وأُمّي... طبت حيّاً وطبت ميّتاً... واذكرنا عند ربّك»(٣)

يستشفّ من الروايتين المذكورتين أنه لافرق بين طلب الشفاعة من الشفيع في حياته وبعد مماته.

والحق أنه لامعبود إلّا الله ولا تأثير لغيرالله، وأن التوسّل والاستمداد والإستعانه والإستغاثة والإستشفاع بالأنبياء والأولياء في قضاء الحوائج الدنيوية والأُخروية جائز عقلاً وشرعاً، وحاصل فعلاً بمحبّة الله تعالىٰ وكرامته لأنبيائه وأوليائه، وكرامات الأولياء ثابتة بالكتاب والسنّة، و واقعة بالفعل لهذه الأُمة من زمن نبيّها(ص) الى اليوم. وكما أوضحنا معنىٰ الوسيلة والاستشفاع وغيرهما مما يرادفهما، وذكرنا الأحاديث الصحيحة الواردة في مشروعيتهما وجواز فعلهما عندالشيعة وأهل السُنـة والجماعة، رأينا أن ذلك فضلاً عن كونه لاينا في التوحيد فهومن كمال التوحيد وانكسار القلب الى الربّ جلّ وعلا.

وممّا لاشك فان الكرامات والمعجزات قد وقعت على أيدي الأنبياء وهي من الأحداث التي لايعتريها الشك. والتشكيك بها تكذيب للقرآن الكريم الذي

(١) زيني دحلان: الدرر السنيّة ص٢٩.

(٢) العلاّمة السيد محسن الأمين العاملي «كشف الارتياب عن اتباع محمّد عبدالوهاب» ص٦٥، نقلاً عن خلاصة الكلام.

(٣) نهج البلاغة: رقم الخطبة ٢٣٠.

أخبر عن كرامات السيد المسيح عليه السلام وأمه الطاهرة مريم (عليها السلام) وزكريا وأهل الكهف وموسىٰ وكوزير سليمان وغيره من الأنبياء، كما أكّدت المرويات الصحيحة بوقوعها من الأئمة عن طريق الإستجابة العاجلة لأدعيتهم عندما تقتضي المصلحة ذلك ولغير ذلك من الأسباب. وغيرهم ممّا لو ذكرناه لطال المقام.

وقد ذكر ابن تيمية المشهور بخلافه لمذهب أهل السنّة والجماعة في بعض مسائل الإعتقاد مانصّه: «وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً، مثل ماكان أُسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلّة فيها أمثال السرج هي الملائكة نزلت لقراءته. وكان سلمان وأبوالدرداء يأكلان في صحفة فسبّحت الصحفة أو سبّح مافيها. وحديث أُمّ أيمن حين هاجرت وعطشت فرأت دلواً معلّقاً في الهواء، فشربت منه وما عطشت بقيّة عمرها. و«سفينة» مولىٰ الرسول (ص) ضلّ طريقه ولقي أسداً فأخبره أنه مولىٰ الرسول (ص) فسار معه حتى أوصله الى مقصده. ولما عذّبت «الزبيرة» في الإسلام وكفّ بصرها قال المشركون: أصابها اللاّت والعزىٰ، فقالت: كلاّ والله، فردّ الله بصرها. والعلاء بن الحضرمي مشىٰ مع الجيش على الماء فلم تبتلّ قدماه. وقد حصل مثله لأبي مسلم الخولاني الذي أُلقي في النار فلم تضرّه الخ »(١).

ممّا لو أتينا على جميعه لاحتجنا الى التطويل، وهل يمكن لهؤلاء المانعين للتوسّل والشفاعة والكرامات أن ينفوا لنا ما أثبتناه في هذا الباب من الكتاب والسنّة الصحيحة.

لقد أجمع المسلمون كافة على ثبوت أصل الشفاعة، وأنها تقبل من الرسول

---

(١) ابن تيمية «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

الأعظم(ص)، واختلفوا في تعيين المشفوع فيه، فقال الإمامية والأشاعرة: إن النبي(ص) يشفع لأهل الكبائر بإسقاط العقاب عنهم. وقال المعتزلة: لايشفع إلّا للمطيعين المستحقين للثواب، ومعنى شفاعته للمؤمن المطيع أن يطلب له من الله زيادة الثواب وتضاعف الحسنات. وأبطل المحقّق الطوسي(١) في كتاب «التجريد» هذا القول بأنه لوكانت الشفاعة في زيادة المنافع لجاز أن نشفع نحن في النبي(ص)، ونطلب له علوّ الدرجات، وهو باطل، لأن الشافع أعلى من المشفوع فيه، وأمّا الآيات الدالّة على نفي الشفاعة كقوله: «فما تنفعهم شفاعة الشافعين» فمتأوّلة بالجاحدين، جمعاً بينها وبين ما دلّ على قبول الشفاعة (٢).

زيارة القبور وسيرة المسلمين:

المعروف أن الوهابية تدين بعدم البناء على القبور منذ وجودها، حيث لاذهب أسود، ولا أبيض، ولا فولاذ ولا زنك ولا حديد.

هذا صحيح، وصحيح أيضاً أن من يستأثر على الناس بما تحتاج إليه هو عدوّ طبيعي لمن لايرى لنفسه شيئاً تحتاجه الناس، أراد ذلك، أولم يرد.

إنّ الذي قوّى من عزمة الوهابيين على الهدم، ومحاولة الإعفاء على الرسم، هو تصوّرهم وتخيّلهم انّ الدافع والمحرّك الأول هو الإخلاص للوحدانية والقضاء على الوثنية.

إن الأحجار ليست بشيء في ذاتها، ولاصلة لها بالعبادة، ولا بالولاء... وماهي إلّا علامات ودلائل على المكان، تماماً كالمآذن هذي هي الحقيقة، أمّا عبادة الأحجار أو عبادة صاحب القبر فكلام فارغ لامدلول له ولا أثر

(١) هو محمّد بن الحسن الفيلسوف المتكلّم الإمامي، له مؤلّفات كثيرة في علم الكلام والفلك والهندسة، وتحدّث عنه علماء الغرب والشرق، وهو صاحب الرصد العظيم بمدينة مراغة، توفي سنه ٦٢٢ هـ.

(٢) الشيخ محمدجواد مغنية «الأمامية بين الأشاعرة والمعتزلة» ص ٢٥٥.

عندالمسلمين بل هذه العبادة شرك في عقيدتهم، ولايورّثون فاعلها، ولايخالطونه في مأكل أو مشرب.

ولنذكر نصّ الحديث بالسّند الذي رواه مسلم في صحيحه والذي يتمسّك به الوهابيون في حرمة البناء على القبور. من دون أي تحقيق في رجاله وسنده. قال: «حدّثنا يحيىٰ بن يحيىٰ وأبوبكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب، قال يحيىٰ: أخبرنا ـ وقال الآخران: حدّثنا ـ وكيع عن سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي وائل عن أبي الهيّاج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثكَ على ما بعثني عليه رسول الله أن لا تدع تمثالاً إلّا طمسته ولاقبراً مشرفاً إلّا سوّيته»(١).

فبالنسبة الى السند، ففيه رواة لم تتّفق كلمة علماء الرجال على وثاقتهم، فوكيع وسفيان الثوري وحبيب بن أبي ثابت وأبو وائل الأسدي انتقدهم الحافظ ابن حجر العسقلاني.

١ـ روي عن أحمد بن حنبل أنه قال في وكيع: «إنه أخطأ في خمسمائة حديث» (٢). ويقول أيضاً نقلاً عن محمد بن نصر المروزي: «كان [وكيع] يحدّث بالمعنىٰ ولم يكن من أهل اللسان»(٣).

٢ـ روي عن ابن مبارك أنه قال في سفيان الثوري: «حدّث سفيان بحديث، فجئته وهو يدلّسه، فلما رآني استحيىٰ»(٤) والراوي المدلّس يكون فاقداً لملكة العدالة والصدق. وعن يحيىٰ القطّان قال: «جهد سفيان الثوري أن يُدلّس عليّ رجلاً ضعيفاً فما أمكنه»(٥).

٣ـ عن أبي حيّان: [كان حبيب بن أبي ثابت] مُدلِّساً»(٦).

---

(١) صحيح مسلم: ج٣ كتاب الجنائز ص ٦١.
(٢) العسقلاني «تهذيب التهذيب» ج ١١ ص ١٢٥.
(٣) المصدر السابق: ج ١١ ص ١٣٠.
(٤) نفس المصدر: ج ٤ ص ١١٥.
(٥) أيضاً: ج ١١ ص ٢١٨.
(٦) تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ١٧٩.

٤ـ أما بالنسبة الى أبي وائل فقد كان من المنحرفين عن أميرالمؤمنين علي (ع) فكيف يعتمد عليه وقد قال الرسول(ص): «يا علي لايحبّك إلّا مؤمن، ولايبغضك إلّا منافق»(١)

والجدير بالذكر أن راوي حديث أبي الهيّاج ليس له حديث في كلّ الصحاح الستة من أولها إلى آخرها ـ إلّا هذا الحديث فقط، فما تقول في رجل ليست له إلّا رواية واحدة؟!(٢).

ويرى الوهابيون عدم جواز ذلك للحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن ابن شهاب الزهري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلم: «لا تشدّ الرحال إلّا الى ثلاثة مساجد: المسجدالحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا»(٣)«وان الصخرة التي وضع رسول الله «صلى الله عليه [وآله] وسلم» قدمه عليها تقوم مقام الكعبة»(٤).

وهذا الحديث الذي نسبه الزهري(٥) الى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم من جملة موضوعاته التي كان يتقرب بها للأمويين لأنه كان من أتباعهم وقضاتهم، وغير بعيد عليه أن يضع لهم هذا الحديث استجابة لطلب عبدالملك بن مروان حينما منع الناس من الحجّ الى مكّة في عهد ابن الزبير، وبعد أن أذاع حديث الزهري بين الناس بنى على الصخرة قبّة وأمر الناس أن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة في موسم الحج.

«والذي عليه جمهرة الفقهاء وهو الذي نعتقده صواباً أن شدّ الرحال إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين الزيارة الشرعية جائزة ولا تدخل في نهي الرسول

---

(١) الهيثمي «مجمع الزوائد» ج٩ ص١٣٣، وقريباً منه رواه الترمذي في صحيحه: ج٢ ص٣٠١، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ وغيرهم.

(٢) راجع «الوهابية في الميزان» ص٧٦ ـ ٧٩. (٣) صحيح البخاري: ج١ ص٢٣٥.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٨. (٥) وصفه الذهبي في «ميزان الإعتدال» المجلّد الرابع ص٤٠ بالتدليس.

الكريم عليه [وآله] الصلاة والسلام، هذا وانما النهي منصبّ على شدّ الرحال إلى غيرهذه المساجد الثلاثة بقصد الصلاة فقط لأن الصلاة في المساجد كلّها-سوى المساجد الثلاثة المذكورة- ذات أجر واحد لافضل لمسجد على آخر كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة ومن ذلك قوله عليه [وآله] الصلاة والسلام: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلاّ المسجد الحرام. وصلاة في المسجدالحرام أفضل من مائة ألف في مسجدي»(١).

روي عن أمير المؤمنين علي (ع) أنه قال: «إن أعرابياً قدم علينا بعد ما دفنّا رسول الله(ص) بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبرالنبي، وحثامن ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك: «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك ...» وقد ظلمتُ وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر: قد غُفِرَ لك»(٢).

وروي عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنها أخذت قبضة من تراب قبر أبيها المصطفى(ص) تشمّه وتبكي وتقول في ذلك:

ماذا على من شمّ تربة أحمد ألاّ يشمّ مدى الزمان غواليا
صُبّتْ عليّ مصائب لو أنها صُبّت على الآيام صِرن لياليا(٣)

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله(ص): «من جاءني زائراً لايعلم له حاجة إلاّ زيارتي كان حقّاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»(٤).

(١) الشهيد عبدالعزيز البدري: الإسلام بين العلماء والحكام ص٢٠٧ الهامش طبعة ١٤٠٠هـ وهو يردّ على ابن تيمية.

(٢) المتقي الهندي «كنزالعمال» ج٢ ص٢٤٨، وفاء الوفا لأخبار دارالمصطفى للسيد نورالدين السمهودي ج٢ ص١٣٦١، والآية ٦٤ من سورة النساء.

(٣) الخالدي «صلح الأخوان» ص٥٧، السمهودي «وفاء الوفا» ج٢ ص٤٤٤.

(٤) الهيثمي «مجمع الزوائد» ج٣ ص٢.

وعنه (ص): «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً أو شفيعاً. وَمَنْ زار قبري وجبت له شفاعتي، ومن حجّ وزار قبري بعد وفاتي كمن زارني في حياتي» (١)

وقالت عائشة: «إن رسول الله(ص) رخّص في زيارة القبور»(٢).

ويحدّثنا ابن الأثير عن بلال ـ مؤذن رسول الله ـ أنه أقام في الشام في عهد عمر فرأى في منامه الرسول (ص) يقول له: «ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني يا بلال؟» فانتبه حزيناً وجلاً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي (ص)ـ فجعل يبكي عنده ويُمَرّغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام فجعل يضمّهما ويقبّلهما... إلخ»(٣).

ويكفي في ذلك ماذكره مسلم في صحيحه بإسناده عن أبي بريدة عن أبيه عن النبي (ص) قال: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»(٤).

فهذا الذي ذكرته يكفي في إبطال ماتوهّم به ابن تيمية القائل: «وقد علم من ضرورة دين الاسلام أن النبي (ص) لم يأمر بما ذكروه ـ يعني الإمامية ـ في أمر هذه المشاهد، ولاشرّع لأمّته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين الذي قال الله تعالى فيهم: «وقالوا لا تذرُونّ آلهتكم ولا تَذرُونّ ودّاً ولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً»(٥) وقال أيضاً من جملة كلام له على الإمامية: «إنهم يعظّمون المشاهد المبنية على القبور، فيعكفون عليها مشابهة للمشركين، ويحجّون إليها كما يحجّ الحاجّ الى البيت العتيق، ومنهم من يجعل الحج إليها أعظم من الحج الى الكعبة. بل يسبّون من لا يستغني بالحجّ إليها عن الحجّ الذي فرضه الله تعالى على عباده، وهذا من جنس دين النصارى والمشركين

(١) المتقي الهندي «كنز العمال» ج٨ ص٩٩.

(٢) صحيح ابن ماجة ج١ ص١١٤.   (٣) ابن الأثير «أُسد الغابة» ج١ ص٢٨.

(٤) صحيح مسلم: ج٣ حديث ١٥٦٤. ورواه مالك في «الموطأ» ج١ ص٣٢١.   (٥) سورة نوح/آية ٢٣.

الذين يفضّلون عبادة الأوثان على عبادة الرحمن. وقد صنّف شيخهم المفيد كتاباً سمّاه «مناسك المشاهد»، جعل قبور المخلوقين تُحجّ كما تُحجّ الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس»(١).

إن أول مايراه القارئ في مقال شيخ الضلالة ابن تيمية هو براعة الاستهلال، وذلك حين استعدّ وتأهّب لدفع مزاعم الشيعة، فأتى بانموذج فريد من نوعه يعبّر عن عقليّته،ويدل على نوع أدلّته التي سوف يدفع بها مزاعم الشيعة، فأظهر لباقته الكاملة في البحث العلمي الديني.

ونقول نحن: وهنا بلغ الحماس الديني بابن تيمية إلى أوْجِه الأعلى، فانحطّ إلى أسفل درك من الكذب والوقاحة، وعمل بالكلمة المشهورة إذا لم تستح فاصنع ماشئت، فرأى نفسه بطل هذا الميدان، فأتى بطامّات ومفتريات يعجز عنها العقل واللسان:

من كان يخلق مايقول فحيلتي فيه قليلة

وإلّا فمن هو ذلك القائل من الشيعة: إن الحجّ الى المشاهد أعظم من الحجّ الى الكعبة؟! وصدق الله العلي العظيم: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين»(٢).

نعم لقد أتى شيخ الضلالة ابن تيمية على شيخ الإمامية المفيد رحمه الله بكلمات، ولايُلام ابن تيمية وأمثاله، فإن الآنية تنضح بما فيها.

لقد ترجم للشيخ المفيد قدّس سّره الكثير من علماء السنّة والشيعة،وشهدوا بفضله في الفقه والكلام والرواية والثقة والعلو. وكان ذا جلالة عظيمة وكان خاشعاً متعبّداً متألّهاً(٣).

---

(١) ابن تيمية «منهاج السنة» ج١ ص١٣١. (٢) سوره الحجرات/آية ٦.

(٣) راجع «تاريخ دول الإسلام» ج١ ص١٨٠ للذهبي، و«الأمتاع والمؤاسنة» لأبي حيّان التوحيدي ←

نعم لاغَرابَةَ في كل مايلصقه الوهابيون بهذه الطائفة من التُهم الكاذبة ماداموا يرون ابن تيمية- وهو نبيّهم المرسل- يحدّث ذلك، وما هذه الكلمات التي وضعتها بين يديك- أخي المسلم- إلاّ قليل من كثير ممّا تكلّموا به حول الشيعة.

وما كانت الشيعة لتغفل عن هذا كله غير أنها كانت تحمل أغلب كلمات القدماء القارصة على أنها وليدة الظروف القاسية التي كانت تدفعهم الى المغالطة والتمويه في كثير من الأحايين حفظاً لأنفسهم، واتّقاءً من شرّ السلطة الحاكمة يومذاك.

وماكانت لتحسب أن في القرن الخامس عشر وفي عصر النور من يفحص عن آراء قد عفت عليها الأيام وأماتتها السنون.

نعم... لم يعتبر أحدٌ من علماء المسلمين بأن زيارة قبور النبي والأئمة عليهم السلام والأولياء والصالحين معارضة للمبادئ والأصول الإسلامية-إلاّ ما كانت من أفكار ابن تيمية الشاذّة وآرائه السقيمة في القرن الثامن الهجري- مخالفاً لكثير من سنن المسلمين ومبادئ الإسلام.

وتحلّ روح ابن تيمية في جسد محمّد بن عبدالوهاب بعد ثلاثة قرون ليحيي مبتدعات و مخاريق ابن تيمية بنحو أشد.

فزيارة القبور ليست هي من نوع التقرّب إلى غيرالله تعالىٰ في العبادة- كما توهمه بعض من يريد الطعن في طريقة الإمامية، غفلة في حقيقة الحال فيها بل هي من نوع التقرّب إلى الله تعالىٰ، وليس المقصود منها عبادة الأئمة، وإنما المقصود منها إحياء أمرهم وتجديد ذكرهم، وتعظيم شعائرالله فيهم(١)، «ومن

ج١ ص١٤١- وابن كثير الشامي في «البداية والنهاية» ج١٢ ص١٥، وابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» ج٣ ص١٩٩. وابن الجوزي في «المنتظم» ج٨ ص ١١، وابن النديم في «الفهرست» ص٢٨٣ و. و. و.

(١) راجع «عقائد الإمامية» للشيخ المظفر ص٣٧ و٣٨.

يعظم شعائرالله فانهامن تقوى القلوب»(١).

إن في زيارة القبور المقدّسة فوائد اجتماعية ودينية لاتحصىٰ، فأول فائدة هي العبرة بأن كل شيءٍ هالك إلّا وجه الله الكريم، وأن مردّ الجميع إليه سبحانه وتعالىٰ، وأن من حذا حذو الصلحاء أمن عقوبة الآخرة، ومن غفل وتمادىٰ فاته الثواب الأوفىٰ، لأن الزائر يستزيد معرفة لهم وتقوى رابطة المحبة بينه وبينهم، ويعضد هذا القول ماجاء في القرآن الكريم: «ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يرزقون»(٢). فهذا اعتقاد كثيرمن علماء المسلمين في النبي(ص).

وثاني فائدة هي اجتماعية، فباجتماع الزائرين عند قبّة الولي في المواسم المشهورة يتمّ تعارف بعض أبناء الأمصار والأقطار البعيدة فتنطبع فيهم روح الولاء الديني، والإيمان بالله عزّوجل، وما أحلىٰ التآلف والتحابّ في الله، وماذلك التعارف إلّا ببركة أولئك الصلحاء من المعصومين والمؤمنين، وقد ورد في الحديث الشريف: «إن المتحابّ في الله يظلّه الله في ظلّه يوم لاظلّ إلّا ظلّه».

إن من يراجع كتب الصحاح والسنن والمسانيد والتواريخ، يرى أن الصحابة والتابعين كانوا يتبرّكون بكل مايرتبط بالنبي(ص) ويستشفعون بقبره بوضع الخدّ عليه وشمّ تربته والبكاء عنده، بل والتبرك بعصاه وملابسه، والصلاة في الأماكن التي صلّى أو مشىٰ فيها.

وهذه الروايات على حدّ من الكثرة والتواتر بحيث يستحيل عند العقل أن تكون موضوعة ومجعولة، وكيف تكون كذلك وقدرواها الشيخان: البخاري ومسلم، وغيرهما من أعلام الحديث (٣).

---

(١) سورة الحج/ آية ٣٢. (٢) سورة آل عمران/آية ١٦٩.

(٣) الوهابية في الميزان ص٢١٧، نقلاً عن صحيح البخاري ج ٤ ص ٨٢ المطبوع سنة ١٣١٤هـ.

وقد قام بجمع هذه الروايات وتوضيحها مع ذكر مصادرها الفاضلان المحققان: الاستاذ الشيخ محمّدطاهر مكّي في كتابه «تبرّك الصحابة بآثار رسول الله» والاستاذ الفذّ الشيخ علي الأحمدي في كتابه القيّم «التبرّك »، وقد استقصىٰ فيه المؤلّف كل ماورد حول التبرّك ، والكتاب يعتبر من حسنات العصر(١).

ويجدر بنا في هذا المقام أن نلفت أنظار سادتنا علماء الدين الحنيف إلى ماكتبناه في هذا المقام، وإلى مايجريه الوهابيون بالدين الجديد في طول البلاد وعرضها من التشكيك للامة من أمر دينها، ولا يخفىٰ على حضراتهم أن هؤلاء الوهابيين لم يمكنهم أن يلبسوا على الناس مازعموه في شكل إصلاح إلّا بدعوىٰ الاجتهاد المطلق الذي يتعدر وجوده في شخص هذاالعصر كأئمة السلف المجتهدين... فهل ماجاء به الكتاب والسنّة من الهدىٰ والإرشاد الصحيح حتىٰ يحتاج الدين لمن يكمله باجتهاد جديد يدّعيه من ليس أهلاً له فيتحول الدين عن صراطه، الأمر الذي يستحيل وقوعه الى آخرالدهر، قال تعالىٰ: «إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون»(٢)، وهل نسيتم يا علماء الدين وحماة الشريعة ما ادّعاه الجلال السيوطي في الإجتهاد المطلق، ورجوعه عن هذا الإدعاء مع سعة علمه وغزارة مادّته عندما قام عليه علماء عصره يطالبون بالحجة والبرهان؟

فما سبب هذا السكوت وبدع «الوهّابيّة» قد أحدقت بأُمة محمّد(ص)؟ أعجز عن الدفاع عن الدين أم تفضيل لحطام الدنيا الفاني على تأييد وخدمة شريعة سيد المرسلين؟

أُناشدكم الله أيها السادة هل سكوتكم هذا يرضي الله ورسوله(ص)؟ كلاّ، بل هو إقرار لما يأتيه المرجفون، ولاحول ولاقوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

---

(١) نفس المصدر: ص٢١٧.　　(٢) سورة الحجر/ آية ٩.

ابن تيمية في الميزان:

إن ابن تيمية الذي تمسّك الوهابيون بأُفائكه واباط أباطيله وأنزلوه منزلة النبي المرسل وتلقّوا أراجيفه كالوحي المنزل، هوالذي أباح حمىٰ التوحيد وهتك ستوره وخرق حجابه، ونسب الى الله سبحانه وتعالىٰ مالا يليق بجلال قُدْسِهِ وعظمته، تعالىٰ وتقدّس عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

وهو الذي عرّفنا التوحيد بقوله: «إنه سبحانه فوق سماواته على عرشه، عليٌّ على خلقه»(١). والقائل أيضاً: «ينزل ربّنا إلى سماء الدنيا كلَّ ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له، مَنْ يسألني فأعطيه، مَنْ يستغفرني فأغفرله»(٢).

إنه أثبت لله سبحانه وتعالىٰ جهة الفوق والاستواء على العرش والكرسي، والنزول الى السماء الدنيا والإياب والذهاب والقرب... وما إلى ذلك كلها بحقيقة معانيها، وأثبت له سبحانه وتعالىٰ الوجه واليدين اليمنىٰ والشمال والكف والأصابع والعينين.. كل ذلك بمعانيها الحقيقية من دون تأويل، وهو تجسيم وتشبيه صريح.

ويقول بتكلم الله سبحانه وتعالىٰ بحرف وصوت، وهو أوّل من زمرّ بهذا المزمار وصنّف فيه رسائل مستقلّة كالعقيدة الحموية والواسطية ووافقه في ذلك تلميذاه ابن القيّم الجوزية وابن الهادي، وكذا بالنسبة لمحمد بن عبدالوهاب، ولذلك حكم علماء عصره ومصره بضلاله وكفره، حتىٰ كفر من سمّاه بشيخ الاسلام.

فأنت ترىٰ شيخ الضلالة صاحب «منهاج البدعة» يقول بالتجسيم بأقبح

---

(١) الآلوسي «تاريخ نجد» ص ٩٠ و٩١.

(٢) يراجع «رسالة العقيدة الحموية» لابن تيمية.

صوره، فإنه يرىٰ أن الله سبحانه يهبط الى السماء الدنيا الى غير ذلك من الخرافات المضحكة التي نربأ بعجائز البربر أن تفوه بمثلها أو تؤمن بها.

والحقّ أن مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى وتجسيمه من المسائل الواضحة البطلان بقطع النظر عن الآيات والنصوص الناطقة بذلك، لأن من لوازم القول بالتجسيم الرضوخ الى حدوث الباري عزّشأنه، ذلك أن كل جسم محدث وممكن يحتاج لمؤثر، وعليه فيخرج الواجب عن كونه واجب الوجود، وليس هذا مما ينطبق على التعاليم الإسلامية الحقّة، وقد نزّهت الشيعة الإمامية الباري عزّ اسمه عن وصمة الرؤية والتجسيم كما هو معروف من مذهبهم، وهذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ع)ـ وهو إمامهم ـ الذي يدينون الله بالاعتصام بحبله، ويتقربون إليه عزّشأنه بالجري وراء خططه وتعاليمه القيّمة يقول: «من وصف الباري فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه»(١).

لذا فإن أعلام عصره وقضاة مصره خالفوه وقابلوه بالطعن والردّ الشديد، فأفرد تقيّ الدين السبكي بالوقيعة عليه كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» و «الدرّية المضيـة في الردّ على ابن تيمية» وزيّفوا آراءه ومعتقداته طي تآليفهم القيّمة كقاضي قضاة المالكية تقيّ الدين الأخنائي في «المقالة المرضية» والفخر بن المعلم القرشي في «نجم المهتدي ورجم المقتدي» وتقيّ الدين الحصني في «دفع الشبهة» وتاج الدين الفاكهاني المتوفى سنة ٨٣٤ في «التحفة المختارة في الردّ على منكر الزيارة» وأبي عبدالله محمّد بن عبدالمجيد القاسي في تآليفه والشيخ سليمان بن عبدالوهاب في «الصواعق الإلهية في الردّ على الوهابية» وهو أخو محمد بن عبدالوهاب. وابن حجر في «الفتاوى الحديثية» والقسطلاني في «المواهب اللدنّيّة» والزرقاني في «شرح

(١) البحار: ج٤ ص٢٩٤ و٢٩٥.

المواهب»(١) ... ومؤلّفات أُخرىٰ.

تصدّىٰ العلاّمة الحافظ ابن حجر لابن تيمية وقال في حقه «ابن تيمية عبدٌ خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه، وبذلك صرح الائمة الذين بيّنوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الإجتهاد أبوالحسن السبكي وولده التاج والشيخ الامام العزّ وجماعة من أهل عصرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، ولم يقصر اعتراضه- ابن تيمية- على متأخري الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب.

والحاصل: أنه لايقام لكلامه وزن يرمىٰ في كل وعر وحَزَن، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضالّ مضلّ غال عامله الله بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله- آمين- »(٢).

قال أحمد بن حجر الهيثميّ المكيّ الشافعي صاحب «الصواعق المحرقة» «إنّ ابن تيميّة تجاوز الى الجناب المقدّس وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامّة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم ...»(٣).

وقال أيضاً «على ماحكي أن الناس افترقت في ابن تيمية (فمنهم) مَنْ نسبه الى التجسيم لماذكره في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك قوله: إنّ اليد والساق والقدم والوجه صفات حقيقيّة لله سبحانه وتعالىٰ، وأنه سبحانه وتعالىٰ مستو على العرش بذاته فقيل له: يلزم من ذلك التحيّز والإنقسام فقال: أنا لاأُسلّم أنّ التحيّز والإنقسام من خواصّ الأجسام. فألزم بأنه يقول

---

(١) العلاّمة السيد أحمد عزيز الموسوي «براهين الشيعة الجليّة في دحض أباطيل الندوي وابن تيميّة» ص ٦٠.

(٢) ابن حجر «الفتاوى الحديثية» ص ٨٦.

(٣) العلاّمة المرحوم السيد محسن الأمين العاملي «كشف الارتياب» ص ١٣٠ نقلاً عن «الجوهر المنظم في زيارة قبر المكرم» لابن حجر، الهيثمي.

بالتحيّز في ذات الله سبحانه و تعالىٰ.

(ومنهم) من ينسبه الى الزندقة لقوله: إنّ النبي(ص) لايستغاث به وأن في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله(ص).

وكان أشدّ الناس عليه في ذلك ـ يعني في القول بزندقته ـ النور البكري، فإنه لمّا عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين: يعزر، فقال البكري: لامعنىٰ لهذا القول، فإنه إن يكن تنقيصاً يقتل وإن لم يكن تنقيصاً فلا يعزّر.

(ومنهم) من ينسبه الى النفاق لقوله في علي(ع) أنه مخذول حيث ما توجه وأنّه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنما قاتل للرئاسة لا للديانة، وأنّه(ع) كان يحبّ الرئاسة. وأن عثمان كان يُحبّ المال، ولقوله: أبوبكر أسلم شيخاً يدري مايقول، وعليٌّ أسلم صبياً، والصبيّ لا يصحّ إسلامه... فإنه شنّع في ذلك فأُلزم بالنفاق لقوله(ص): «لايبغضك إلّا منافق».

ونسبه قوم الى أنه يسعىٰ في الإمامة الكبرىٰ، فإنه كان يلهج بذكر «ابن تومرت» ويطريه وكان ذلك مولداً لطول سجنه، وله وقايع شهيرة وكان إذا حوقق وأُلزم يقول: لم أرد هذا إنما أردت كذا، فيذكر احتمالاً بعيداً»(١)إنتهىٰ كلام ابن حجر.

وقال الامام الشيخ محمّد البرسي «وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله تعالىٰ بعدله ـ وذكر تحريمه للسفر الى زيارة النبي(ص) إلى أن قال: ـ حتى تجاوز الجناب الأقدس المستحّق لكل كمال أنفس، وخرق سياج الكبرياء والجلال، وحاول إثبات ماينافي العظمة والكمال بادعائه الجهة والتجسيم، ونسبه من لم يعتقدهما الى الضلالة والتأثيم، وأظهر هذا الأمر على المنابر، وشاع وذاع ذكره بين الأكابر والأصاغر... الخ»(٢)

---

(١) كشف الارتياب: ص ١٣٠ نقلاً عن «الدرر الكامنة» لابن حجر الهيثمي.

(٢) الشيخ محمّد البرسي «اتحاف أهل العرفان برؤية الأنبياء والملائكة والجان» ص ١٨٠.

وعن صاحب «أشرف الوسائل الى فهم الشمائل» أنّه قال- في بيان إرخاء العمامة بين الكتفين-: «قال ابن القيّم عن شيخه ابن تيميّة أنّه ذكر شيئاً بديعاً وهو أنه- النبي(ص)- لمّا رأى ربّه واضعاً يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعذبة.

قال العراقي: ولم نجد لذلك أصلاً، أقول: بل هذا من قبيل رأيهما وضلالهما- يعني ابن تيمية وابن القيّم- إذ هو مبنيّ على ما ذهبا إليه وأطالا له في الإستدلال، والحطّ على أهل السنّة في نفيهم له، وهو إثبات الجهة والجسمية لله سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً ولهما- يعني ابن تيمية وابن القيّم- في هذا المقام من القبايح وسوء الإعتقاد مايصمّ عنه الآذان ويقضي عليه بالزور والكذب والضلال والبهتان، قبّحهما الله وقبّح من قال بقولهما، والامام أحمد وأجلاّء مذهبه مبرّأون عن هذه الوصمة القبيحة، كيف وهي كفر عند كثيرين» (١) إنتهى.

وعن اليافعي في «مرآة الجنان» أنه قال في ذكر فتنة ابن تيميّة «وكان الذي ادعى عليه بمصر أنه يقول: إن الرحمن على العرش استوى حقيقة، وأنه يتكلّم بحرف وصوت، ثمّ نودي بدمشق وغيرها: من على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه» (٢) إنتهى.

وعن أبي الفداء قال «وفيها استدعي تقيّ الدين أحمد بن تيمية من دمشق الى مصر وعقد له مجلس وامسك وأودع الاعتقال بسبب عقيدته فإنه كان يقول بالتجسيم» (٣) إنتهى.

وجاء في المنشور الصادر بحقّه من السلطان «وكان الشقي ابن تيميّة في هذه

(١) السيد أحمد عزيز الموسوي «براهين الشيعة الجليّة» ص ٦٤.

(٢) اليافعي «مرآة الجنان» ص ٦٦ (٣) تاريخ أبي الفداء في حوادث سنة ٧٠٥هـ.

المدّة قد بسط لسان قلمه ومدّ عنان كلمه وتحدّث في مسائل القرآن والصفات ونصّ في كلامه على أُمور ومنكرات وأتىٰ في ذلك بما أنكره أئمة الاسلام وانعقد على خلافه إجماع العلماء الأعلام، وخالف في ذلك علماء عصره وفقهاء شامه ومصره، وعلمنا أنّه استخفّ قومه فأطاعوه حتىٰ اتصل بنا أنهم صرّحوا في حقّ الله بالحرف والصوت والتجسيم» (١)إنتهىٰ.

وعن «كشف الظنون» «عن بعضهم أنه بالغ في ردّ ابن تيمية حتى صرّح بكفر من أطلق عليه شيخ الاسلام»(٢) إنتهىٰ.

وعن المولوي عبد الحليم الهندي «كان تقيّ الدين ابن تيمية حنبلياً لكنه تجاوز عن الحد، وحاول إثبات ماينافي عظمة الحقّ تعالىٰ وجلاله، فأثبت له الجهة والجسم وله هفوات أُخر كمايقول: «إن أميرالمؤمنين سيّدنا عثمان كان يحبّ المال وأن اميرالمؤمنين سيّدنا علياً ماصحّ ايمانه فإنه آمن في حال صباه، وتفوّه في حقّ أهل بيت النبي صلّى الله عليه وعليهم مالا يتفوّه به المؤمن المحق، وقد وردت الأحاديث الصحاح في مناقبهم في الصحاح، وانعقد مجلس في قلعة الجبل وحضر العلماء الأعلام والفقهاء العظام ورئيسهم قاضي القضاة زين الدين المالكي وحضر ابن تيمية فبعد القيل والقال بهت ابن تيمية وحكم قاضي القضاة بحبسه سنة ٧٠٥ ثم نودي بدمشق وغيرها: مَن كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه، كذا في «مرآة الجنان» للامام أبي محمد عبدالله اليافعي، ثم تاب وتخلص من السجن سنة ٧٠٧ وقال: إني أشعري، ثم نكث عهده وأظهر مايضمره فحبس حبساً شديداً، ثم تاب وتخلص من السجن، وأقام في الشام وله فيها وقائع كتبت في كتب التواريخ، وردّ أقاويله وبيّن

(١)«براهين الشيعة الجليّة في دحض أباطيل الندوي وابن تيميّة» ص٦٧.

(٢) كشف الارتياب ص ١٣٠ نقلاً عن «كشف الظنون».

أحواله الشيخ ابن حجر في المجلّد الأول من «الدرر الكامنة» والذهبي في تاريخه وغيرهما في المحققين.

والمرام أن ابن تيمية لمّا كان قائلاً بكونه تعالىٰ جسماً قال بأنه سبحانه وتعالىٰ ذو مكان فإن كل جسم لابُدّ له من مكان على ماثبت ولما ورد في الفرقان الحميد «الرحمن على العرش استوىٰ» قال: إن العرش مكانه. ولمّا كان الواجب أزلياً عنده وأجزاء العالم حوادث عنده اضطرّ الى القول بأزليّة جنس العرش وقدمه وتعاقب أشخاصه الغير المتناهية. فمطلق التمكن له تعالىٰ أزلي والتمكّنات المخصوصة حوادث عنده كما ذهب المتكلّمون الى حدوث التعليقات»(١)انتهىٰ.

وممّا كتبه الذهبي إلى ابن تيمية ينصحه وينهاه عن غيّه «الحمدلله على ذلّتي، ياربّ ارحمني وأقلني عثرتي واحفظ عليّ ايماني... ووأسفاه على السنّة وأهلها، واشوقاه الى إخوان مؤمنين.. واحزناه على فقد أُناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوىٰ... طوبىٰ لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتبّاً لمن شغله عيوب الناس عن عيبه، إلى كَمْ ترىٰ القذاة في عين أخيك وتنسىٰ الجذع في عينك، إلى كَمْ تمدح نفسك... وتذمّ العلماء وتتبع عورات الناس مع علمك بنهي الرسول(ص): «لا تذكروا موتاكم إلّا بخير فإنهم قد أفضوا إلى ماقدموا» ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه.

يا رجل! بالله عليك كفّ عنا.. إيّاكم والغلوطات في الدين، كره نبيّك(ص) المسائل وعابها، وقال(ص): «إن أخوف ما أخاف على أُمتي كل منافق عليم اللسان». وكثرة الكلام بغير زلل تقسي القلب اذا كان في الحلال والحرام. فكيف اذا كان في عبارات اليونسية والفلاسفة وتلك الكفريات التي

(١) كشف الارتياب ص١٣٠ عن المولوي عبدالحليم الهندي في «حلّ المعاقد حاشية شرح العقائد».

تعمي القلوب (التي في الصدور)؟

والله قد صرنا ضحكة في الوجود، فإلىٰ كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفية لتردّ عليها بعقولنا؟ يا رجل! قد بلعت (سموم) الفلاسفة وتصنيفاتهم مرّات... كان سيف الحجّاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما، بالله خلّونا من ذكر بدعة الخميس و أكل الحبوب وجدّوا في ذكر بدعٍ كنّا نعدّها من أساس الضلالة قد صارت هي محض السنّة وأساس التوحيد. وَمَنْ لم يعرفها فهو كافر أو حمار وَمَنْ لم يكفر فهو أكفر من فرعون وتعدّ النصارىٰ مثلنا.

والله في القلوب شكوك ، إن سلم لك ايمانك بالشهادتين فأنت سعيد، يا خيبة من اتبعك ، فإنّه معرّض للزندقة والإنحلال لاسيما اذا كان قليل العلم والدين باطوليّاً شهوانيّاً.. فهل معظم أتباعك إلّا قعيد مربوط، خفيف العقل، أو عامي كذاب بليد الذهن.

فإن لم تصدّقني ففتشهم، وزنهم بالعدل، يا مسلم! أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك... إلىٰ كَمْ تصادقها وتعادي الأخيار.

إلى متىٰ تمدح كلامك بكيفية لا تمدح- والله- بها أحاديث الصحيحين، ياليت أحايث الصحيحين تسلم منك ، بل في كل وقت تُغير عليها بالتضعيف والإهدار أو بالتأويل والإنكار. أماحان لك أن تتوب وتنيب... ما أدّكر أنّك تذكر الموت، بل تزدري بمن يذكر الموت... فاذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحبّ الوادّ، فكيف حالك عند أعدائك ؟!

أعداؤك - والله- فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء، كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة و بطلة وعورٌ و بقر... الخ»(١).

---

(١) هذا ملخص ما في «الغدير» للمرحوم العلاّمة الأميني. ج٥ ص٨٧- ٨٩ نقلاً عن «تكملة السيف الصقيل» للكوثري ص١٩٠، وعن العزامي في «الفرقان» ص١٢٩. وراجع «الدرر الكامنة» للعسقلاني ج١ ص١٤٧.

هذا ابن تيمية وقدره وقيمته لدى علماء مذهبه، فمن هنا وهناك بادواعليه ما ابدعته يده الأثيمة من الخاريق التافهة والآراء المحدثة الشاذّة عن الكتاب والسنّة والعقل والإجماع والقياس، فنودي عليه بدمشق: من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلّ دمه وماله(١)، فذهبت تلك البدع السخيفة أدراج الرياح، كذلك يضرب الله الحقّ والباطل: «فأمّا الزبد فيذهب جفاءً وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض»(٢).

ثم قيّض الله سبحانه وتعالى في كل قرن وفي كل قطر رجالاً نصروا الحقيقة وأحيوا كلمة الحق، وأماتوا بذرة الزيغ والضلال، فجاءت الأُمّة الإسلامية تتبع الطريق المهيع وتسلك سبيل العدل اتباعاً وراء الكتاب والسنّة، إلى أن ألقى الشرّ جرانه، وجاد الدهر بولائد الجهل، وربّتهم أيدي سياسة الأجانب، وأرضعتهم أُمّهات الغيّ والضلال، ورافقهم رجالات السوء والفساد، فجاسوا خلال الديار وضلّوا وأضلّوا، واتبعوا سبيل البغي والشهوات، وصدّوا عن سبيل الله واقتفوا آثار إبن تيمية، واتّخذوا وتيرته وجاءوا يموّهون ويدجّلون ويتحرّشون بالسباب المقذع، ويقذفون المؤمنين بالكفر والردة، ويرمونهم بكل معرّة ومسبّة... كالذين أشرنا إليهم في المقدمة. والذين تمسّكوا بمفتريات ومخاريق ومجازفات ابن تيمية الذي هومشكوك الايمان بل مشكوك الإسلام لدى العلماء الأعلام من أهل السنّة.

الصلة بين الوهابية والماسونية:

الوهابية هي إحدى الحركات الصهيونية التي ارتدت ثوب الدين الإسلامي بينما هي في الحقيقة تعتبر من أكثر الفرق التي هاجمت الإسلام.

---

(١) «ابن حجر العسقلاني «الدرر الكامنة» ج١ ص١٤٧.

(٢) سورة الرعد/آية ١٧.

يرى الوهابيون أن اليهود سيرثون فلسطين بأمر من الله، ويعلنون فرحهم بذلك اليوم، لأن اليهود حسب رأيهم مظلومون من الإسلام، كمايرون أن القدس أهينت بيد المسلمين وديست ولن تعود إليها قداستها إلّا بعودتها لليهود.

فالوهابيون يقولون إنه منذ ظهور محمد بن عبدالوهاب مؤسّس حركتهم فإن شريعة الإسلام لم يعد لها حكم، لأن مجيئه هو المقدمة لارتفاع راية اليهود والعودة إلى نواميس موسى(١).

ويحمل الوهابيون مثل باقي الحركات الباطنيّة اليهودية لواء «الدين العالمي والاخوّة الإنسانية والسلام العالمي»(٢) وكل هذه الشعارات تلتقي وتنبع من شعارات الحركة الماسونية الصهيونية العالمية، التي تحرّكها الأيدي اليهودية مباشرة، وقد طالب الوهابيون بتحقيق السلام العام وجعلوه ركناً من أركان دينهم الذي هو مزيج من الاسلام والمسيحية واليهودية والبوذية والكونفوشوسية، وادّعوا أن دينهم هوناسخ لجميع الديانات التي سبقته.

فللوهابية كتب كثيرة تعيد الوحدانية تجسيماً، وترى الرسالة المحمدية انتهت عام (١١١٥)هـ، وترى للصلاة والصيام والحجّ والزكاة والجهاد والقيامة معانٍ خفيت على رسول الله(ص) وأصحابه(رض) والأئمة(ع) والمجتهدين، وظهرت لمحمد بن عبدالوهاب وحده.

فالصلة بين الوهابية وشهود يهوه والماسونية ملموسة، إذ كلها تلتقي بالهدف التلمودي، الذي أزاحت «بروتوكولات حكماء صهيون» بعض أغطيته، وعرضته مشدداً للعهد القديم.

وترى الوهابية للجنّة معنى لايعدو إقامة دولة لليهود، أما النار فهي عدم

(١)«يهوداً لاحنابلة» و«الأزهر والسياسة» للشيخ محمد الظواهري إمام الأزهر عام١٩٢٥م.

(٢) الشيخ رفعت سليم كبّار «يهود الدونمة والأصول السعودية الوهابية» طبع في تركيا- اسطنبول ص١٦.

الإنضواء لرايتها أوعدم الإعتراف بها. وأحب أن أنقل من كلام الوهابية هذا النص «الدين الوهابي جاء لإعلان دولة دينية جديدة من شأنها أن تختم الأدوار السابقة، وتعطل شعائرها وكتبها ونظمها»(١).

ولا عجب إن اعترفت عصبة الأُمم التي تقمّصتها هيئة الأُمم بالوهابية. ومثل هذا النصّ عشرات، وكلها متّفقة بأن قيام هذه النحلة ليس إلّا تمهيداً لقيام كيان يهودي يتخذ فلسطين نقطة انطلاق، وحسبنا أن ننقل عن محمدبن عبدالوهاب نفسه هذا النص: «سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة، ويزدادون إلى أن تصير فلسطين وطناً لهم»(٢).

وقد نقل عالم جليل من علماء الشافعية بأنه سمع بعض علماء الوهابية في مكة يقول: «إن القرآن من حسنات الماسون، إذ أملاه الاستاذ الأعظم بحيرا الراهب على محمّد»(٣).

إنّ الوهابيين يعلمون أن هرتزل أبا الصهيونية عقد مؤتمراً عام ١٩٠٣م ضمّ ماسونيين كونيين ورفيعين بارك الحملة على الأديان التي ورثتها الماسونية وتواصت بها عبرالعصور وجدّدها بالنص الآتي:

١- إبادة البشرية والأجناس والأديان.

٢- الاكثار من الجمعيات التي تتفق مع الماسونية بالهدف وإن اختلفت الأسماء.

٣- حصر الأديان بالمعابد تمهيداً لإزالتها حتى من المعابد.

٤- يجب سحق عدوّنا الأزلي- الدين- مع إزالة رجاله.

٥- لابأس أن يدخل الماسون بين المتديّنين ويؤسّسوا الجمعيات الدينية

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٢.

(٢) ج. أ. أسلمنت «محمّدبن عبدالوهاب والعصرالجديد» ص ٧٢.

(٣) يهود الدونمة والأصول السعودية الوهابية: ص٣٨.

ليلعبوا على السذّج.

٦ـ سوف نقضي على العقائد الباطلة (١)

هذا، واذا علم القارئ أن بدعة «فصل الدين عن السياسة» اقتراح ماسوني، سبق الجميع بحمل رايته مجلة «أكاسيا» الماسونية الإيطالية، وأن اليهود يقيمون دولتهم الآن على الدين بصفتهم وكلاء أُمناء عن المسيح، وأن آل سعود الوهابيّين يقيمون مملكتهم الآن على الاسلام بصفتهم خلفاء الله في أرضه، أدرك الخدعة الكبرى.

وهكذا قامت الوهابية بدور جديد في خدمة اليهود لم يتقنه دزرائيلي ولورانس وكلوب وفيلبي، ولذا لانعجب إذا رأينا القائد الإنكليزي حين دخوله حيفا عام ١٩١٧م يقدّم شكر الامبراطورية الانكليزية لعبد العزيز آل سعود ويمنحه وساماً بالنيابة عنها. والأجمل من هذا أن يرى عبدالعزيز آل سعود القدس أُهينت بيد المسلمين والمسيحيين، ولا تعود إليها قداستها إلّا بعودتها الى اليهود (٢).

كتب الوهابي «إبراهيم السليمان الجهمان» يقول: ألا يمكن لأصفياء القلوب في أرجاء الأرض كائنة ما كانت نحلهم أن يتظافروا مع الوهابيين في العمل على تحقيق الهدف العالمي الوحيد ألا وهو نزع السلاح وتتويج السلام(٣).

ونقرأ من نفس كتاب الوهابي إبراهيم الجهمان نقلاً عن محمّدبن عبدالوهاب مؤسّس الحركة الوهابية أنه قال: إن جوهر تعاليم محمدبن عبدالوهاب هو المحبّة العامة التي هي أساس كل فضائل العالم الإنساني، المحبّة

---

(١) أمريكا مستعمرة يهودية: ص١١ و١٢.

(٢) آل سعود ظاهرهم وباطنهم، طبع بيروت عام ١٩٦٥م- مكتبة العرفان.

(٣) إبراهيم السليمان الجهمان «مزاعم طائفة الشيعة» ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م منشورات مجلّة «الدعوة» السعودية. ص٢٧.

والإخلاص يجب أن يملأ القلب بحيث يرىٰ الرجل الغريب صديقاً(؟) ويعد أعداءه أحباءه، وغرماءه إخوانه المحبّين، وسافك دمه واهب حياته، والمنكر صديقاً، والكافر أحد المؤمنين(؟) كلما ازدادوا عنفاً زاد عدلاً وانصافاً، وكلما اشتدّ بهم الاعتراض والشقاق أظهر لهم الإخلاص والوفاق(١).

نعم يدعو هذا الوهابي المرتزق الى المحبّة العامّة وترك الجهاد في سبيل الله والإنضواء تحت لواء الوهابية التي نعتها ووصفها بما حوته سجّلات السياسة الميكافيلية. وهو يبرز محمّدبن عبدالوهاب أمام الرأي العام العالمي وهو يلبس مسوح الوداعة والأمانة، وهو الذي عرفته البشرية أقذر الذئاب شراسةً وهمجية، وأفضل اللصوص المحترفين في نهب وسرقة ثروات المسلمين.

لقد وقف الاسلام من الوثنية والظلم والإستعباد والإستغلال بكل ما لهذه الكلمات من أبعاد موقفاً يتّسم بالحزم والشدّة ليحرر الإنسان مما كان يعانيه من الحاكمين والمتجبّرين ومن عبادة الأصنام وشرائع الغاب التي كانت تتحكم بمصير الإنسان وطاقاته وخيرات الأرض والسماء، وفرض على المسلمين فيما فرضه وشرعه الجهاد وقتال المشركين والعابثين بكرامة العباد فقال تعالى في كتابه الكريم: «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسىٰ أن تحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون»(٢).

وقد حبّبه إليهم ووعدهم عليه حياة سعيدة دائمة، فقال تعالى: «فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يغلب فسوف نأتيه أجراً عظيماً» (٣).

وحذّر الله المتقاعسين عن القتال والمتخلّفين والناكثين. واعتبرهم بمنزلة

---

(١) نفس المصدر السابق: ص٤٣. (٢) سورة البقرة /آية ٢١٦. (٣) سورة النساء/ آية ٧٤.

الكفّار والمنافقين وتوعدهم بالعذاب الأليم فقال عزّ من قائل: «فرح المخلّفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نارُ جهنّم أشدّ حرّاً لوكانوا يفقهون * فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون»(١).

وقال تعالىٰ: «الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لونعلم قتالاً لا تبعنا كم هم للكفر يومئذٍ أقربُ منهم للإيمان» (٢).

وقد اندفع المسلمون الأوائل ملبّين لنداء الله يتسابقون الى الجهاد والبذل بسخاء في سبيله حتّى دانت لهم الدنيا من جميع أطرافها وشهدوا عهداً لم يعرفوا في تاريخهم الطويل خيراً منه ولا نظيراً له ومضت راية الاسلام عالية خفّاقة في أيدي المسلمين يتسابق وراءها المجاهدون في بلاد الطغيان والاستعباد والوثنية، ولم يجد أعداء الإسلام وسيلة لوقف الزحف الإسلامي المتصاعد أجدىٰ من التستر بالإسلام والعمل بتبديد قوة المسلمين وتمزيق وحدتهم، فأدخلوا بين تعاليم الإسلام ومعتقداته بعض تعاليمهم ومعتقداتهم وطرقهم المناقضة لتعاليم الإسلام ومعتقداته.

وكانت «الوهابية» من أشدّ الأمراض فتكاً في الأوساط الإسلامية ومن أشدّها خطراً على الإسلام، فراحوا يفسّرون الإسلام وتعاليمه وأنظمته بما يلتقي مع أفكارهم الهدّامة وتعاليمهم التي ورثوها عن الأُمم التي سبقت الإسلام. وقد استهدفت تحرّكاتهم فيما استهدفته الجهاد الذي دعا إليه الإسلام، باعتباره سرّ قوة المسلمين ومبعث عزّهم ونهضتهم.

وللوهابيين علاقة رئيسية بالكيان الصهيوني، فقد ورد في صحيفة لندنية هذا الخبر نقلاً عن مراسلها تقول: «من مراسلنا في جدة.. اجتمع مائتان وخمسة

---

(١) سورة التوبة /آية ٨١ و٨٢. (٢) سورة آل عمران/ آية ١٦٧.

وعشرون شخصاً اختيروا من قبل إحدى وثمانين جمعية تابعة للوهابية التي تدعو الى وحدة الجنس البشري والى السلم العالمي(؟) وقد انتخبت هذه الوفود المجلس الدولي الثاني للعدالة وهو مكوّن من تسعة أعضاء ويمثل الهيئة العليا للوهابيين وقد استقبلهم بعد المؤتمر الملك فيصل بن عبدالعزيز ووليّ عهده الأمير خالد والأمير فهد وزير الداخلية، وقد انتخبوا اليهودي الأميركي «ماسنيون» ليكون رئيساً روحياً للوهابيين في العالم وتمّ ذلك في المؤتمر السالف الذكر»(١).

من هذا كله يتبين لنا أن «الوهابية» ليست سوى واحدة من بنات الحركة الماسونية العالمية أو اليهودية العالمية، وقد نسبها خيري رضا في كتابه(٢) الى الماسونية حيث يقول: «رغم الاختلافات الشكلية من حيث ممارسة الطقوس والوان العقائد التي تغلّف وتموّه الأهداف الحقيقية، بين الوهابية والماسونية، إلّا أن العلاقات التي تربط المنظّمتين من حيث الجوهر والتوجّهات العامّة كثيرة ومتشعّبة، إلّا أن نقاط الالتقاء المشتركة كثيرة بينها منها:

أولاً: الاعتماد على القواعد والأساسيات الفكرية المرتبطة بالطقوس والممارسات الغربيّة والمعقدة بهدف إيجاد صيغة توفيقية تتناول في جانب منها بعض الخلفيات الدينية لاستخدامها في التبشير العلني للأهداف السرية وطرح أهداف تتعارض كلياً مع الأفكار السائدة في المجتمعات التي تعمل بها منها الدعوة للقبول بالسيطرة الأجنبية والعدوان الصهيوني وكيانه الإستيطاني.

ثانياً: تزعم الوهابية والماسونية أنها لا تتدخلان في الأمور السياسية والحزبية فهل يمكن لأحد تصديق هذه المزاعم خاصة إذا تبين واقعها

---

(١) صحيفة «الجويش كرونيكل» اللندنية الصادرة بتاريخ ١٩٦٨/٧/١٥م.

(٢) خيري رضا «شذرة من تاريخ الوهابية» ص ٦٠ و٦١.

كمنظّمتين عالميتين تضمّان ملايين الأعضاء ولهما آلاف المحافل.

ثالثاً: عملت الوهابية والماسونية وكل المنظمات الصهيونية الشبيهة لها منذ نشأتها على خلق الإنقسامات الطائفية والمذهبية وإيجاد حالة من الاحتراب بين أبناء المجتمع الواحد مما وفّر للمستعمرين الجدد فرصاً كبيرة لتنفيذ أهدافهم.

رابعاً: تحظى الوهابية بدعم إعلامي ومادي مباشرين من قبل الإمبريالية والصهيونية حيث ترجمت دور النشر التي تمتلكها الإحتكارات الغربية تعاليم الوهابيين الى كلّ اللغات.

خامساً: لعبت الوهابية دوراً مناهضاً لكل توجه إسلامي ووطني تحرري.

سادساً: اعتماد الوهابية والماسونية في نشاطهما على أعلى درجات من السريّة والكتمان».

وتأكيداً لكلمات خيري رضا حول ارتباط الحركة الوهابية بالإستعمار، ننقل ماورد عن مجلّة «الصحوة الإسلامية» بقلم الكاتب السيد نوري حسين الأميري مايلي: «تعتبر الوهابية من حركات الطبقة المفسدة التي قامت بتخطيط منها عن طريق الإستعمار الغربي وبالذات من بريطانيا أبان أن كانت تحكم بعض البلدان الإسلامية، وهذه الحركة في خطورتها لا تقلّ عن البهائية والقاديانية في هدم الوحدة الإسلامية وتشويه مبادئ الإسلام السمحة.

وهذه حركات مندسّة بين صفوف المسلمين، ومن هنا كانت خطورتها أكبر لأنها تدعي أنها فرق إسلامية»(١).

ألا تكفي هذه الدلائل للإشارة إلى ما زرع في نفسية أبناء المجتمع الإسلامي من قناعات على مدى السنين، أمّا على صعيد الحجاز فيعتبر الوهابيون دعامة

(١) مجلة «الصحوة الإسلامية» العدد ٣ الاثنين ١٦ ذي الحجة ١٤٠٥هـ. السنة الأولى مقال بعنوان «في مواجهة الحركات الهدّامة المرتبطة بالصهيونية». الحركة الوهابية. ص ٢٩.

«الحرس اللاوطني»(١) الذي يدعم نظام «آل سعود» والذي يقوم بكافة الأعمال الإرهابية ضدّ أبناء الشعب الجزيري المسلم وعلى رأس الحركة الوهابية «عبدالعزيزبن باز» عضو هيئة مايسمّى بكبار علماء الوهابية والرئيس العام للدعوة والإفتاء في المملكة السعودية.

جاء الإنكليز بآل سعود الى الحكم، بدل الشرفاء، لأن آل سعود أثبتوا قدرتهم على العمالة المتزايدة سابقاً ولا حقاً.

أمّا سابقاً فإن «مستر همفر»، هوالذي مكّن من إثارة «محمّدبن عبدالوهاب» لادّعائه الدين الوهابي، والذي بموجبه كفّر كل المسلمين، وهدم قباب آل الرسول وصحابته، ولمّا أراد هدم قبة الرسول (ص) بزعم أنه شرك، أشار المستشار البريطاني بالمنع، لأنه ليس من مصلحة بريطانيا، إذ يمكن أن يثور المسلمون في كل العالم، مما يسبب مشاكل كثيرة للدولة المستعمرة، ولذا أظهر الحاكم للذين التفّوا حوله: أنه رأى في المنام الرسول الأعظم (ص) وقال له: كفّ عن هذا لبعض المصالح...

كما أن «مستر همفر» هوالذي مكّن من أن يضمّ «محمّد السعود» حاكماً الى «محمدبن عبدالوهاب» مشرعاً، وأن يجعل في خدمتهما الضباط البريطانيين باسم العبيد(٢).

وحينما أرادت بريطانيا استعمار العراق أوعزت الى آل سعود بالهجوم على «كربلاء والنجف» تمهيداً لإضعاف القوى، وفعلوا ما أشار إليهم البريطانيون، وهجموا مرّتين قتلوا في إحداها زهاء «٢٠/٠٠٠» عشرين ألف مسلم بريء من الأطفال والنساء والشيوخ(٣).

---

(١) وهذا الحرس (اللاوطني) أسّسه الجنرال برومج. الذي كان نائباً للجنرال كلوب باشا.

(٢) راجع مذكّرات «مستر همفر» ص٨٣.

(٣) المرحوم العلاّمة الأميني «شهداء الفضيلة» ص٥٥.

وأمّا لاحقاً فإن عبدالعزيز آل سعود أخذ يعيث في البلاد الفساد بمعاونة مشاوره البريطاني «جون فيليبي» وقد تمّت معاهدة معروفة عام ١٣٣٠ هـ بين الملك عبدالعزيز وبريطانيا وبواسطة المستشار المذكور، يطيع عبدالعزيز بموجبها أوامر بريطانيا قبال منحه «٥/٠٠٠» خمسة الآف ليرة استرلينية سنوياً، وقد التزمت بريطانيا بموجب هذه المعاهدة فدفعت لعبد العزيز مبلغ «٣١٠و٤٧٧» ليرة استرلينية للفترة الواقعة مابين ١٩١٧م ولغاية ١٩٢٤م(١).

ثم انتقلت عمالة آل سعود من بريطانيا إلىٰ أمريكا، فكان فيصل ومن أتىٰ بعده عملاء مخلصين لأمريكا، وكانوا ينشرون «الإسلام الأمريكي» في كل بقاع العالم، وقد كان هدف أمريكا من هذه الصداقة أمرين:

الأول: ضمان سوق كبيرلها، تشتري منه النفط بأبخس الأثمان، وتصدّر إليه أنواع البضائع بأغلىٰ ثمن.

الثاني: أن يقف «إسلام البيت الأبيض» أمام المدّ الشيوعي في قارّتي آسيا وأفريقيا، بالإضافة الى ذلك تكون السعودية عصا غليظة ضدّ بلدان الخليج، إذا أرادت هذه الدول أن تعصي أوامر السادة الجدد «أمريكا».

فيما تقف عائلة آل الشيخ أي سلالة «محمّد بن عبدالوهاب» بتبرير جرائم آل سعود ومنكراتهم بسنّ التشريعات والفتاوىٰ الكاذبة التي يزيّفونها على الاسلام والمسلمين. وهذه أمثلة لفتاويها:

١ـ اسمع وأطع لأميرك وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك.

٢ـ اعطِ الزكاة لحاكمك ولا تسأله حتىٰ ولو طوّق بها عنق كلب.

٣ـ سأل قوم رسول الله فقالوا: يا محمّد! أنبئنا عمّاذا نفعل بالحكّام الظلمة؟ فقال: اعطوهم مالهم واسألوا الله مالكم، فقالوا: ألا نقاتلهم؟ فقال:

---

(١) مائة عام في الشرق الأوسط: ص٧٦.

لا تقاتلوهم ما أقاموا فيكم الصلاة!.

٤ـ تحدث رسول الله فقال: ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: هم الضعفاء المغلوبون. وفي رواية أُخرى هم: الضعفاء المظلومون! (١).

هذه هي بعض أمثلة للأحاديث الكاذبة التي أقحمها آل سعود وآل الشيخ وأمثالهم على الدين، وكذبوا على الرسول(ص) خدمةً لأهدافهم العدوانية.

إنه لم يفسد الدين إلّا الملوك وعلماء السوء، اولئك برغبتهم الجامحة، وهؤلاء باستجابتهم وعدم المحافظة على ما استودعوا عليه من صيانة الدين من التبديل والتحريف، ويتبع فساد دين الناس فساد دنياهم، لأن الدين جاء بقواعد العدل التي تصون مصالح الأفراد والطوائف، فإذا أُضيعت هذه القواعد بضياع الدين، ضيع العدل بين الأفراد والطوائف، وإذا ضيع العدل ساءت الأحوال وفسد أمر الدنيا.

هذه الأمانة التي في أعناق العلماء إذن أمرها عظيم، وخطرها جسيم، إذا أُدّيت صلح الدين والدنيا، وإذا ضيعت فسد الدين والدنيا، لذلك عظّم الإسلام أمرها، وزيّن أداءها في قلوب الناس.

قال النبي(ص): «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»(٢).

إن قيام العلماء بما حملوا من أمانة ونصيحة أئمة المسلمين وعامتهم أيمن على المسلمين من بركات الأرض والسماء، وإن تضييع العلماء أمانتهم وغشّ المسلمين أئمتهم وعامتهم أشأم من الصواعق المحرقة والطواعين المدمّرة.

إن حوادث «المسجد الحرام» و«المنطقة الشرقية» عام ١٤٠٠هـ أثبتت لأمريكا والإنكليز والصهانية أنهم لا يتمكنون من استعمار الشعوب طويلاً،

(١) ناصر السعيد «تاريخ آل سعود» ج١.

(٢) رواه الطبري في «التاريخ» وابن الأثير في «الكامل» وغيرهما.

خصوصاً الشعب المسلم، فقد ولّت أيام الاستعمار، وإن تغلّف بمذهب ابن عبدالوهاب الذي أوجده المستعمر بنفسه، فإن الاستعمار يعمل في جميع الأبعاد، حتى في بعد منع المذهب، ثم يربّيه ويغذّيه ويؤيده بالمال والحكومة، حتى يزعم الغافل أنه مذهب.

فقد فعل المستعمر في ايران ذلك، فاخترع «البابية» حيث رأى أنه يلائم الجهّال في ايران الذين سمعوا باسم الإمام المهدي عليه السلام، وهم جاهلون عن تفاصيله، كما أنهم لايعرفون اللغة العربية، مما يمكن إغفالهم بالكلمات المخترعة مثل «الدائم الديموم الديمان الديمنون الدمنمان...» والى آخر هذه الخزعبلات التي جاءبها الباب.

كما فعل في الهند ذلك، فاخترع «القاديانية» إذ أن طبيعة الهند المشتملة على الأديان المختلفة قريبة من تقبّل دين يأخذ في الجميع، فهو مسيحي محمدي برهمي و... و..

كذلك فعل في الجزيرة العربية، فاخترع الحركة «الوهابية» الجافة التي تناسب جفاف الصحراء من جانب، ونضوب العمق العملي من جانب آخر، بينما كل جاهل من أهل الجزيرة يفهم «الإله الواحد».

وقد قام المسلمون في الهند وإيران والحجاز بتكفير أصحاب هذه المذاهب المخترعة، مما جعل «الباب» و«القادياني» في قائمة الكفار، وجعل أتباعهما في قائمة المرتدين.. لكن الحجاز لم يتمكن من ذلك لأمرين:

الأول: قلّة العلماء فيه.

الثاني: قوة المال الذي جعل الجهّال يرضخون للكفرة، أمّا في غيرالحجاز، فقد كفّرالعلماء «محمّدبن عبدالوهاب» وجعلوا أتباعه في قائمة المرتدين.

وسيأتي اليوم القريب الذي يرفض الحجاز هذا المذهب المخترع، كما رفضت ايران والهند «الباب والقادياني» وليس ذلك على الله بعزيز.

الفصل الثاني

محطات تأمّل في السياسة السعودية

دور السعودية في خدمة الصهيونية:

لاحاجة للإجتهاد كثيراً من أجل معرفة نوايا حكام السعودية والمخططات الصهيونية ضدّ العرب والمسلمين عامة وضدّ الفلسطينيين منهم بصورة خاصة، فقد أصبحت الأُمور على درجة كافية من الوضوح.

لقد شغل انتصار الثورة الإسلامية المباركة في ايران قيادة الكيان الصهيوني كما يلاحظ ذلك من تصريحاتهم وتعليقاتهم، فقد أعلن عضو الكنيست «إسحاق رابين» إن تغيير نظام الحكم في ايران هو ضربة قاسية جداً للولايات المتحدة والعالم الحر في الشرق الأوسط، ومن المحتمل أن تهدّد الموجة الإسلامية المتطرّفة المملكة العربية السعودية(١).

وقد يكون من المناسب الإشارة إلى ما قاله عضو مجلس الشيوخ الأمريكي «هنري جاكسون» من أن إقامة حلف مصري- إسرائيلي- سعودي بعد أحداث ايران لضمان استمرار تدفّق النفط للولايات المتحدة هو اقتراح مضرّ لأنه لوقام حلف كهذا فانه من المتوقع قيام ثورة إسلامية شاملة ضدّ حكومتي مصر والسعودية(٢).

---

(١) صحيفة «دافار» العبرية في ١٣/٢/١٩٧٩ م ص١.

(٢) صحيفة «عل همشمار» العبرية الصادرة في ١٣/٢/١٩٧٩م ص٧.

ونقل عن مناحيم بيغن قوله: «إنه في هذه الأيام التي يشعر فيها أن العصور الوسطى تعود الى الشرق الأوسط في ذروة القرن العشرين»(١) ويقصد به انتصار الثورة الإسلامية في ايران.

وذكر مصدر أمني في لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست- الإسرائيلي- يوم ١٤/٢/١٩٧٩م مايلي: هناك اعتقاد بأنه إذا استقرّ نظام الحكم الحالي في ايران- نظام آية الله الخميني- فإن إيران سترسل وحدات مقاتلة إلى الحدود الشرقية مع إسرائيل. ومن هنا تكتسب أحداث إيران أهمّيتها بالنسبة لإسرائيل، وهي أحداث لم يسبق وقوع مثلها خلال المائة سنة الماضية. وقد تتّسع أحداث ايران في المنطقة لتنتقل إلى تركيا، فإذا لم يتدخل الغرب ويهبّ لمساعدة تركيا فإنها ستسقط أمام الموجة الإسلامية المتعصّبة(٢).

وعندمازار وزير الدفاع الأمريكي «هارولد براون» الكيان الصهيوني، «قام الوفد المفاوض الإسرائيلي بتحذير براون من أن تؤدّي أحداث ايران إلى يقظة الوعي الإسلامي في المنطقة، ويرى الاسرائيليون أن أحداث ايران ستزيد في حالة عدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط. وأنها ستشجع العناصر الإسلامية المتطرّفة» (٣).

وتعكس الشواهد السابقة على قلّتها بعض ملامح الدور الإسرائيلي سواء في تنظيم الحرب ضدّ التطلّعات الإسلامية والثورية لشعوب المنطقة، كما تعكس أيضاً استثمار إسرائيل لكافة التطورات من أجل تحقيق المشروع الصهيوني وتطويره، وهي تعكس بالإضافة إلى ذلك أيضاً موقف الدول العظمى التي تدعم إسرائيل في حدّ ذاتها، أو من أجل مراعاة اليهود، وإنما من أجل الدور

(١) صحيفة «بديعوت احرنوت» الإسرائيلية الصادرة في ١٢/٢/١٩٧٩م ص٧.

(٢) صحيفة «دافار» الإسرائيلية الصادرة في ١٥/٢/١٩٧٩م ص١.

(٣) صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية الصادرة في ١٥/٢/١٩٧٩م ص١

القمعي الذي تمارسه إسرائيل.

وكتبت صحيفة إسرائيلية أنه «أعلن عضو الكنيست شمعون بيرس: إن انتصار الخميني في ايران قد يضع الصعوبات أمام إسرائيل، ويخلق عقبات خطيرة لم تعرفها منذ زمن بعيد»(١).

ومن ذلك ما ذكر «من أن المصادر الأمريكية قد أعلنت أنه بسبب أحداث ايران، فانه من المحتمل أن تجري مداولات بين إسرائيل والولايات المتحدة لعقد معاهدة دفاعية بينهما لا تشمل تواجداً أمريكياً عملياً، لكنها تلزم الولايات المتحدة بأن تهب لمساعدة إسرائيل في حال تعرضها لخطر نووي أو التدخل من قبل دولة كبرى أو تهديد وجودها. وذكر أن وزير الدفاع الأمريكي ـ هارولد براون ـ أعلن يوم ١٩٧٩/٢/٢٠م أنه أبلغ إسرائيل والسعودية والأردن ومصر بأن الولايات المتحدة ستمارس دوراً أكثر نشاطاً في الشرق الأوسط عقب أحداث ايران»(٢).

لم تفاجئنا الاتصالات السرية وغير السرية بين «الشيطان الأكبر» و«خونة الحرمين الشريفين» رغم التصريحات المعادية والصاخبة التي تصدر من هنا وهناك، كما لم تفاجئنا شحنات الأسلحة التي أمر ريغان بإرسالها الى نظام آل سعود. ذلك إننا نعرف منذ البداية أن الذي جاء بآل سعود الى عرش الحجاز هو «الشيطان الأكبر» ومن يلوذ به من الشياطين الصغار بهدف محاربة الاسلام والمسلمين سابقاً والقضاء على الثورة الإسلامية في ايران لاحقاً، من حيث إنها ثورة إسلامية تحرّرية أصيلة، تسعى لوضع أُسس راسخة لمستقبل

(١) صحيفة «دافار» الإسرائيلية الصادرة في ١٩٧٩/٢/٥م ص ١.

(٢) صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية الصادرة في ١٩٧٩/٢/٢١ م ص ١، راجع كتاب «خنجر اسرائيل والمستقبل» للكاتب الهندي ر. ك كرانجيا شرح وتعليق بسّام العسلي ١٩٨٠م دار المسيرة (بيروت)، ص ١٢٩.

إسلامي مشرق.

كما أننا لم نفاجأ ـ لا الآن ولا منذ سنوات طويلة ـ بالتعاون القائم بين الكيانين الصهيوني والسعودي، سواء في ميدان التسليح أو غيره من الميادين، بما فيها السمسرة بين أمريكا والسعودية، رغم التصريحات التي تصدر عن خونة المقدسات الإسلامية ضدّ الكيان الصهيوني، وتبجّحهم المستمر بتصميمهم على تحرير القدس من غاصبيها. ذلك لأننا نعلم أن الكيان الصهيوني لا تخيفه التصريحات والشعارات ولا التبجّحات، وإنما الذي يخيفه هو العمل المستقبلي الجادّ في أيّة بقعة من أرض الإسلام.

ولكن من حقّنا أن نفاجأ ـ حقّاً ـ في أن يكون حتى الآن سواء في صفوف العرب أو بين المسلمين من لا يزال يرى في «فهد» زعيماً للإسلام، وفي حكمه المشبوه حكم إسلامي. ولسوف نفاجأ أكثر إذا ما وجدنا أن هناك من يصدّق ـ سواء بين السعوديين أو غيرهم ـ أن الكيان الصهيوني أو حليفه الأمريكي يمدّ نظاماً هدفه تحرير القدس.

ونحاول من خلال هذا الموضوع إلقاء نظرة بسيطة على تصريحات آل سعود ودورهم في خدمة الصهيونية.

١ ـ أبدت إسرائيل استعدادها للتفاوض مع المسؤولين السعوديين حول مشروعهم «مشروع فهد»(١).

٢ ـ تصريح الأمير عبدالله بن عبد العزيز لمجلة «التايم» الأمريكية الذي اعترف صراحةً بإسرائيل وأكد على حقها في الوجود!! حيث قال: «اقترح هذا المشروع بعد أن اعتبرت اتفاقية «كامب ديفيد» ميّتة أو قاربت على الإنتهاء على الأقل إعترافاً بحقّ إسرائيل في الوجود بعد القبول بالدولة الفلسطينية

---

(١) صحيفة «الوطن» في ١٧/١/١٤٠٢هـ.

والعودة الى حدود عام ١٩٦٧م، وانتهاء حالة الحرب، وعند استيفاء هذه الشروط فسيتمّ الاعتراف بإسرائيل بحكم الواقع، وكيف ننكر عليها هذا الحق؟!!..» وقد ذكرت هذا التصريح أغلب الصحف أيضاً (١).

٣ـ وهذا تصريح آخر أدلى به مندوب آل سعود في الأمم المتحدة بالوكالة «جعفر اللقاني» لصحيفة «نيويورك تايمز» قوله: إن مشروع فهد يعترف بإسرائيل... إنه يقول: «جميع الدول »ولسنا خائفين من القول أنه يعترف بإسرائيل(٢).

ولاشك أن الإسرائيليين وعملاء أمريكا تأكّد لهم أن السعودية ليست دولة مواجهة، ولا تهدف للقضاء على إسرائيل!!

٤ـ الحكومة الإسرائيلية من جهتها علّقت بأنها ستبحث حول تصريحات الدبلوماسي السعودي. ومندوب إسرائيل في الأمم المتحدة «يهودا بلوم» علّق على التصريح بقوله: «إن مشروع فهد يعترف بإسرائيل وليس فيه جديد؟!(٣).

فالاعتراف السعودي بإسرائيل لايثير اهتماما!! كما في تعليق «يهودا بلوم» وهو أمر عادي. وهذا يدلّ دلالةً واضحة أن السعودية قد اعترفت مسبقاً بإسرائيل وقبل طرح المشروع الفهدي. لذا ليس فيه جديد!!

٥ـ وأكد الرئيس المصري «حسني اللامبارك » أمله في أن تساعد الدبلوماسية السعودية على مصالحة مصر مع الدول العربية، وكرر استعداده لزيارة السعودية في وقت قالت مجلة مصرية: «إن شخصية سعودية كبيرة «فهد» ستقوم بزيارة القاهرة قريباً لتقديم العزاء للرئيس والإجتماع بالمسؤولين

---

(١) المسألة الفلسطينية في المنظار السعودي ص٣٣ نقلاً عن صحيفة «القبس»الكويتية في ١٤٠٢/١/١١هـ.

(٢)و(٣) المصدر السابق: نقلاً عن صحيفة «الوطن» في ١٤٠٢/١/١٩هـ.

المصريين»(١).

٦- في نفس الوقت أكّد «أشرف غربال» سفير مصر لدى أمريكا أن الاتصالات لم تتوقف مع السعودية(٢).

٧- سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي أعرب عن أمله في عودة العلاقات بين مصر والعالم العربي الى حالتها الطبيعية(٣).

٨- مرة أُخرى أعلن «اللامبارك» أن خطة «فهد» تتضمن اعترافاً ضمنياً بإسرائيل وتحتوي على بعض النقاط المشجّعة، وأضاف قائلاً: «ربما تكون أساساً للحوار في المستقبل...»(٤).

٩- وبعد مصرع الطاغية «فيصل» وقيام «آل فهد» بتنصيب خالد ملكاً أرادت صحيفة أمريكية التعرّف الى وجهة نظر الملك الجديد «خالد» ووليّ عهده الجديد «فهد» بل «الملك الحقيقي».. فخرجت منهما بتصريح قالا فيه: «بأن السعودية على أتمّ الإستعداد للاعتراف بإسرائيل... ولكن على إسرائيل أن تحلّ مشاكلها مع جيرانها وتتدبّر أمرها مع الفلسطينيين» وعندما سألتهما عن معنى تدبّر الأمر... قالت: إن فهداً قال: «إسرائيل أدرى في شؤونها!(٥).

١٠- وحول تصريحات الملك خالد للإعتراف بإسرائيل كتب فيصل جوراني يقول: «التصريحات التي أدلى بها الملك السعودي لمجلّة «الواشنطن بوست» حول استعداد السعودية للاعتراف بإسرائيل جاءت لتساعد على إظهار موقف المتحمّسين للحل عن طريق أمريكا بمظهر موحّد وخاصة في هذه المسألة الكبيرة المتعلّقة بالاعتراف بإسرائيل.

كان فيصل مع حماسه الشديد ومع جهوده الكبيرة لربط العرب بعلاقات

(١) مجلّة «روز اليوسف» في ١٤٠٢/١/٥هـ. (٢) صحيفة «السفير» اللبنانية في ١٤٠٢/١/٥هـ.

(٣) صحيفة «الرأي العام» الكويتية في ١٤٠٢/١/١٢هـ.

(٤) جريدة «السفير» اللبنانية في ١٤٠٢/١/٥هـ. (٥) صحيفة «الواشنطن بوست» في ١٩٧٥/٦/١٥م.

وثيقة مع أمريكا يتحفظ أزاء الاعتراف بإسرائيل بعض الشيئ تغطيةً لمواقفه الأمريكية.

بالطبع ما من أحد يجهل أن السعودية ظلّت تمارس عملياً تلك السياسة التي تدفع الى التسوية الأمريكية، وليس فقط إلى التسوية التي عبّر عنها القرار (٢٤٢) وأن تمسّكها في ظلّ حكم الملك فيصل برفض الاعتراف بإسرائيل كان شكلياً. والآن جاء الملك خالد وتجاوز هذه المسألة مثيراً بذلك دهشة بعض قادة حركة المقاومة.

أما القادة الذين لم يندهشوا فهم الذين رأوا في موقف الملك الجديد تحصيل حاصل بالنسبة للسياسة السعودية المعروفة. ومهما يكن من أمر فإن تصريحات الملك خالد تثير ملاحظتين:

الأولى: إن حلقة الدول العربية الداخلة في مباحثات التسوية والمستعدة للاعتراف بإسرائيل مقابل استجابة إسرائيل لمطلبي الإنسحاب وضمان الحقوق الوطنية «المشروعة» للشعب الفلسطيني قد اكتملت الآن بانضمام السعودية إليها!... بل انضمامها للسعودية بالأصح(١).

مشروع «فهد» وما أدرانا فقد يضمر لنا المستقبل المنظور عشرات المشاريع على شاكلة المشاريع السابقة، ولكن بديكور جديد وبوجوه جديدة. فمشروع «فهد» لم يختلف في جوهره عن قرار الأُمم المتحدة(٢٤٢) والذي رفضته في حينها كل الأطراف «الثورية» والرجعية. واتخذ الكيان الصهيوني الرفض غطاءً لإظهار مظلوميته أمام الآخرين، ومن ورائه الإعلام الغربي المسيّر من قبل الأخطبوط، في حين كان قومنا يقابلون ذلك بالصمت أو بإحياء الليالي الحمراء أو الانكفاء على الذات، في الوقت الذي قام فيه مايُسمّى بـ «مجلس التعاون

(١) تاريخ آل سعود: ج ١ ص ٨٨٦ نقلاً عن صحيفة «السفير» اللبنانية.

الخليجي» بتبنّي مشروع فهد، ورحّب بالمشروع آخرون وأيّدوه، ورفضه البعض لغاية في نفس يعقوب، وإرجاء البعض إعلان موقفهم لحين عقد مؤتمر القمة في «فاس».

أما الكيان الصهيوني فانه يتظاهر برفضه للمشروع، وقد قصفت مدفعيّته جنوب لبنان الجريح واخترقت طائراته أجواء السعودية. ثم يهب شهادة «حسن السلوك» لأصحاب المشروع، ويضفي عليهم طابع الإستقلالية ومعاداة إسرائيل، بل يوحي للآخرين من النائمين مدى خطر المشروع الفهدي على أمن إسرائيل ومستقبلها ووجودها يزيح العملاء اللثام عن وجههم الكالح، فإذا لم تكن مهمّة «الأواكس» تغطية منطقة شمال غرب المملكة ـ القريبة من العدو الصهيوني ـ فما هي مهمّتها إذن ياترى؟!!

إنها مكلّفة بمراقبة أجواء شمال شرق المملكة القريبة من ايران. فقد توصّلنا إلى سرّ إصرار «بيغن» رئيس وزراء العدو الصهيوني الأسبق الغريب على بيع طائرات «الأواكس» إلى السعودية قد انتهى تبنّي كثير من «الثوريين» أسلوب الكفاح المسلّح لتحرير الأرض فأمسوا «ثوريين» يؤمنون بالكفاح الدبلوماسي.

لانريد أن نذكّر بالغزو الصهيوني للبنان مستفيداً من انهماك ايران الإسلام في ردّ الهجمة البعثية الصليبية عنه، ومعتمداً على رجولة وكبرياء «فهد». فتلك أصبحت معروفة حتى للمكابرين، ولكننا نذكّر بالأطماع الصهيونية في الوطن الإسلامي، وبالأهداف المعلنة للحركة الصهيونية في تقسيم هذا الوطن إلى دويلات طائفية ومذهبية وعرقية، يكون وجود الكيان الصهيوني بينها طبيعياً ومبرّراً، والتي تلتقي مع أهداف آل سعود والبعث الصليبي منذ سبع سنوات. نذكّر بذلك لعلّ التذكير ينفع، فتفتح بعض العقول التي مازالت مغلقة، والأعين مازالت مغمّضة فترى الحقيقة كما هي، فتتعامل معها... لا مع الأوهام.

ماذا ينتظر العرب والمسلمون بعد كل الذي يقرأونه ويسمعونه عن التواطؤ الأمريكي الصهيوني مع نظام آل سعود؟ وهل بقي لمسلم، بعد اليوم ـ سواء كان مسؤولاً أم شخصاً عادياً من عذر إن هو لم يقف إلى جانب ايران الاسلام بسلاحه وماله وكل ما يملك من قوة أو طاقة؟

إذا كان البعض قد انخدع في شعارات «الوهابية اليهودية» عند بدايتها، فهل هناك من مجال للإنخداع أو للتردّد في نجدة ايران الإسلام، بعد كل ما تكشّف ويتكشّف من تواطؤ هذا النظام السعودي مع الصهيونية والإمبريالية، إلّا للذين في نفوسهم انحراف، أو مرض يصل حَدّ الإنحراف؟؟.

إن ايران الثورة لا تتصدىٰ للهجمة البعثية البربرية العنصرية المتعددة الأطراف، دفاعاً عن نفسها فقط، وإنما دفاعاً عن مستقبل الأُمة الإسلامية بأسرها، فهل يُعقَل أن تظلّ وحيدةً في هذه المواجهة؟ وهل يُعقل أن تظلّ المواثيق والمعاهدات الإسلامية حبراً على ورق، بعد كل ما نسمع ونرىٰ؟.

إن التاريخ لايرحم أحداً، وعلى المسؤولين العرب والمسلمين قبل غيرهم أن يحدّدوا هويتهم الآن. فإذا كانوا عرباً ومسلمين حقاً عليهم أن يتحركوا فوراً للوقوف دون تحفظ مع الثورة الإسلامية في ايران، وأن يعزلوامن صفوفهم أولئك الذين يتحالفون مع الصهيونية وحلفائها. وإلّا فانهم يعطون لأنفسهم هوية أُخرىٰ، عنوانها التواطؤ مع الأعداء، ضدّ الإسلام وضدّ أُمّتهم.

وتبقىٰ ايران الاسلام التي أذهلت العالم بصمودها الاسطوري، وأربكت معسكرات الأعداء فاضطرته الى الكشف عن تحالفاتهم المشبوهة ـ أقوىٰ من كل المؤامرات وأمنع من أن تؤثر على صمودها كل قوىٰ الشر، لأنها الضمير الحي للأُمّة الإسلامية، وتستلهم تراثها الروحي والحضاري، ولأنها المؤهلة لحمل رسالتها، والجديرة بصنع مستقبلها المشرق، أمّا الآخرون فليس لهم سوىٰ العار للخونة والمنحرفين، والأماكن الهامشية للمتخاذلين والمتفرّجين.

لقد رفعت الجمهورية الإسلامية في ايران قيمة البترول للبرميل الواحد من ١٢ دولاراً الى ٣٦ دولاراً، حينما قامت بإغلاق أنابيب النفط من أن تصبّ في مخازن اللصوص الدوليين، بينما نجد شيطاناً صغيراً في الحجاز يحاولُ اليوم أن يجهض هذه الخطوة المباركة عن طريق رفع إنتاجه النفطي من ٧ ملايين برميل يومياً إلى ١١ مليون برميلاً، وماذلك إلاّ ليمنع السقوط الأمريكي من أن يحدث في المنطقة.

ثم ها نحن نتساءل: هل كان باستطاعة إسرائيل أن تقصف المُفاعلَ النووي في العراق لولا علم ومساعدة أمريكا؟ وهل كان باستطاعة الطيران الإسرائيلي الوصول الى بغداد من دون عبور الأجواء الأردنية أو السعودية؟ أين كانت طائرات «الأواكس» التي أُريدَ لها أن تساعد العدوان البعثي الصهيوني على حرب دولة الإسلام في ايران حين قام الطيران الإسرائيلي بشنّ غاراته؟ وهل كان باستطاعة العدوّ الصهيوني الاغارة الوحشية الهمجية على لبنان المظلوم وعلى مخيّمات اللاجئين الفلسطينيين المحرومين لولا علم العملاء المجرمين؟ فلماذا التجاهلُ عن حقيقة دورالشياطين الصغار والأصغر في مثل هذه المؤامرات؟ ولماذا لايكون «فهد» الكافر، وهو الذي يفتخر بصداقته وتحالفه مع الشياطين الصغار هو المتهم الأساس في هذا العدوان؟ وماذا على السعودية لو استخدمت نفطها كسلاح لتحطيم الصنم الأمريكي كما هو الحال في موقف الثورة الإسلامية من نفطها، علماً بانه لايُوجد في الدول الأُخرى بترولاً آخر يمكنه أن يقابل سلاح البترول الإسلامي؟ ألم تكن من نتائج ذلك أن نتخلّص من العدوان الإسرائيلي وأمثاله؟.

الدور السعودي في الحرب الصليبية ـ الاسلامية:

بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة في ايران فقد العميل «صدام» صنوه

في العمالة، ولم تجد أمريكا أكثر من صدام مخلصاً ومنفّذاً للمخطط الأمريكي الإستعماري عملاً بوصية شريكه الأكبر الشاه المقبور الذي أثبت لأسياده بأن صداماً مطيع ووفي، وكيف أنه وقع على يديه يقبّلهما في الجزائر عام ١٩٧٥م.

وبعد أن فشلت أمريكا في كل مؤامراتها ضدّ الجمهورية الإسلامية الفتيّة في كردستان وخوزستان والمقاطعة الإقتصادية وأخيراً في صحراء طبس كما مني به أصحاب الفيل الذين جعل الله كيدهم في تضليل.. حرّكت أجيرها صدام ليشنّ حربه على الجمهورية الإسلامية مريدة بذلك أن تطفأ نورالله «ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولوكره الكافرون» (١). «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنّهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون»(٢).

لقد أسفر النظام العفلقي في العراق عن عدائه الحقيقي للإسلام وهذه الثورة التي أرعبت العملاء في المنطقة... فطرح نفسه مدافعاً عن العروبة التي لاينوي بها إلّا محاربة القرآن وقادة الإسلام من العلماء والمفكرين، وقد نسي التزاماته القومية مع أثيوبيا الصليبية وهي تقوم بذبح أبناء الشعب الأريتري العربي المسلم.. وأمام إسرائيل التي احتلّت فلسطين العزيزة وشرّدت ابناءها البررة(٣).

وكيف يجرأ على ذلك وهو القائل: «إن إمكانات العراق وطاقاته لم تكن مهيّأة لأن توضع بالضد من الكيان الصهيوني من حيث الجغرافيا(٤)..؟ ونحن بدورنا نبارك للرفيق التكريتي هذا الزواج الكاثوليكي.

ولم يتحرك صدام بدافع القومية أمام الدم المراق الذي يسيل يومياً في لبنان... ألم تشبه عبارة صدام التي ألقاها في عدد من قادة حزب البعث

(١) سورة التوبة/آية ٣٢. (٢) سورة الصافات/آية ١٧١ـ ١٧٣.

(٣) طالب الخرسان «حكم الإسلام في القومية» ص٧٧.

(٤) صحيفة «الثورة» العراقية في ١٩٧٩/١٢/٢٠م.

الصليبي الكافر «إنّ أيّ شخص يبدي مقاومة أومعارضة أمام إرادة حزب البعث ومخطّطاته سوف يواجه الموت»(١) ماقاله مناحيم بيغن من «أنه لن يدع الفلسطينيين على قيد الحياة إذا استمرت المقاومة في جنوب لبنان...»(٢).

وبما أن رسالة ايران الثورة تدعو لتحرير فلسطين من براثن الصهاينة والاستكبار العالمي، إذن أمريكا تعتبر أول عدوّلها...وخيرشاهد على قولنا ماقاله الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد: «إننا لانستطيع أن ننسى بأن الثورة الإسلامية التي انطلقت من ايران قد بدّلت ايران من دولة معادية للأمة العربية الى دولة مساندة لها ـ وأضاف: كيف يمكن أن ننسى رفرفة العلم الفلسطيني في سماء طهران بدلاً من العلم الإسرائيلي..»(٣).

إن ظاهرة الخميني ليست غريبة عن النضال العربي، وكذلك الثورة ليست غريبة عن الدين الإسلامي، لكن بعض المسلمين العرب اليوم هم الغريبون عن ظاهرة الخميني، كما هم غريبون عن الثورة لأنهم غريبون عن الاسلام الحقيقي..»

وأسطع دليل هو شعارها الهادف الى تحرير الأرض الفلسطينية الإسلامية وخاصّة القدس...

فالجماهير المسلمة في ايران آمنت منذ اللحظة الأولى لانتصار ثورتها بشعارات والتي منها «لاشرقية، لاغربية، جمهورية إسلامية».

سئل الامام الخميني: ماذا تعني بالدولة الإسلامية؟ وماهي سياسة هذه الدولة؟ فأجاب بهدوء مذهل: إنها كالزيتونة التي وصفها القرآن لاشرقية

---

(١) صحيفة «الجمهورية» البعثية في ١/١/١٩٨٠م.(٢) صحيفة «بديعوت احرنوت» في ٢٧/١٢/١٩٧٩م.

(٣) في معرض حديثه لمجلّة «المستقبل» نقلاً عن كتاب «جرائم صدام..وصدام الجرائم الى أين؟؟»ص٧.

ولاغربية.

فالثورة الإسلامية في ايران ليست خطراً على إسرائيل فحسب بل أوجدت لاسرائيل عدواً حضارياً كانت تخشاه دوماً وهو الإسلام المحمّدي، فالصراع مع إسرائيل صراع مع حضارتين، الإسلام والكفر المتمثل بأمريكا وإسرائيل كما صرّح به الامام الخميني.

فمنذ اللحظات الاولى لانتصار الثورة الإسلامية كان صدام وأسياده يعدّون العدّة الحربية للهجوم على ايران، واشتدّ الضغط على حركة المستضعفين في كل العالم، فالسعودية قررت أن تتخذ سياسة القمع والتنكيل بحقّ كل من يفكّر بالتحرر أو بالنهوض، فأسفرت عن القضاء التامّ على حركة التمرد في الجيش وثورة المسجد الحرام وانتفاضة المنطقة الشرقية والقطيف وغيرها. والكويت هي الأُخرى شدّدت على كل المعارضين وعلى علماء الدين الثائرين وتعاونت مع الإرهاب البعثي العراقي في مطاردتهم وملاحقتهم. وحصل ذلك في البحرين ودبي ومسقط وغيرها.

وفي داخل العراق كان للثورة الإسلامية تأثير كبير على نفوس المؤمنين، ففي بغداد وكربلاء والنجف والكاظمية والبصرة والثورة سرت موجة شديدة من الوعي الإسلامي وخرجت مظاهرات صاخبة تطالب بقيادة الحكم الإسلامي العادل وتهتف بحياة الامام الخميني وتؤيّد الثورة الإسلامية في ايران ولم يرق هذا لعملاء أمريكا المجرمين بطبيعة الحال فقابلوا تلك الروح الإسلامية بكل وحشية وضراوة ليس لها نظير في التاريخ.

ونحن نرى أن «مؤتمر الطائف» قد تآمر على الأمة الإسلامية حين تمشّى مع مزاعم صدام وكونه محقاً في حربه مع الجمهورية الإسلامية فيما يتعلّق بالسيادة على الأرض والمياه، وهو بقادسيته الخرقاء امتداد لقادسية المسلمين الأوائل... ذلك أن الخطّ الرسالي الواضح يأبى أن يكون ماجرى ويجري على

يد العفالقة والصهاينة هو نتيجة أو امتداد لذلك الخط.

إن حرب صدام والدعم اللامحدود من العملاء في المنطقة وخاصة السعودية والكويت والاردن ضدّ الجمهورية الاسلامية وانشغالهم عن القضية المركزية «فلسطين»، والإرتباط المشبوه مع وكالة الاستخبارات المركزية في «كامب ديفيد» وغيرها، وتسليم السادات المقبور أراضي مصر وتسليم آل سعود كلاً من الرملة واللد لإسرائيل عام ١٩٤٨م، ليس موقفاً إنسانياً على أقلّ تقدير، فكيف يكون إسلامياً وينتسب الى أصالة المواقف الإسلامية وأفذاذ رجالاتها؟.

وبعد مابدأ العدّ التنازلي في أُفول نجم الارهاب والاجرام «صدام» العفلقي، نتيجةً للخسائر المتلاحقة التي منيت به قوّاته ابتداءً من كسر طوق الحصار العراقي عن عبادان وتحرير مدينة بستان والأراضي الشاسعة غرب دزفول وشوش إلى فكّة الحدودية، وانتهاءً بتحرير المناطق الإستراتيجية ـ يعني هويزة ومعسكر حميد وشملجة وكوشك ـ والهجوم الموفّق الناجح على خرّمشهر، أدركت الدوائر الاستعمارية التي ساندت صداماً مادياً ومعنوياً في الحرب حجم الفضيحة التي لحقتها نتيجة اندحار حصانها الخشبي «صدام» ومدى الهستريا والذعر الذي ألمّ بها خوفاً على عملائها في المنطقة، ومصالحها المعرّضة للخطر من الزوال الى الأبد بسطوع فجر الإسلام من جديد، حيث نلاحظ بعد حصار خرّمشهر أن وكالة رويتر(١) تنقل عن دبلوماسيين غربيين من لندن: «أن نتيجة الحرب في خرّمشهر ستقرر نتيجة حرب الخليج ـ كما يسمّونها ـ والتي بدأت في سبتمبر أيلول ١٩٨٠م».

والنتيجة تعني حسب مفاهيم هؤلاء هو بداية النهاية للأنظمة العميلة وللمصالح الامبريالية. هذا مانلاحظه أيضاً بعد تحرير المدينة حيث صرّح

---

(١) التابعة للكارتل الاحتكاري الصهيوني في ١٩٨٢/٥/٢٣م.

المسؤولون الأمريكيون وعلى رأسهم وزير الخارجية «الكسندرهيك» بالقول «إن الانتصار الايراني عامل خطر وتهديد لمصالح أمريكا والغرب في الخليج»(١).

وأمّا أنظمة الغدر والخيانة، الكيانات الحاكمة في المنطقة، فهي الأُخرىٰ أصيبت بالذعر والخوف مما أفرزته الإنتصارات الإسلامية في مسار الحرب البعثية الصليبية المفروضة على ايران الإسلام، فقد اندفعت الجهات الرسمية تدعوا لوحدة الصف والتآزر مع النظام العراقي في حربه العدوانية ابتداءً من تحرّكات شاه الاردن المكوكية، ومواقف زميله في العمالة الحسن الثاني، وتهديدات المنبوذ حسني اللامبارك، وتصريحات وزيارات المأجور قابوس، وانتهاءً باجتماعات الفسقة والمنحرفين في شبه الجزيرة العربية للبحث في سبل النجاة من المأزق الذي أوقعوا أنفسهم به جرّاء مصارعة الحق الاسلامي.

فالوقائع والأحداث تشهد بأنّ هذه الحرب هي في صالح أمريكا والصهيونية، وهو ما أشار إليها وأكّدها المسؤولون الإسرائيليون أنفسهم، حيث جاء في تصريح لـ«وايزمن» وزير الحرب الصهيوني السابق والمفاوض العنيد في معاهدة «كامب ديفيد» الخيانية «إن الحرب تخدم إسرائيل بشكل جيّد، وإنها قد خفضت من وطأة الضغوط الموجّهة ضدّ إسرائيل في الجهة الشرقية، وعليه فإن إسرائيل ستبقىٰ شاكرةً «لصدام» إعلانه الحرب على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، إذ أن تخطيط إسرائيل ليس بأفضل مما يقوم به العراق في مهاجمة ايران وإضعافها الآن»(٢).

وهذا الكلام كان بعد ثلاثة أشهر من ابتداء الحرب، ولسنا هنا في صدد

(١) وهو ما نقلته وكالة الأنباء الفرنسية مساء ١٩٨٢/٥/٢٥م من واشنطن.
(٢) نشرتة صحيفة «نيوزويك» الأمريكية بتاريخ ١٩٨٠/١٢/٧م

التكلّم عن حجم المساعدات الإسرائيلية لصدام ودعمها ومساندتها المبدئية له من السماح للبواخر الأجنبية بنقل الأسلحة والمعدّات للعراق تحت إشراف ونظر المسؤولين الإسرائيليين وتفريغ شحناتها هذه في ميناء العقبة، هذا مثلاً، ولاعن سكوت وتجاهل إسرائيل للدعم الاردني المباشر للعراق، وتقاربهما الكبير وهو ما تتخوّف منه دائماً لكونهما يشكّلان الجبهة الشرقية وو... ولكن يهمّنا أن نعكس موقف إسرائيل في تحرير خرّمشهر.

لقد جاء في الأخبار كما نقلتها وكالات الأنباء عن الإجتماعات العاجلة للكنيست الإسرائيلي في بحث التطورات الأخيرة، وتأثيرها على إسرائيل، حيث صرّح المسؤولون «إن الانتصار الإيراني في تحرير خرّمشهر يشكّل خطراً جديداً على أمن و وجود إسرائيل»(١).

نعم هذه الحقيقة، وهي التي أفلح فيها المسؤولون الايرانيون عندما ربطوا مصير خرّمشهر بتحرير الأراضي المغتصبة في فلسطين من براثن الأوغاد الصهانية، عندما أطلقوا على عملياتهم الأخيرة إسم «طريق القدس».

لقد حدا الأمر بأمريكا أن تصرّح بأن مصالحها لا تناقض مصالح العراق في المنطقة، وهي إشارة الى أذيالها في المنطقة لمساعدة العراق بأكبر قدر ممكن. فقد جاء اعلان ذلك على لسان «بريجنسكي» معقباً على موقف النظام العراقي من المصالح الأمريكية في المنطقة: «إننا لانرى تناقضاً في المصالح العراقية- الأمريكية مطلقاً» (٢).

إثر ذلك انهالت على النظام البعثي المساعدات من كل حدب وصوب وكل على قدره- إن لم نقل أكثر- لتعيد روح الحياة إليه سيّما وأنه يعاني من سكرات

---

(١) ومنهم وزير الخارجية الإسرائيلي يوم ١٩٨٢/٥/٢٦م. نقلته صحف «دافار» و«هآرتس» و«بديعوت أحرنوت» الإسرائيلية في ١٩٨٢/٥/٢٧م.

(٢) صحيفة «نيوزويك» الأمريكية بتاريخ ١٩٨٠/١٢/١٠م.

الموت.

فقد كتبت صحيفه «نيو يورك تايمز» الأمريكية نقلاً عن مسؤولي الحكومة الأمريكية «إن دراسات مجلس الأمن القومي الأمريكي للأوضاع الداخلية للنظام البعثي قد أظهرت حاجة هذا النظام الى المساعدات المالية الكبيرة لإعادة المعنويات الى قوّاته وإصلاح الحالة الإقتصادية المتأزّمة والتي نتجت عن الحرب. وأضافت. أن حكومة ريغان طلبت من حكومات المنطقة زيادة مساعدتها للنظام البعثي وذلك لأن حكومة ريغان قلقة جداً من هزيمة النظام البعثي في حربه ضدّ الجمهورية الإسلامية، ولن تخيّب السعودية وأنظمة الخليج وبعض الدول الاخرىٰ آمال أمريكا، وقد كانت السعودية على رأس قافلة المساندين للنظام البعثي»(١).

كشفت صحيفة «كريستيان سانيس مونيتور» الأمريكية عن تورّط سعودي جديد في دعم نظام صدام التكريتي في الحرب ضدّ الجمهورية الإسلامية. إذ أشارت الصحيفة إلى اتفاق سعودي- سوفياتي» يقضي بإرسال موسكو السلاح الى العراق مقابل أموال سعودية.

وقدّرت الصحيفة الأمريكية قيمة هذا الا تفاق وهذه الصفقة بمليارين الى ثلا ثة مليارات دولاراً. ولم تحدّد الصحيفة المذكورة تاريخ ومكان عقد هذه الصفقة(٢).

فالسعودية تكسر احتكار السلاح من المعسكر الشيوعي. وهذه المرة من بولندا وتشيكوسلو فاكيا وبلغاريا، والسبب هو تزويد النظام البعثي الصليبي بالأسلحة الثقيلة التي يحتاجها للحرب المستنزفة مع الجمهورية الإسلامية

(١) مجلّة «الصحوة الإسلامية» العدد الثاني ذي القعدة ١٤٠٥هـ السنة الأولىٰ مقال بعنوان «السعودية والعراق تكاتف ضدّ السقوط» بقلم السيد طالب الخرسان.

(٢) مجلّة «الشهيد» العدد ١٨٦ السنة التاسعة الأربعاء ١٤-رمضان ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧/٥/١٣ ص١٦.

الإيرانية. والمبلغ عدّة مليارات من الدولارات (١).

فبولندا في أزمة اقتصادية خانقة، لن تتردّد لمواجهتها في إرسال فائض سلاحها الثقيل في هذه الأيام العجاف مقابل مليارين من الدولارات، تشتريْ بهما القمح والمواد الغذائية.

وبلغاريا صلة الوصل الدائمة بين الاتحاد السوفياتي وكل بلد عربي يصعّد في علاقاته معه أو يتراجع بها، وهي في هذه الأيام تتوّج جهودها التي بذلتها وشهدت على أرضها لقاءات ولقاءات بين العراق والاتحاد السوفياتي، وبين حزب البعث العفلقي والحزب الشيوعي العراقيّين.

أما تشيكوسلوفاكيا فهي تستعيد دوراً لها مضى مع أول صفقة أسلحة عقدها جمال عبدالناصر مع الاتحاد السوفياتي عام ١٩٥٥م، يوم كسر احتكار السلاح الغربي.

هذا عن الذي باع، فماذا عن المشتري «المملكة السعودية» إنها مستعدة للوصول الى الشيطان من أجل استمرار الحرب بين الشعبين المسلمين في العراق وايران، فهذه هي فرصتها التاريخية، لكي تفرض سيطرتها على «مسكينات» الدول النفطية الصغيرة بجانبها.

وإذا كانت الشيوعية هي «بعبع» المملكة السعودية حسب دستورها العرفي فإنّ انتصار الإسلام لهو خطر أشدّ على آل سعود. لماذا؟ لأن التهديد الشيوعي يسمح لها باستدرار العطف من الكثيرين، وأما اكتشاف زيف إسلامها فهي النهاية الفعلية التي يرتاح لها الرساليون الإسلاميون.

فماذا بقي لأُسرة (آل سعود)، بعد أن دفعت أموال المسلمين لشراء أسلحة شيوعية، لتسفك دماء العراقيين والايرانيين المسلمين على حدٍّ سواء؟

---

(١) صحيفة «ليبراسيون» في ٢١/١٠/١٩٨٢م.

فكما وَرَدَ عن الخمرة «لعن الله صانعها وساقيها وناقلها»(١). يقال عن السلاح الشيوعي لقتل النفس الإسلامية «لعن الله مشتريه ووسيطه ودافع ثمنه وناقله لأنه يستنزف المال والدم في سبيل استمرار سلطته، لاهمّ عنده إن تقاتل المسلمون، فالمهمّ عند آل سعود أن ثمن الحديد والبارود، أنهار الأحمر القاني، حتى ولو صالحوا الشيوعية التي يتغنّون بمحاربتها، وحتى لوذبح المسلمون بسلاح دفع ثمنه السعوديون، وهم الذين يرفعون في النهار راية الإسلام، ويدفعون في الليل ثمن انتكاسته وحربه.

النظام السعودي وشراء الضمائر الميّتة:

يستند النظام السعودي في الحفاظ على وجوده وديمومة حكمه على حقل الإعلام إضافةً لارتكازه لقوى المخابرات والممارسات الإرهابية، وهو في هذا المجال لن يتخلّف لحظة واحدة من أجل استخدام شتى الوسائل من أجل تجميل خطواته الاجرامية بحقّ الإنسانية، وإبراز رموز نظامه أمام الرأي العام العالمي وهم يلبسون مسوح الوداعة والأمانة وهم الذين عرفتهم البشرية أقذر الذئاب شراسةً وهمجية، وأفضل اللصوص المحترفين في نهب وسرقة ثروات المسلمين.

نعم يتظاهر النظام السعودي بمظاهر الاسلام والثورية والجهاد ضدّ إسرائيل وتحرير فلسطين والدفاع عن حقوق المسلمين وغير ذلك من النعوت والأوصاف التي حوتها سجلاّت السياسة الميكافيلية المستندة الى قاعدة «الغاية تبرّر الواسطة».

فقد مجت أسماعنا من تهريج وخزعبلات وسائل الإعلام السعودية والأجنبية المتواطئة معها، وتراكمت في المزابل الخاصّة للأماكن المعنية بشؤون

---

(١) انظر «جامع السيوطي» ج ٢ ص ١٣، وابن ماجة: كتاب الأشربة.

الفكر والقلم. تلك الأوراق التي سوّدت صحائفها بإنجازات نظام القتلة في الحجاز. ولم تخجل من قرّائها عندما جعلت من طاغية آل سعود «فهد» اسطورة خيالية في شتى العلوم والمعارف الإنسانية والإسلامية تقصر عن محاكاتها العقول وأدمغة العباقرة والمصلحين...

نعم أخي المسلم: «فهد» هذا النزق الغبي استخدم كافة أدوات المؤسّسات الرسمية والدعائية وما يرتبط بها من أجل الضحك على ذقون البسطاء والكذب والتزوير وتدليس الحقائق والدجل المشعوذ لوضع مساحيق التجميل بألوانها المختلفة على سواد نظامه الدموي وذلك من قبيل استخدام الوسائل الخبرية المسموعة والمرئية ودور النشر والثقافة وجمعيات الفسق والرذيلة ومكاتب شركات الطيران والخطوط الجوية السعوديةوالقنصليات والسفارات والبعثات التجسّسية تحت ستار البعثات التعليمية والتدريسية والمهنية وغيرذلك.

ولم يكتفِ بذلك وهو الذي يشعر بحقارة شخصيّته الوضيعة بل عمد إلى شراء الضمائر الميّتة وأصحاب االأقلام المريضة والمتسوّلين الباحثين وراء الدرهم والدينار هنا وهناك من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية لتمجيد شخصيّته القبيحة ووضع رتوش الإنسانية المكرمة عليها. وفي هذا المضمار نتطرق الى الحديث بالأرقام على مدى ضآلة الأقلام المأجورة وأصحابها من الحاقدين والموتورين والمتسكّعين والتمالى وراء موائد الأراذل والطغاة. تلك الأقلام الفاسدة المحررة في مجلات النهضة والرسالة وأُسرتي ومرآة الأمّة والمجالس الصادرة في الكويت والحوادث والدعوة والاسبوع العربي و... و...و...وأيضاً صحف الكذب والنفاق من أمثال الشرق الأوسط وعكاظ والمدينة السعودية والرأي العام والسياسة والأنباء الكويتية و...

لقد دفع «فهد» هيئة تحرير المجلات المذكورة أعلاه أكثر من

(٥٠/٤٨٠/٠٠٠)(١) مليون دولاراً أمريكياً ابتداءً من الجريمة البشعة التي راح ضحيّتها الحجاج المسلمون الأبرياء في مكّة المكرمة يوم الجمعة السوداء ٦/ذي الحجة الحرام/١٤٠٧هـ، فقط لتمجيد صاحب العطاء وتحريف الواقع بتزويره. وأمّا الصحف والمجلات الإسلامية التي كانت تساند الثورة الاسلامية في ايران والتي تخلّت عن مساندتها بعد أن قبضت الدولارات السعودية فقد دفع لها «آل فهد» أكثر من (١٥) مليون دولاراً أمريكياً.

فياترى لماذا ينفق «آل سعود» هذه الأموال الطائلة المنهوبة من خزينة الشعب المسلم في الحجاز؟ ولماذا تتقبّل تلك المجلات والصحف هذه السرقات وهي تعلن في أوراقها الكالحة من ألفها إلى يائها استقلالها وحصانتها؟.

أليست أبواق الباطل سواء؟ والرابط مشترك بين العملاء الأقزام والمصلحين المتسترين بقدسية الكلمة والقلم.

ومن المناسب أن أُشير إلى ماقدّمه الوفد الإعلامي السعودي الى المؤتمر الثامن لوزراء الإعلام في دول الخليج المنعقد في الرياض في الثالث من صفر ١٤٠٠هـ الموافق ٢٢ كانون الأول ١٩٧٩م مذكرة (بشأن التنسيق لتوحيد الإجراءات لمواجهة ماينشر في بعض الصحف الخارجية ضدّ دول الخليج العربية).

وتقول المذكرة: «وحيث إن بعض الصحف والمجلات العربية والعالمية لازالت تنشر أخباراً مدسوسة ومغرضة ضدّ واحدة أو أكثر من دول الخليج العربية ورغبةً في أن يكون اتخاذ الاجراء المضاد منسّقاً وموحّداً قدر الإمكان فإننا نقترح أن يقوم وزير الإعلام في المملكة العربية السعودية برقياً باسم

---

(١) مجلّة «نيويورك تايمز» بتاريخ ١٩٨٧/٩/٧م مقالة بعنوان «ماهو سرّ التحرك السعودي الجديد؟» بقلم الكاتب جون كفنر.

الجريدة أو المجلة ورقم العدد وتاريخه والموضوع أو الخبر المنشور ومواطن الطعن والإساءة لدولته الواردة فيه والإجراء الذي يقترح اتخاذه ضدّ الصحيفة بما يتناسب وظروف الحال ويزود إخوانه وزراء الإعلام لدول الخليج العربية بصورة من برقيته، ويقوم وزير الاعلام السعودي بالتنسيق لاتخاذ إجراء موحّد لتشعر تلك الصحيفة أو المجلّة بتضامن دول الخليج العربيةوأنّ مايؤذي أو يسيء إلى إحداها يؤثر ويؤدي باقي الدول الخليجية العربية»(١).

وهكذا فإن التنسيق الأمني الخليجي الذي تتزعّمه الرجعية السعودية ـ من أجل قمع القوى الإسلامية والوطنية والتقدمية في هذه الدول ـ لم يعد كافياً بل تجاوزه الى التنسيق الإعلامي بهدف ترهيب أصحاب المجلات والجرائد التي تعري وتفضح هذه النظم المتهرّئة، وتكشف تآمرها مع القوى الامبريالية والصهيونية ضدّ مصالح الأُمّة العربية والإسلامية.

إن هذه المذكرة تحتوي على عقلية قبلية متحجّرة، تلك العقلية التي امتازبها الحكّام السعوديون على طول تاريخهم. وهذا الأمر يعتبر مفارقة عجيبة، إذْ أن حكام السعودية لا يكتفون بمصادرة الحريات في التعبير والرأي والعقيدة للشعب الجزيري. بل يحاولون مصادرة حريات التعبير والرأي لأُناس غير سعوديين، وكأن شعوب العالم خاضعة لحكم «آل سعود» الارهابيين.

الأصابع السعودية في إشعال الفتنة الطائفية:

التاريخ مرآة رقيّ البشر، والمؤرخ هو صاحب تلك المرآة الصافية الذي يرينا ما ينطبع عليها من الآثار التي تصور لنا عقلية أفراد ذلك الشعب أجمل تصوير،

(١) نشرتها مجلّة «الصحوة الاسلامية» العدد ٣ الأثنين ١٦ ذي الحجة ١٤٠٥هـ السنة الأولىٰ وفي زاوية خبر وتعليق «الإعلام السعودي والعقلية القبلية المتحجرة»، ومجلّة «الحرية» التي تصدر في سوريا في ١٩٨٣/٥/٨م ص ٢٠ شؤون عربية «المملكة السعودية: حرب على الصحف».

وتمثل لنا نفسيّاتهم أحسن تمثيل.

فالتاريخ هوالذي يصف لنا الأُمم والشعوب، وهوالذي يقصّ علينا أخبار الماضي، وهو الذي يعطينا صورة ملموسة عمّا وصلوا إليه من الرقيّ أو السقوط، وما اتصفوا به من حيث السياسة أو الدين أو الأدب، أو غير ذلك ممّا يتحفنا به كل حين كلما استعرضنا حوادثه، أو قلبنا صفحاته.

وليس شيءٌ أعمّ فائدة من التاريخ إذا كان المؤرخ أميناً يحدث بصدق، وينقل برويّة وتثبّت، ويكتب بقلم نزيه، يورد الأشياء كما هي من غير زيادة ولا نقصان.

لقد اجتمع على المؤرخ في الزمن الغابر عوامل فعّالة قضت عليه أن يأتي بالحقائق هوجاء شوهاء:

١ـ العواطف الدينية أوقل العصبية الذميمة، فلقد شوّهت وجه الحق، وجعلت الحقائق تستشهد على مجزرة العواطف، فقد كنت ترى المؤرخ لايسوق لنا قضية إلّا إذا كان شاهداً على رأيه، ولايأتينا بشيءٍ إلّا ما كان مدعماً ومؤيّداً لمذهبه، فهو إذاً لايبحث عن صحة السند، وإنما يبحث عمّا يوافق ميوله، ويتمشى مع رغباته. فهو دائماً يستغلّ القصص، وينتحل الأحاديث إذا ما أعوزه الأمر.

٢ـ لما رأى بنو أُمية وملوك بني العباس أن ليس لهم مميزات ترفع منزلتهم بين الناس ـ كما لبني هاشم رهط النبي (ص) وأولى الناس بالخلافة من بعده ـ أكثروا العطاء عندئذٍ للشعراء، وحملوا كثيراً من علماء السوء ـ بما بذلوا لهم من الأصفر الرنّان ـ على مدحهم، ووضع الأحاديث فيمن يحبّون، لتؤمن بهم العامة وليخفوا ماكانت تحويه ضمائرهم من المعتقدات الفاسدة التي ترفضها التعاليم الإسلامية الحقة كل الرفض.

٣ـ عدم الوسائط الكافية لحفظ الوقائع والحوادث، فلم يكن ثمة مطابع

تقيّد الحوادث كما هو في العصر الحاضر، بل لم يكن التدوين مستعملاً إلّا بعد النبي(ص)، لذلك كانوا يضطرون أن يعتمدوا على محفوظاتهم، وما وعته صدورهم، ولا يخفى ما في ذلك من المصاعب والمشاق، ومايقع فيه من الاشتباه والحيف(١).

وإنّا ما نشاهده اليوم لشاهد صدق على ما أقول، فإنك لتشاهد حادثة ويشاهدها غيرك، فتنقلها بصورة ثم ينقلها الغير بصورة أُخرىٰ، وهكذا إلى أن تتناقض الصور وتكون كل منها صورة برأسها.

فهذه عوامل ومؤثّرات قد ذهبت برونق التاريخ، وجعلت أُفقه مغبراً، وصفحته سوداء حتىٰ انسدّت الطرق بوجه الباحث، وكاد لايميّز بين الصحيح والسقيم.

ولا أخالني مبالغاً إن قلت: لوغربَلْنا التاريخ الإسلامي القديم ووضعناه على محكّ النقد لبقي بين أيدينا النزر اليسير. والذي يهوّن الخطب قيام بعض الغيارىٰ من الباحثين الذين أخذوا على عاتقهم نقد التاريخ وتفلية الأحاديث، فإنهم هم الذين مهّدوا لنا الطرق ووضعوا لنا قواعد مرعية استطعنا بواسطتها معرفة الصحيح من السقيم والقويّ من الضعيف.

هذه هي حالة التاريخ في العصر الغابر ما عرفت من الغموض، والخبط والخلط، وأمّا في العصر الحاضر فليس ثمّة مايدعو إلى ذلك فقد كثرت فيه المطابع، وسطعت الحقائق، كما وأن الانسان قد خرج من عصر الظلم والجور الى عصر النور، يستنشق أريج الحرية الفيّاح، ويستعرض نسماتها العذبة، وقد منح حرية الرأي والتفكير، فهو يكتب ما يوحي إليه ضميره، ويبرز ما يؤدي إليه فكره كما يشاء أو يشاء له الحق من غير أن يسيطر على قلمه مسيطر، أو يعترض

(١) محمدصادق الصدر«الشيعة»طبع بغدادسنة ١٣٥٢هـ.

طريقه معترض. ولكن بالرغم من ذلك كلّه تجد الليلة أُخت البارحة، فإنك ترىٰ الكاتبين- وهم في هذا العصر- يرتأون ما ارتأى أُولئك، يفكّرون بما يفكّرون، ويتذوّقون ما يتذوّقون كأنّما حلّت أرواح أُولئك في أجسادهم، وتقمّصت في أثوابهم فقيّدت أفكارهم بسلاسل الجمود بالرغم ممّا يتظاهرون به من الحرية في البحث، والتحلّل من تلك القيود، والتملّص من هاتيك الأغلال التي لا تزال في أعناقهم. بل زاد الكاتبون اليوم على أسلافهم، فإنك لتراهم يفاجئوننا بين كل آونة وأُخرىٰ بآراء ونظريات لايعرفها جهابذة التعصّب في تلك الأعصر المظلمة، فهم يزرقون سمومهم القتّالة بين طيّات أبحاثهم التي صبغوها بلون من العلم والفلسفة، ويضعون بين يديك نظريّاتهم ونتائج أفكارهم كأنها حقائق تاريخية راهنة، وكأنها كتبت مجردة عن كل عاطفة، ويسوقون لك القضايا السامة كأنها قضايا مسلّمة اجتمعت عليها الآراء، وتصافقت على الأخذ بها يدالتسليم.

في مثل هذه الظروف الأليمة، تجنّد السعودية طاقاتها وإمكانياتها ومطبوعاتها في سبيل محاربة التشيّع فقط!!

فقد صدر- بعد الثورة الاسلامية المباركة في ايران-كتاب اسمه: «وجاء دور المجوس»!!! وانك ترى «إحسان إلهي ظهير» الكاتب الوهّابي يصدر حكمه في كتابه «الشيعة والتشيّع» على الشيعة بالكفر. وترىٰ محبّ الدين الخطيب صاحب «الخطوط العريضة» و«أبوسفيان» يسقط الايمان من حسابها، وترىٰ أحمد أمين صاحب كتاب «فجرالاسلام» والرافعي وإبراهيم السليمان الجهمان كاتب مجلّة «الدعوة» السعودية والندوي الهندي والقصيبي و.. و.. يضربون على هذا الوتر. فهم يخرجون لنا نظرياتهم وآراءهم حول الشيعة باسم الفلسفة الحديثة، وباسم التمحيص في البحث.

ولاغرابة إذا ماشاهدنا «إحسان إلهي ظهير» المرتزق الوهابي ومن رأى رأيه

يخرجون لنا أمثال هذه النظريات الفاسدة، مادام أسلافهم قد مهدّوا لهم هذه الطرق، وعبّدوا لهم هاتيك السبل التي أسِّست للقضاء على الشيعة ومعتقداتها، ويأبىٰ الله إلّا أن يتمّ نوره ولوكره المشركون.

ترىٰ أي جناية بحقّ الله ورسوله يقدم عليها «إحسان إلهي ظهير» عندما يدعي أن عقيدة الشيعة الواقعية ليست مذكورة في كتب العقائد!! وكتب العقائد الشيعية هي كتب إعلامية دعائية للشيعة!! ماذا سيقول هذا الوهابي الحاقد لربّه غداً؟ إنـا لله وإنّا إليه راجعون.

الكلمات كم هي سهلة ويسيرة على لسان «إحسان إلهي ظهير» و«الندوي الهندي» و«الخطيب» و«إبراهيم الجهمان»، وغيرهم من أعضاء المحافل الماسونية في حين أنها مسؤولية خطيرة في ميزان الله ورسوله، وأمانة كبيرة في معيار الإسلام وأخلاقه. لست أدري هل راجع المدعو «إحسان إلهي ظهير» نفسه عندما تلفّظ بهذه العبارة النابية الوقحة التي لايقرّها مسلم ملتزم..؟! أم هي نفثات حقد وهابيّ يهوديّ دفين أراد الكاتب المرتزق أن ينفّس بها عن تصوّر خاصّ يحتفظ به في أعماقه إزاء هذه الطائفة من الأُمة الإسلامية؟!..

لقد طغىٰ «إحسان الوهابي» في تهكّمه على الشيعة، وحقيقي أن كلماته تلك ليست من بنات أفكاره، بل هي كلمات ابن حجر وابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب وأحمد أمين والرافعي والشيخ نوح التي قد انخدع بها هو وغيره ممّن يقولون: إنّا وجدنا آباءنا على أُمة ونحن على آثارهم مقتدون. وكأن كتب الشيعة في جحر الأفاعي لايستطيع الباحث الوصول إليها، أو كأن على بصره غشاوة كيف ساغ له الخضوع الى الأوهام؟ وكُتب الحديث بأجمعها تذكر ما بشر به النبي (ص) شيعة علي (ع) منها:

١ـ في تفسير الطبري: «إن علياً وشيعته هم خير البرية»(١).

٢ـ في كنوز الحقائق: «إن علياً وشيعته هم الفائزون»(٢).

٣ـ وفي الصواعق المحرقة: «قال أمير المؤمنين: قال خليلي(ص): يا علي إنك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيّين، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين» (٣).

٤ـ وأخرج الإمام أحمد في المناقب أنه(ص) قال لعلي(ع): «أما ترضى أنك معي في الجنّة، والحسن والحسين(ع) وذرّيتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرّيتنا، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا»(٤).

٥ـ وأخرج الديلمي: «يا علي غفر لك ولذرّيتك، وولدك، ولأهلك، ولشيعتك، ولمحبيّ شيعتك، فابشر فإنّك الأنزع البطين» (٥).

وكأنه ليس في العالم الإسلامي مشكلة سوى التشيّع!! يقول الشيخ محمدجواد مغنية ـ رحمه الله ـ أحد كبار الكتّاب المعاصرين وأكثر علماء الشيعة إنتاجاً في العصر الحاضر، مع غزارة مادة، وسلاسة أُسلوب، وكثرة نفع التأليف ـ: كل شيئ تطوّر إلّا الكتابة عن الشيعة، ولكل بداية نهاية إلّا الافتراء على الشيعة، ولكل حكم مصدره ودليله إلّا الأحكام على الشيعة!.. ولماذا؟ هل الشيعة فوضويون ومشاغبون يُعَكّرون صفو الناس وأمنهم؟!..

الجواب: إن منبع البلية هو كما يقول العلاّمة الشيخ محمدحسين آل كاشف الغطاء (رحمه الله): إن القوم الذين يكتبون عن الشيعة يأخذون في الغالب مذهب الشيعة وأحوالهم عن ابن خلدون البربري الذي يكتب وهو في أفريقيا وأقصى الغرب عن الشيعة في العراق وأقصى المشرق، أو عن أحمد بن عبد ربّه

---

(١) تفسير الطبري: ج٣ ص١٧١.
(٢) كنوز الحقائق: ص٨٢.
(٣) الصواعق المحرقة: ص٩٢.
(٤) نفس المصدر: ص٩٦.
(٥) الصواعق المحرقة: ص٩٦.

الأندلسي وأمثالهم، فإذا أراد كتبة العصر أن يتضلّعوا ويتوسّعوا في معرفة الشيعة رجعوا الى كتبة الغربيين وكتبة الأجانب كالاستاذ «ولهوسن» أو الاستاذ «دوزي» و أمثالهما، وهناك الحجّة القاطعة والقول الفصل. أما الرجوع إلى كتب الشيعة وعلمائهم فذاك مما لايخطر على بال أحدهم، ولكن الشيعي الذي هو على بيّنة من أمره، وحقيقة مذهبه إذا نظر إلى ما يكتبه حملة الأقلام في هذه الأيام عن الشيعة وعقائدها وجدهامن نمط النادرة التي يحدثنا بها الراغب الاصفهاني في كتابه المعروف بـ «المحاضرات» قال: مايخطر ببالي سئل رجل كان يشهد على آخر بالكفر عند جعفربن سليمان فقال: إنه خارجي معتزلي ناصبي حروري جبري رافضي يشتم علي بن الخطّاب، وعمربن أبي قحافة، وعثمان بن أبي طالب، وأبا بكربن عفان، ويشتم الحجاج الذي هو والى الكوفة لأبي سفيان وحارب الحسين بن معاوية يوم القطايف- أي يوم الطائف أويوم الطف- فقال له جعفربن سليمان: قاتلك الله! ما أدري على أيّ شئ أحسدك ؟ أعلى علمك بالأنساب أم بالأديان أم بالمقالات!!(١)

ويورد المؤرخ المسعودي في مروجه نادرة كهذه: «قال: قال لي رجل من أهل العلم سألني ذات يوم بعض العامّة- كم تطنبون في فلان وفلان؟ فقلت له: ماتقول أنت؟ قال: من تريد؟ قلت: علياً ما تقول فيه؟ قال: أليس هو أبوفاطمة إمرأة النبي (ع) بنت عائشة أخت معاوية. قلت: فما كانت قصة علي؟ قال: قتل في غزاة حنين مع النبي»(٢).

لقد أطّلعت في بحوثي على كثير من الغثّ والسمين، ولكن من حسن الحظ وقفت على مقدمة لكتاب عقائدي كتبها أحد العلماء الأعلام والمربّين الكرام

---

(١) محمدحسين كاشف الغطاء «أصل الشيعة وأُصولها» ص ١٠٥ و ١٠٦.

(٢) المسعودي «مروج الذهب» ج ٢ ص ٧٣.

وهو الاستاذ حامد حفني داود المشرف على الدراسات الإسلامية بجامعة «عليكره» بالهند، فسرّني تجرّده عن العواطف، وآمنت بعد ذلك أن هناك كتّاباً موضوعيين، بعد أن كدت أن لا أصدق بوجود أمثاله لكثرة ما اطّلعت عليه من مفارقات في كتابات الكثيرين من المتقدّمين والمحدّثين.

يقول الاستاذ حامد في مقدمته للكتاب العقائديّ الإمامي: «يخطئ كثيراً من يدعي أنه يستطيع أن يقف على عقائد الشيعة الإمامية وعلومهم وآدابهم ممّا كتبه عنهم الخصوم، مهما بلغ هؤلاء الخصوم من العلم والإحاطة، ومهما أحرزوا من الأمانة العلمية في نقل النصوص والتعليق عليها باسلوب نزيه بعيد عن التعصّب الأعمى.

أقول ذلك جازماً بصحة ما ادعى بعد أن قضيت ردحاً طويلاً من الزمن أدرس فيه عقائد الائمة الأثني عشر بخاصة وعقائد الشيعة بعامة، ممّا خرجت من هذه الدراسة الطويلة التي قضيتها متصفحّاً في كتب المؤرّخين والنقّاد من أهل السنّة بشيء ذي بال. وما زادني اشتياقاً إلى هذه الدراسة، وميلي الشديد في الوقوف على دقائقها إلّا بعداً عنها، وخروجاً عمّا أردت من الوصول على حقائقها، ذلك لأنها دراسة بتراء أحلت نفسي فيها على كتب الخصوم لهذا المذهب، وهو الذي يمثّل شطر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن ثمّ ـ اضطررت ـ بحكم ميلي الشديد إلى طلب الحقيقة حيث كانت والحكمة حيث وجدت والحكمة ضالّة المؤمن ـ أن ادير دفّة دراستي العلمية لمذهب الأئمة الاثني عشر إلى الناحية الأخرى، تلك هي دراسة هذا المذهب في كتب أربابه، وأن أتعرّف عقائد القوم ممّا كتبه شيوخهم والباحثون المحقّقون من علمائهم وجهابذتهم، ومن البديهي أن رجال المذاهب أشدّ معرفةً لمذهبهم من معرفة الخصوم به مهما بلغ أولئك الخصوم من الفصاحة والبلاغة أو اوتوا حظّاً من اللسن والإبانة عمّا في النفس، وفضلاً عن ذلك فان

الأمانة العلمية التي هي من أوائل أسس المنهج العلمي الحديث، وهو المنهج الذي اخترته وجعلته دستوري في أبحاثي ومؤلفاتي حين أحاول الكشف عن الحقائق المادية والروحية.

هذه الأمانة المذكورة تقتضي التثبت التامّ في نقل النصوص والدراسة الفاحصة لها فكيف لباحث بالغاً مابلغ من المهارة العلمية والفراسة التامّة في ادراك الحقائق أن يتحقق من صحة النصوص المتعلّقة بالشيعة والتشيع من غير مصادرهم؟ إذاً لارتاب في بحثه العلمي على غيرأساس متين. ذلك ما دعاني أن أتوسع في دراسة الشيعة والتشيّع في كتب الشيعة أنفسهم، وأن أتعرف على عقائد القوم نقلاً عمّا كتبوه بأيديهم وانطلقت به ألسنتهم لا زيادة ولا نقص حتّى لا أقع في الإلتباس الذي وقع فيه غيري من المؤرخين والنقّاد حين قصدوا للحكم على الشيعة والتشيّع، وأنّ الباحث الذي يريد أن يدرس مجموعة مامن الحقائق من غيرمصادرها و مظانّها الأصلية إنما يسلك شططاً ويفعل عبثاً ليس هو من العلم ولامن العلم في شيء.

ومثل هذا ما وقع فيه الدكتورأحمد أمين حين تعرض لمذهب الشيعة في كتبه، فقد حاول هذاالعالم أن يجلي للمثقفين بعضاً من جوانب ذلك المذهب فورّط نفسه في كثيرمن المباحث الشيعية كقوله: إن اليهودية ظهرت في التشيّع. وقوله: بتتبعيّتهم لعبدالله بن سبأ. وغيرهذا من المباحث التي ثبت بطلانها وبراءة الشيعة منها، وتصدى لها علماؤهم بالنقد والتجريح، وفصّل الحديث فيها العلاّمة محمّدحسين آل كاشف الغطاء في كتابه «أصل الشيعة وأُصولها»(١).

يروى أنّ بغداد في زمن العثمانيين كانت تعيش حرباً طائفية بين السنّة

---

(١) المظفر «عقائد الإمامية» الطبعة الثالثة ١٩٦٨م النجف الأشرف ـ المقدّمة.

والشيعة، ويروى أيضاً أن الحرب الطائفية فيها كانت تشتدّ وتستعر بعد كل تململ جماهيري إسلامي ضدّ استغلال الولاة من آل عثمان لأبناء العراق الأوفياء لتاريخهم القيادي في تركيز لواء الإسلام على أرجاء المعمورة آنذاك.

في الوهلة الأُولى يخيّل للإنسان أن الحرب الطائفية كانت فقط نتيجة التخلّف الثقافي بعد النكسة الحضارية التي منيت بها عاصمة العلم بغداد، أو أنها ناتجة لخلاف عفوي بين جاهلين من جهلة السنّة والشيعة. لكن الحقيقة غيرهذا، فقد تبيّن بعد زمن طويل وبعد أن خلّفت الحرب الطائفية الملعونة آلاف القتلى والثكالى والأيتام ودمّرت عشرات المكتبات الضخمة النادرة التي كانت تحتوي على كتب فريدة صرف عليها الآباء الأفذاذ أعمارهم المباركة، تبين بعد كلّ هذا وغيره كثير.

إن كلّ ذلك من نسج الطواغيت الولاة فإنهم كانوا يرسلون عملاءهم تحت جنح الظلام ليكتبوا على أبواب مساجد الله سبحانه في المناطق التي كان يرتادها السنّة عبارات لايستسيغونها، وكانت تكتب أيضاً على أبواب المساجد التي كان يرتادها الشيعة عبارات لاتليق بهم، بالاضافة الى بعض المقدمات كي يستحكم الخلاف وتقع الواقعة. عند ذلك يوم الوالي بأوامر من الباب العالي في التدخل لإصلاح شؤون المسلمين وتضميد جراحهم وكأنه لاعلم له بكلّ ماحدث.

ويعيد التاريخ نفسه علينا ليطلع علينا «آل سعود» وأضرابهم من فسقة القرن العشرين ومجموعة من وعّاظ السلاطين بلباس الدين والاسلام ليتباكوا على السنّة وحقوقهم المغصوبة في ايران، فمسألة النقشبندي اعتبرت فرصة سانحة لفتح باب من الحرب المضادّة على الجمهورية الاسلامية، فالرجل صوفي سني ومسألة (شيعة ـ سنّة) هي الاطار المناسب لأهداف القوى الإستعمارية الآن ولذا فقد أسرع أمير طاهري الصحفي السابق في «إطّلاعات» الايرانية في زمن

الشاه والذي يعمل الآن في «المجلّة» السعودية و«الصنداي تايمز» والذي كان معروفاً تماماً بعلاقته الوثيقة بدوائر السافاك التي كانت تسلّمه المقالات الجاهزة لنشرها في الصحيفة، أسرع طاهري الى مقابلة النقشبندي وأسرعت مجلة «المجلة» السعودية الى إفراد صفحتين للمقابلة، والغريب أن ماقصده طاهري من المقابلة كان إثارة الشيعة والسنّة. وقضية النقشبندي واضحة لاتحتاج الى مزيد من الاهتمام، ولكنّ القضية الأهم هي مسألة الشيخ الكردي السنّي احمد مفتي زاده الذي أعلن قائمة بالمطالب للحكومة الإسلامية معطياً إياها مهلة(١٥) يوماً للاجابة، وكان من هذه المطالب إنشاء جامعة في «سنندج» تحت إشرافه وعدة مشاريع ثقافية وعمرانية تحتاج الى سنوات للاعداد لها فما بالك بإنشائها. وبناءً على طلب الشيخ احمد وفّرت له الحكومة منزلاً في «كرمانشاه» وصرفت رواتب لأتباعه المتفرغين وكان له كامل الحرية في الاتصال بجماعته بكردستان أو أن يحضروا إليه في أيّ وقت، فيما قوافل «جهاد البناء» مستمرة في الوصول الى القرى بغير سلاح إلّا الجرارات وأدوات البناء لمساعدة المنطقة المحرومة على النهوض، وكل يوم يسقط من شباب «جهاد البناء» العديد من شهداء معركة النهضة الحضارية الإسلامية في كردستان.

ولكن الأُمور لم تستمر على ماهي عليه مع الشيخ مفتي زاده ففجأةً عاود همهماته وحديث عن مطالب جديدة، وبدا أن هناك اتصالات في الخفاء للترتيب لشيءٍ مّا،وإذا بالشيخ يعلن أنه دعا بعض العلماء السنّة من سنندج وبلوجستان وتركمانستان (من عشرين الى ثلاثين) إضافة إلى حوالي (٢٠٠-٣٠٠)من أتباعه الى اجتماع في منزله بكرمانشاه، ولم يأخذ تصريحاً من الحكومة لعقد الاجتماع بل ان قائد الحرس ومحافظ كرمانشاه نصحوه بان لايفعل مثل ذلك ولكنه رفض طلبهم وأصرّ على عمله. وفي الاجتماع تلا بياناً شديد اللهجة

مطالباً بمجلس شورى جديد يتقاسمه الشيعة والسنّة بالتساوي و تعديلات في الدستور وتغيير الأذان في كل أنحاء البلاد يرفع «أشهد أنّ علياً ولي الله» من الأذان ومهدداً في بيانه باستخدام السلاح ضدّ الحكومة إن لم تنفّذ المطالب فوراً.

وقد اعترف بعض أعوان الشيخ مفتي زاده بتلقيّهم أموالاً في السعودية وأن المسألة كانت أكبر حتى ممّا تصوّره الشيخ الذي اندفع تحت ضغط السعودية وعدم تحلّيه بروح الحكمة والتدقيق في عمل أقلّ مايوصف به أنه خروج على الحكومة الاسلامية(١).

وعن المدّ الشيعي (الخطر) المحتمل المهدّد لإسلامهم (الأمريكيّ الصهيوني) وقد استأجروا مرتزقة الصحافة والكتّاب لذلك. وهذه باكستان العملاقة يُستغلّ فقرها ووضعها الخاص ويستأجر ضعفاء الإيمان فيها لتضرب العمق الإسلامي بالطائفية البغيضة.

أخذ آل سعود يثيرون الفتن الوهابية بين أبناء السنّة والشيعة ويهدمون مساجد أبناء الشيعة، ولا يقبلون شهادة شيعي ولا صلاته ولا صيامه ولا يصلّون عليه إذا مات ولا يصلّون خلفه ولا يشربون من الماء الذي يشرب منه ولا يأكلون من طعامه، بينما يبيح تجّار دينهم طعام المستعمرين الانكليز والأمريكان وإسرائيل التي تمتلئ قصورهم بأطعمتها(٢).

إننا لانريد أن ندخل في سيرة آل سعود الملوك الطغاة وليس من شأننا هنا التعرض لكل جرائمهم و بوائقهم. فإنك كيف قلّبتهم انبعثت منهم رائحة الظلم والجور، وإن واحدة من بوائقهم تكفي لإخراجهم عن ربقة الإيمان وتدخلهم في زمرة الكافرين الملحدين.

---

(١) للمزيد راجع مجلّة «الطليعة الإسلامية» العدد ٢ التي تصدر عن المركز الاسلامي للدراسات والنشر ـ لندن.

(٢) م. ص «آل سعود من أين؟ وإلى أين؟» ص ٣٣ إشعال السعوديين الفتن الطائفية.

ففهد السعودي هو من البداية وحتى النهاية صاحب القرار الحقيقي لما اصطلح البعض على تسميته بـ «حرب المخيّمات»! هنا لابدَّ من التوقف قليلاً أمام هدف الحرب، فمن غير المنطقي النظر الى هذه المجازر المتلاحقة التي يتعرض لها الشعبين الفلسطيني واللبناني على أنها وليدة هواية لدى البعض أو نزوة لدى البعض الآخر.

إن ما يتعرض له الفلسطينيون واللبنانيون ناجم عن مواقف وسياسات ومخططات وحسابات، أساسها أن النظام السعودي تولّى بعد الغزو الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢م ملاحقة الفلسطينيين واللبنانيين وتشتيتهم في منافي عربية ومختلفة وبعيدة عن فلسطين ولبنان، على أن يتواكب ذلك مع حملة تصفية سياسية تشترك فيها أكثر من جهة عربية، ويسهل بالتالي التقدم بمساعي التسوية التصفوية على اختلاف أسمائها وهويّاتها، سواء عن طريق تطوير «كامب ديفيد»، أو تنفيذ مشروع «ريغان»، أو مشروع «فهد»، أو السير قدماً بالمشروع الصهيوني الأساسي القائم على تمزيق المنطقة كلها إلى دويلات وكيانات طائفية ومذهبية وعنصرية، سواء مانفذته السعودية بواسطة أدواتها في القوات اللبنانية بقيادة «ايلي حبيقة» أو مانفّذه النظام السعودي بواسطة حركات محسوبة على الإسلام ومنظمة «ياسر عرفات».

لقد أكّد «ريتشارد مورفي» للمسؤولين الصهاينة خلال زيارته الأخيرة الى تل أبيب أن الخيار الوحيد الأكثر فعالية لِلَجْم نشاطات الثوار المسلمين في الجنوب ومؤيّديهم من اللبنانيين هو الوصول الى تفاهم مع النظام السعودي حول هذه المسألة (١).

---

(١) صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية في ١٩٨٦/٤/١٦م مقال بعنوان «فلسفة البيت الابيض» بقلم الكاتب: دينس ليغراس.

وقد تقدم «مارك عـولدينغ» النائب الجديد لسكرتير عام الأُمم المتحدة الى المسؤولين الصهانية باقتراحات محدّدة بالتنسيق مع الإدارة الأمريكية حول الدور الذي يمكن أن تلعبه «السعودية» في الجنوب اللبناني(١).

وتقول الأوساط السياسية في تل أبيب أن الحكومة الصهيونية تنتظر حالياً نتائج الصراع الذي تخوضه منظمة «ياسر عرفات» بدعم وتوجيه الحكم في السعودية ضدّ الجنوبيين، فاذا أثبتت التطورات أن منظمة فتح قادرة على حسم الوضع لصالحها أمكن التفكير جدّياً بقبول المقترحات الامريكية وتنفيذ الخطّة الأمنية الجديدة (٢).

نعم إن أمريكا وحلفاءها يتّهمون الجمهورية الإسلامية في ايران ويهددون بالانتقام منها!! وهذا الاتهام لم يكن الأول من نوعه، فحيثما كانت هناك حركة إسلامية أو كان نشاط إسلامي وحيثما كانت عملية جهادية أو انتفاضة إسلامية اتهمت الجمهورية الاسلامية بذلك، حتى أنّ حركة الاضراب التي قام بها العمال المسلمون في مصانع فرنسا قالوا: إن الجمهورية الإسلامية خلفها!! وهذا أمر يدعو للسخرية.

وراحت الصحف السعودية تكتب مقالاتها حول حرب المخيّمات واعتبرت هجوم منظمة أمل على المخيّمات الفلسطينية هي بتوجيه القيادة الإيرانية باعتبار أن منظمة أمل محسوبة على الطائفة الشيعية.

إن الاسترسال للعاطفة والتمشي وراء الأغراض يدفعان الإنسان لأن ينسب لخصمه كل شيء مادام يصيب بذلك غرضه، فكم طمست من جراء هذه العاطفة معالم، وضيّعت بإزائها حقائق. وإنّا لنرجع باللائمة على أمثال

---

(١) صحيفة «الايكونوميست» في ١٢/٤/١٩٨٦م.

(٢) صحيفة «التايمز» في ١٤/٤/١٩٨٦م. مقال بعنوان «خطأ السياسة الأمريكة». بقلم روبرت فسك.

هؤلاء الباحثين الذين حكّموا العاطفة الدينية في محرراتهم، ولم يعطونا صورة صادقة تمثّل لنا الحق بمظهره الجلي، وكأنهم لم يريدوا بما كتبوا إلّا أن يقنعوا أنفسهم أو يغالطوا ضمائرهم، غيرمعتنين بإدلاء الحجج الكافية التي تؤيّد نظرياتهم وتوطّد أحكامهم، وغيرمعتمدين فيما كتبوا على آراء غيرهم، ولا من شك أن الدعاوى إذا كانت هذه صفتها وهذه منزلتها في سوق السياسة لامحالة تجبه بالرد، ويكون نصيبها الاهمال في نظر المنصف الذي يمشي وراء الحق.

والدعاوى مالم يقيموا عليها بيّنات أبناؤها أدعياء

ولو قدّر في يوم من الأيام أن تنشر الوثائق عن الحرب اللبنانية فسوف نجد أن المبالغ التي كانت تدفع لإثارة الحرب الطائفية في لبنان للمسيحيين كانت من قِبل الحكام العرب وخاصة حكام السعودية، وكان يدفع مثلها للمحسوبين على الخطّ الاسلامي من نفس المصادر أي حكام العرب ومنهم حكام آل سعود. فهل من وقفة أمام هذه المؤامرة التي تستهدف هويّتنا الإسلامية؟

إننا نعيش اليوم في زمن يعاني فيه المسلمون من تسلّط الكفار والمشركين والمنافقين، فلذلك لامجال اليوم للصراعات والاختلافات فيما بيننا.

فمشكلة المسلمين بأجمعهم واحدة، هي مشكلة طواغيت الأرض الذين انقضّوا على امّتنا الإسلامية، وسلبوها ثرواتها المادية والمعنوية. ففي نفس الوقت الذي عملوا به على تأجيج نيران الطائفية عن طريق سفاراتهم ومستشرقيهم وعملائهم ووسائل إعلامهم نراهم عملوا فيه على نشر العلمانية في عالمنا الإسلامي.

ولنردّد مع الامام الخميني حفظه الله كلمة قالها: «هناك ماهو أخطر من النعرات القومية وأسوأمنها، وهو خلق الخلافات بين أهل السنّة والشيعة، ونشر الأكاذيب المثيرة للفتن والعداء بين الأخوة المسلمين.

في إطار الثورة الإسلامية لايوجد ـ ولله الحمد ـ أيّ اختلاف بين الطائفتين،

فالجميع يعيشون معاً متآخين متحابيّن. أهل السنّة المنتشرون بكثرة في ايران والقاطنون مع العدد الكبير من علمائهم ومشايخهم في أطراف البلاد وأكنافها متآخون معنا، ونحن متآخون ومتساوون معهم، وهم يعارضون تلك النغمات المنافقة التي يعزفها بعض الجناة المرتبطين بالصهيونية وأمريكا.

ليعلم الأخوة أهل السنّة في جميع البلدان الإسلامية أن المأجورين المرتبطين بالقوى الشيطانية الكبرى لايهدفون خير الإسلام والمسلمين، وعلى المسلمين أن يتبرأوا منهم ويعرضوا عن إشاعاتهم المنافقة.

إنني أمّد يد الأخوّة الى جميع المسلمين الملتزمين في العالم، وأطلب منهم أن ينظروا الى الشيعة باعتبارهم اخوة أعزاء لهم، وبذلك نشترك جميعاً في إحباط هذه المخطّطات المشؤومة»(١).

فأين الأقلام المخلصة لتعرية المتاجرين بالطائفية وفضحهم وكشف المنتفعين؟ وأين الطاقات الإسلامية الهائلة للوقوف صفّاً واحداً في هذا الظرف الحسّاس؟

أمير الوهابيين (يزيد بن معاوية):

نعم... أخي المسلم لقد أصدرت وزارة المعارف في المملكة السعودية كتاباً بعنوان «حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية». ولايخفى على المسلم أن يزيد الخمور ويزيد القرود هو القاتل لريحانة رسول الله (ص) سيّد شباب أهل الجنّة الامام الحسين بن علي عليهما السلام ومعه آل الرسول (ص)، وهو الذي أباح المدينة المنورة ثلاثة أيام لما خرج عليه أهل المدينة بدافع ديني، وقال فيهم رئيسهم عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة، وقد أحسن إليه يزيد في من أحسن

(١) من بيانات الإمام الخميني الى حجّاج بيت الله الحرام ١٤٠٠هـ.

قال: «.. فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات و يشرب الخمر ويدع الصلاة والله لولم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءً حسناً».

ويزيد هذا أيضاً: هوالذي ضرب الكعبة المعظّمة بالمنجنيق، إلى غير ذلك من بوائق تلك الشجرة الملعونة، من قبيل تحويل القبلة، وتفضيل الخليفة على رسول الله والختم على أعناق الصحابة، وتغيير أوقات الصلاة، على ماذكره الجاحظ وغيره.

لم يثرالحسين من أجل المطالبة بالخلافة فحسب، ولكنه ثار تحقيقاً لكثيرمن المبادئ والأهداف، فقد ثار ضدّ أرستقراطية البيت الاموي، واستئثار الأمويين بالخلافة دون سائر الصحابة، وضدّ تحويل الخلافة من الشورى والانتخاب إلى نظام ملكيّ وراثي يشبه النظام الكسرويّ الفارسي أو القيصريّ الروماني. كما ثار الحسين(ع) ضدّ خلافة يزيدبن معاوية الذي لم يكن مؤهّلاً لتولّي الخلافة، ولم تكن صفاته الخلقية أو خبراته السياسية تؤهّله لتولّي هذا المنصب الخطير، ليخلف الرسول عليه وآله الصلاة والسلام في رئاسة الدولة الإسلامية. وكان الحسين(ع) حينئذٍ هورجل الساعة وبطل الموقف، واستشهد في سبيل آرائه ومثله العليا.

وها هوسيّد الشهداء الامام الحسين(ع) يصف يزيداً في رسالة جوابية لمعاوية عندما بدأ معاوية يمهّد الامور بإقناع العراق والحجاز بالبيعة ليزيد: «وفهمت ما ذكرته عن يزيد... تريد أن توهم الناس في يزيد كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاص. وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عندالتحارش والحمام السبق لأترابهن والقيان ذوات المعازف

وضروب الملاهي تجده ناصراً»(١).

عارض كثير من المسلمين البيعة ليزيد بولاية العهد، فإلى جانب غضبهم من أن الخلافة أصبحت ملكية وراثية، وكأنها كسروية أو قيصرية، فقد كانت صفات يزيد وأخلاقه لا ترضي المسلمين، ولا يمكن لهم مقارنتها بما كان عليه الخلفاء الراشدون، بل معاوية نفسه. وقد اعترف معاوية بذلك، فقال: «ولن يأتيكم بعدي إلّا من أنا خير منه، كما أن من قبلي كان خيراً مني»(٢).

يقول المستشرق فلهاوزن: «المأخذ الدائم الذي يؤخذ على الأمويين هو أنهم كانوا ـ أُصولاً وفروعاً ـ أخطر أعداء النبي (ص)، وأنهم اعتنقوا الاسلام في آخر ساعة مرغمين، ثم أفلحوا في أن يحولوا إلى أنفسهم ثمرة حكم الدين بضعف عثمان، ثم بحسن استخدام نتائج قتله، هذا، وأصلهم يفقدهم مزية زعامة أُمّة محمد (ص).

ومن المحن التي بلي بها حكم الدين أنهم أصبحوا قائمين عليه ـ مع أنهم كانوا ـ ومافتئوا مغتصبين لسلطانه، وقوتهم في جيشهم الذي هو على قدم الاستعداد في الشام، ولكن قوتهم لايمكن أن تصبح حقاً»(٣).

«وفي كتاب أوائل الإشتباه أن معاوية أول من ركب بين الصفا والمروة، وأول من أعلن بشرب النبيذ والغناء، وأول من أكل الطين واستباحه، وكان على منبر رسول الله (ص) يأخذ البيعة ليزيد فأخرجت عائشة رأسها من حجرتها وقالت: صه صه هل استدعى الشيوخ بنيهم البيعة؟ فقال معاوية: لا فقالت: فيمن اقتديت؟ فخجل معاوية ونزل من المنبر وحفر حفيرة لعائشة واحتال لها وألقاها فيه فماتت»(٤).

---

(١) ابن قتيبة «الإمامة والسياسة» ج ١ ص ١٩٥. (٢) ابن الأثير «الكامل» ج ٤ ص ٢.
(٣) تاريخ الدولة العربية: ص ٣٧٠. (٤) ابن طاووس «الطرائف» ج ٢ ص ٥٠٣.

ومعاوية هوالذي جدّد في المسلمين عقيدة المشركين واليهود بالجبر لبلوغ شهوة من شهواته وهي أن يجعل الخليفة بعده ولده يزيد.

فانظر الى عقيدة الجبر هذه مافعلت بالمسلمين إلى اليوم فقد نقضت هممهم وفتكت بعزائمهم، فبقوا تحت نير المذلّة «أذلّة خاسئين مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان»(١).

فما وجد الأمويون فرصة التسلّل الى القيادة، إلّا وأطلق أبوسفيان قولته المشهورة: «تلاقفوها يا بني أُمية تلاقف الصبيان للكرة، فوالذي يحلف به أبوسفيان، لاجنّة ولانار»(٢) وما وجد معاوية ثقة في نفس الوليد إلّا ونفض إليه ماكان يعتلج في صدره، إذ قال له ـ بعد كلام طويل ـ: «... وهذا ابن أبي كبشة ـ يعني الرسول (ص) ـ مارضي حتى قرن اسمه باسم الله فيصاح به كلّ يوم خمس مرات على المآذن أشهد أن محمّداً رسول الله، فأيّ عمل يبقى بعد هذا لا أُمّ لك، لاوالله إلّا سحقاً سحقاً، لاوالله إلّا دفناً دفناً»(٣).

هكذا وللمرة الثانية يعتدي معاوية فيها على الرسول الأعظم(ص) عندما سنّ سبّ الامام علي(ع) على منابر المسلمين التي شيدت أعوادها بسيفه وجهاده حتى جعلها وصيته الوحيدة التي لم تسمح له نفسه بتجاوزها عندماولّى المغيرة بن شعبة الكوفة فقد قال له «وقد أردتُ إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك ولستُ تاركاً إيصاءك بخصلة: لا تترك شتم عليّ وذمّه والترحّم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي والاقصاء لهم»(٤)

---

(١) من كلام لفاطمة الزهراء سلام الله عليها في خطبتها في أمرفدك تصف حال العرب قبل الإسلام.

(٢) ابن الأثير «الكامل» ج ٤ ص ١٥٠.

(٣) السيوطي «تاريخ الخلفاء» ص ٨٢، وابن كثير «البداية والنهاية» ج ٨ ص ٩١ والمسعودي «مروج الذهب» ج ٣ ص ٤٥٤.

(٤) تاريخ الطبري: حوادث سنة ٥١هـ، الاصبهاني «الأغاني» ج ١٦ ص ٦٠٢.

هذه هي وصية معاوية إلى أحد عمّاله سبّ علي (ع) وجعلها سنّة يتداولها بنو امية إلّا ما كان من عمر بن عبدالعزيز الذي رفع السب بعد لأي من عمر الدهر.

وخذ قول النبي (ص) المروي عن أُمّ سلمة رضي الله عنها حيث قالت «سمعت رسول الله (ص) يقول: من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أكبّه الله في نار جهنم» (١).

لأن الامام علي (ع) هو نفس رسول الله كما في الحديث النبوي الشريف وكما ينص القرآن الكريم في آية المباهلة حيث يقول: «فإن تولّوا فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم» (٢).

ولقد صحّ عن عمر بن الخطّاب أنه قال لعلي (ع) يوم غدير خم: «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمنٍ ومؤمنة» (٣) وقيل له أيضاً كما يحدّثنا به ابن حجر: «انه قيل لعمر إنك تصنع لعلي شيئاً لا تصنعه بأحد قال: إنه مولاي» (٤).

وهو حديث صحيح لا غمز فيه، انظر ما أمر به معاوية وما قاله الله في كتابه الكريم وماقاله النبي (ص) وماقاله عمر، واستخرج النتيجة التي ستدمغ معاوية بالكفر دون غمغمة أو اشكال، إنك ستطلقها صريحة لا تأخذك فيها لومة لائم أو عذل حسود أو حقود.

وبعد أن استتبّ الأمر لمعاوية على البلاد الإسلامية في عام الجماعة أوضح للناس طبيعة حكمه في كلمته التالية: «يا أهل الكوفة، أترونني قاتلتكم على

---

(١) ابن كثير «البداية والنهاية» ج٨ ص ١٦٠.

(٢) آل عمران/٦١. راجع تفسير الزمخشري، والفخر الرازي، وصحيح مسلم، ومسند أحمد، والدر المنثور للسيوطي.

(٣) تفسير الرازي: ج٣ ص ٦٣٦. (٥) ابن الأثير «النهاية» ج ٤ ص ٢٤٥.

الصلاة والزكاة والحج؟ وقد علمت أنكم تصلّون وتزكّون وتحجّون، ولكني قاتلتكم لأتأمّر عليكم وألي رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا إن كلّ دم أُصيب في هذه مطلول، وكلّ شرط شرطته فتحت قدمي هاتين» (١).

وما وجد يزيد مبرّراً ظاهرياً لضرب القاعدة الأساسية للرسالة والقضاء على عناصرها الأصيلة إلّا وبادر الى قتل النخبة الطيبة من آل الرسول في واقعة كربلاء، ثم استهدف النخبة الباقية من أصحاب الرسول بالقتل في واقعة الحرّة، واستهدف البدريين منهم بالذات، فما أبقى على أحد منهم، وأباح المدينة المنورة ثلاثة أيام- وهي حرم الرسول(ص) والقاعدة الأساسية للرسالة- على يد قائد جيشه مسلم بن عقبة ... ثم لمّا خلا الجو للعنصر الأموي، ومابقي من يدافع عن الرسالة أو يخشى منه ذلك، انعطف على الكعبة والقرآن، فضرب عبدالملك بن مروان الكعبة المشرّفة بالمنجنيق على يد عامله الحجاج بن يوسف الثقفي. ورمى الوليد بن عبدالملك القرآن بالسهام حتى مزّقه وظهرت هذه الخطة في الكثير من تصريحات وتصرّفات قادة العنصر الأُموي.

إن الذين عابوا على معاوية ويزيد وبني أُمية كثيرون من الخاصّة والعامّة، ونحن نعتمد فيما كتبه الثقات.

١- عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله(ص) يقول: أول من يبدّل سنّتي رجل من بني أُمية يقال له يزيد (٢).

٢- وعن رسول الله(ص): إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه(٣).

٣- قيل لعبدالله بن يحيى: هل تصلّي مع معاوية؟ قال: لا والله لا أجد فرقاً بين الصلاة خلفه وبين الصلاة خلف امرأة يهودية حائض، ولذا لوصلّيت خلفه

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج١٦ ص١٥ طبع ١٩٥٩م- دار احياء الكتب العربية.

(٢) ابن حجر «الصواعق المحرقة» ص٩٢.

(٣) ميزان الاعتدال: ج٢ ص٧، وتهذيب التهذيب: ج٥ ص١١٠.

أعدتها(١).

٤ـ وقد صرح ابن حجرالعسقلاني: «وكان الامام ابن أبي طالب(ع) على الحق والصواب في قتالهمن قاتله في حروبه: الجمل وصفّين وغيرهما»(٢).

٥ـ وهذا أبوحنيفة إمام المذهب يقول: ماقاتل أحد علياً إلّا وعليّ أولى بالحقّ منه، ولولا ماسارعلي فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين (٣).

٦ـ وأخرج ابن الجوزي عن طريق عبدالله بن أحمدبن حنبل إمام المذهب قال: «سألت أبي: ماتقول في عليّ ومعاوية؟ فأطرق رأسه ثم قال: أي شئ أقول فيهما!! إعلم أن علياً كان كثير الأعداء ففتّش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه كياداً منهم لعلي قال: فأشار بهذا الى ما اختلقوا لمعاوية من الفضائل ممّا لاأصل له»(٤).

إن دعاة الوهابية الذين يتظاهرون بالتعصب للحنابلة هم في الغالب من أشدّ الناس تعصباً لوهابيتهم، وهم في الحقيقة أحرص الناس على تحطيم المسلمين كمجتمع، والقضاء على الاسلام كفكرة، ومحو العقيدة الإسلامية من الوجود.

وأنا أجلّ مقام الإمام أحمدبن حنبل عن تلك النزعة (نزعة النصب)، كيف وهو مؤلّف كتاب «فضائل الامام علي(ع). وهو أيضاً صاحب الكلمة المعروفة التي قالها انطلاقاً من تخصّصه في فنّه الحديثي، وهي قوله: «مالأحدٍ من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثلما لعلي رضي الله عنه»(٥)، وهو الذي قام في أهل الحديث وجعل علياً(ع) في المرتبة الرابعة.

كما أنني أجلّ غالب حنابلة عصرنا عن النصب.. فقد ثار علماء الحنابلة

(١) ابن طاووس «الطرائف»ج ٢ ص٥٠٣. (٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج ١٢ ص ٢٤٤.
(٣) مناقب أبي حنيفة: ج ٢ ص٨٣. (٤) ابن حجر«الصواعق المحرقة» ص٧٦.
(٥) ابن الجوزي الحنبلي «مناقب أحمد» ص١٦٣.

ضدّ محمدبن عبدالوهاب وحكموا بانحرافه وبطلان عقائده منذ البداية.

٧ـ وفيما كتبه الجاحظ قال: «فعندما استولى معاوية على الملك واستبدّ على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سمّوه عام الجماعة، وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحولّت فيه الإمامة ملكاً كسروياً والخلافة غصباً قيصرياً... ثم مازالت معاصيه من جنس ما حكينا وعلى منازل ما رتّبنا حتى ردّ قضية رسول الله(ص) ردّاً مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش وما يجب للعاهر مع اجتماع الأمّة أن سميّة لم تكن لأبي سفيان فراشاً وأنه كان بها عاهراً فخرج بذلك من الفجّار الى الكفار»(١)

٨ـ ويكفي معاوية ماجاء على لسان الحسن البصري: «أربع خصال كنّ في معاوية لولم يكن فيه منهنّ إلّا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها ـ يعني الخلافة بغير مشورة منهم ـ وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكّيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً وقدقال رسول الله(ص): «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حجراً ويل له من حجر واصحاب حجر»(٢).

٩ـ وأودّ أن اشير إليه في هذا الصدد ما أورده العلاّمة المحقّق محمد أبوريّة حيث قال: «حسبنا ما قدّمنا من أدلّة على بيان حقيقة معاوية، وكيف كان يحكم، وما جناه حكمه الظالم على الناس وعلى الإسلام الى يوم القيامة، وكان لنا أن نجتزئ بما دون ذلك من بيان لأن كتابنا لم يفرد لتاريخ هذا الملك الباغي.

ولكننا اضطررنا إلى شيء من الاطالة والاستطراد لأنه لم يزل يوجد أُناس في

(١) الجاحظ «البيان والتبيين» ج٢ ص٦٠. (٢) تاريخ الطبري: ج٦ ص١٥٧.

عصرنا تحطب في حبله وتمارى في بغيه وظلمه وتبجّح بالقول: بأن دولته كانت أعظم دولة عرفها الإسلام وإذا نهض منصف ليبيّن شيئاً من صحيح تاريخه تصدّوا له بالشتم والسبّ ووصفوه بأنه شيعي، والتشيّع في رأي هذه الفئة الحمقاء نبز لقوم ليسوا بمسلمين»(١).

١٠ـ وقد أنصف العلاّمة بهجت أفندي صاحب كتاب «تاريخ آل محمّد» حين قال: «لماذا نلعن نحن ـ ابناءُ السنة ـ الخوارج كحرقوص بن زهير واتباعه، ولا نلعن معاوية وأبتاعه كعمرو بن العاص وغيره من خواصّ معاوية، مع أنه لافرق بين الطائفتين في جواز السبّ واللعن، حيث إن المجوّز لسبّ الخوارج ولعنهم بل الموجب لقتلهم هو خروجهم على إمام زمانهم العادل في الرعية الذي ثبتت إمامته بالإجماع وغيره.

ومن المعلوم أن نفس الملاك متحقّق في معاوية وأصحابه بنحو أشد. نعم، هناك فرق واحد بين الطائفتين هو أن معاوية كان موائده منصوبة وعطاياه متدفّقة، فقد كان ينفق الأموال على بعض الصحابة كأبي هريرة ونظرائه ليجعلوا الأحاديث، ويمنح الولايات لأمثال عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه وأمثالهم... في حين أن رئيس الخوارج لم يكن يملك هذه الوسائل. فما دلّ على جواز سبّ الخوارج ولعنهم دلّ على سبّ معاوية وأصحابه على حدّ سواء» (٢).

ومات معاوية وانقضى العهد والميثاق، وأصبح الحسين(ع) وجهاً لوجه أمام دوره التاريخي الذي يتحتم عليه أن يصنعه. وكان على الحسين(ع) أن ينهض بهذا الدور، لقد كانت الثورة قدره المحتوم، أما الآخرون الذين أبوا البيعة ليزيد فلم يكن لهم عند المسلمين ما للحسين من المنزلة، وعلوّ الشأن.

---

(١) محمّد أبورية «شيخ المضيرة» ص ١٩٠.

(٢) بهجت أفندي «تاريخ آل محمّد» ص ٨٨.

كانت ثورة الحسين(ع) السبب في انبعاث الروح الجهادية في الإنسان المسلم من جديد بعد فترة طويلة من الهمود والتسليم، فقد كانت الآفات النفسية والإجتماعية تحول بين الإنسان المسلم وبين أن يناضل عن ذاته وعن انسانيته، فجاءت ثورة الحسين(ع) وحطمت كل حاجز نفسي واجتماعي يقف في وجه الثورة.

كان الاطار الديني الذي أحاط به الأمويون حكمهم الفاسد يحول بين الشعب وبين أن يثور، فحطّمت ثورة الحسين(ع) هذا الاطار، وكشفت الحكم الاموي على حقيقته، فاذا هو حكم جاهلي لادينيّ ولاإنساني تجب الثورة عليه وتحطيمه.

إن ثورة أبي عبدالله(ع) كتبت بالدم والمآسي، وإن الرسالة التي لا تكتب بالدم والمأساة لا تترسخ جذورها في ضمير الناس، وقد لا تدوم أبداً، لذلك قال الرسول الأعظم(ص): «حسين مني وأنا من حسين»(١) وقال: «الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة» (٢).

فملحمة كربلاء بقيت تنير درب الثائرين لأنها كانت تجسيداً لرسالة السماء، ورسالة السماء عبّرت عن سنّة إلهية، وعكست قانوناً كونياً تجريها إرادةالله رغم أنف الطغاة والمتجبّرين. ذلك هوقانون تكامل الإنسان وتطوّره الصاعد بفعل رسالات السماء وثورات المخلصين من أتباعها.

وقيمة الثائرين ليست حينما ينتصرون وتضعف لهم الأيدي، بل حينما يختارون طريقهم وجبهتهم في حين تكون الظروف كلّها معاكسة لهم. وتأتي عظمة الإمام الحسين(ع) اختيارة للثورة في مثل هذا الظروف المعاكسة له تماماً.

---

(١) فضائل الخمسة ج٣: ص٢٦٢ و٢٦٣ عن صحيح الترمذي.

(٢) أُسدالغابة، مستدرك الصحيحين، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ.

وهنا لابدَّ أن يمارس الإمام الحسين(ع) مسؤوليته في صون الرسالة الإسلامية من خطر الإبادة، وعليه أن يقوم بثورة مسلحة حاسمة متبعاً اسلوب «الكفاح المسلّح» سواء كانت النتيجة الموت أو النصر.

في خطبة للإمام الحسين(ع) يعطي خطة العمل لوتعرض الإسلام للخطر الماحق حينما يقول: «إن رسول الله(ص) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهدالله، مخالفاً لسنّة رسول الله يعمل في عبادالله بالإثم والعدوان فلم يغيّر «ما» عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» (١).

وثم إن المخططات الأُموية لم تكن تستهدف الإمام الحسين(ع) كشخص في زمان يزيد بقدر ما كانت تستهدف الإسلام كدين وكمبدأ.

وهل هناك من يجهل الحسين(ع) وجاهةً عندالله وعند رسول الله، وفي السماء، وفي الأرض؟

ونتذكر هنا ومضات ـ بكل اختصار ـ من ذلك، وإلّا فالإلمام الكامل بشخصية الحسين عليه السلام وماورد في فضله ومقامه وجاهه لايستوعبه مجلّد كبير، بل يحوجنا الأمر الى مجلّدات ضخام.

(أ) منزلة الحسين(ع) عندالله تعالى: عشرات الآيات القرآنية تبجيل وثناء على الحسين(ع) نذكر منها ثلاث نماذج فقط:

آية التطهير: قال الله تعالى: «إنّما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»(٢) أجمع الثقات من المفسّرين والمؤرّخين والمحدثين على أن هذه الآية نزلت في رسول الله(ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين

(١) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٠٤.

(٢) سورة الأحزاب /آية ٣٣. راجع الترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٢٠٩، والطحاوي في «مشكل الأثار» ج ١ ص ٣٣٥، والطبري في تفسيره: ج ٢٢ ص ٦ و٧ وقال: عن أم سلمة: ومسند احمد ج ٦ ص ٣٠٦.

عليهم السلام.

آية المباهلة وآيات الأبرار! اتفقت كلمة المفسّرين والمحدّثين والمؤرّخين على أن هذه الآيات نزلت في الحسين(ع) (١).

(ب) منزلة الحسين(ع) عند جدّه(ص): أمّا شأن الحسين(ع) عند جدّه الحبيب المصطفىٰ (ص) وثناء الحديث النبوي الشريف عليه فهو كثير وكثير جداً، ونحن للتبرك بذكر النبي (ص) وحفيده (ع) نذكر بعضها.

١ـ قال(ص): «من أراد أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر الى الحسين بن علي»(٢).

٢ـ وقال(ص): «اللّهم إني أحبُّه فأحبَّه» (٣).

٣ـ وقال(ص): «حسين مني وأنا من حسين»، «أحبّ الله من أحب حسيناً»، «حسين سبط من الأسباط» (٤).

٤ـ وقال(ص): «هذا إمام، ابن إمام، أخو إمام، أبو أئمة تسعة» (٥).

٥ـ وقال(ص): «فديت من فديته يا بني ابراهيم»(٦).

٦ـ وقال(ص) وهو يطول السجود: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ـ يعني الحسين(ع) ـ ارتحلني فكرهت أن أعجله حتىٰ يقضي حاجته» (٧).

٧ـ وقال(ص): «الحسن والحسين ابناي، من أحبّهما أحبّني، ومن أحبّني

---

(١) البيهقي في سننه ج٢ ص١٥٠، والخطيب البغدادي في تاريخه، ج٩ ص١٢٦، والمحبّ الطبري في «ذخائر العقبى» ص٢٣، وابن الأثير في «أسد الغابة» ج٥ ص٥٢١ و٥٨٩. ومستدرك الصحيحين.

(٢) صحيح الترمذي: ج٢ ص٢٢٠ عن يعلى بن مرة.

(٣) ابن الصباغ المالكي «الفصول المهمة».

(٤) فضائل الخمسة: ج٣ ص٢٦٢ و٢٦٣ عن صحيح الترمذي.

(٥) ابن الجوزي «تذكرة الخواص» ص٢٤٥.

(٦) صحيح الترمذي، و إعلام الورى للطبرسي ـ فضائل السبطين ـ ص٢١٩ والفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي.

(٧) راجع كتاب «يزيد بن معاوية» لأبي جعفر احمد المكّي.

أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنّة، ومن أبغضهما أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار على وجهه» (١).

٨- وقال(ص): «وكيف لا احبّهما وهما ريحانتاي في الدنيا أشمهما»(٢).

٩- وقال(ص): «ونعم الفارسان هما» (٣).

١٠- وقال (ص): «لقد نظرت إلى هذين الصبيّين- يعني الحسن والحسين- وهما يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما...»(٤).

أمّا أمير الوهابيين «يزيدبن معاوية» خبث في النسب وخبث في العقيدة وخبث في الأعمال تفاعلت وتداخلت وامتزج بعضها ببعض فكان التجسيد الخارجي في يزيدبن معاوية.

١- خبث النسب: جدّ كأبي سفيان،من وصفه القرآن بأنه من أئمة الكفر ومبغض الله ورسوله وأهل البيت. أب كمعاوية، من لعنه رسول الله في مواطن عديدة. و عمّ كيزيدبن ابي‌سفيان، من لعنه رسول الله و عمّ آخر كعتبة بن أبي سفيان، لعنه رسول الله. وجدّة كهند، ذات العلم المشهورة بالزنا. وعمّة كحمامة الموعودة في القرآن بنار ذات لهب. هذه السلسلة الخبيثة أنتجت ثمرة اجتمع فيها كل ما في حلقات هذه السلسلة، فكان تلك الثمرة «يزيدبن معاوية» أو «يزيدبن السفاح» (٥).

٢- خبث العقيدة: الكفر الصريح، والاستهزاء بالوحي الإلهي، والتمسخر من أشرف الأنبياء وخير المرسلين محمّد المصطفى(ص)، وتكذيب الله والقرآن والرسول. ذلك منطق يزيدبن معاوية في قولته المشهورة:

---

(١) الطبرسي «إعلام الورى» فضائل السبطين ص ٢١٩ عن سلمان الفارسي.

(٢) ابن الجوزي «تذكرة الخواص» فصل: حبّ رسول الله الحسن والحسين.

(٣) فضائل الخمسة: ج ٣ ص ٢٦٢. (٤) الفصول المهمّة لابن الصباغ.

(٥) تذكرة الخواص ص ٢٠٣: «كتاب المثالب» لأبي المنذر هشام بن محمّدبن السائب الكلبي.

لعبت هاشم بالملك فلا   خبرجاء ولا وحي نزل (١)

٣- خبث الأعمال: سلسلة من الموبقات العظام والآثام الكبيرة والجرائم التي سوّدت تاريخ البشرية، وسجلت الرقم القياسي في مدى تحطيم الاسلام ودفن الإنسانية ونكران المعروف والخير.

هذه هي التي ملأت حياة يزيد من الألف الى الياء، فما أجدر بيزيد أن يلقّب بـ «أمير الوهابيّين»، وإلّا فلمن يكون هذا اللقب، وعلى من ينطبق غيره (إلّا) لمثل من إنحدر(هو) عنهم من السلالة كجده، وأبيه وعمه وجدته وعمته الخسة الخبيثة.

إن فاجعة كربلاء قد دخلت الضمير الاسلامي آنذاك. وانفعل بها المجتمع الإسلامي بصفة عامة انفعالاً عميقاً. ولقد كان هذا كفيلاً بأن يبث في النفس ما يدفعها الى الدفاع عن كرامتها، وأن يبعث في الروح النضالية الهامدة جذوة جديدة. وأن يرسل في الضمير الشّلو هزةً تُحييه...

١- عن ابن عباس «رض» قال: قال رسول الله(ص): «إن جبريل أخبرني أن الله عزّوجل قتل بدم يحيىٰ بن زكريا سبعين ألفاً وهو قاتل بدم ولدك الحسين سبعين ألفاً» (٢).

٢- ويورد ابن جرير في تفسيره عن السدي قال: «لما قتل الحسين بن علي (ع) بكت السماء عليه وبكاؤها حمرتها» (٣).

٣- ويورد الشيخ المفيد رحمه الله في (إرشاده): فما كان من ذلك اليوم الذي خطب فيه عُمربن سعد بقتل الحسين بن علي (ع) بالمدينة سمع أهل المدينة في جوف الليل منادياً ينادي يسمعون صوته ولايرون شخصه:

---

(١) طبقات ابن سعد: ج٥ ص٤٧، وراجع «يزيد بن معاوية» لأبي جعفر أحمد المكي.

(٢) ذخائر العقبىٰ: ص١٥٠.

(٣) تفسير ابن جرير: ج٢٥ ص٧٤٠.

أيها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم من نبي وملائك وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الإنجيل(١).

٤ـ وروى ابن حجر بسنده عن إمام لبني سليمان عن أشياخ له قال: غزونا الروم فنزلوا في كنيسة من كنائسهم فقرأوا في حجر مكتوب:

اترجوا امة قتلت حسنياً شفاعة جده يوم الحساب

فسألناهم: منذكم بنيت هذه الكنيسة؟ قالوا: قبل أن يبعث نبيّكم بثلاثمائة سنة (٢).

٥ـ بل غضب قيصر الروم لهذه الفاجعة فكتب الى يزيد: «قتلتم نبيّاً أو ابن نبيّ»(٣).

٦ـ وروى البلاذري في (أنسابه): «أنه لمّا قتل الحسين(ع) كتب عبدالله بن عمر الى يزيد بن معاوية: أمّا بعد فقد عظمت الرزية وجلّت المصيبة وحدث في الاسلام حدث عظيم ولا يوم كيوم الحسين(٤).

٧ـ ولما قتل الحسين أعلن ابن الزبير الثورة، فوقف يخطب المسلمين، فهاجم يزيد في أخلاقه وسجاياه وإقباله على الملذات والشهوات فقال: «يزيد الخمور، ويزيد الفجور، ويزيد الفهود، ويزيد القرود، ويزيد الكلاب، ويزيد النشوات، ويزيد الفلوات »(٥).

ثم بكى حسيناً واستبكى الناس عليه، ومدحه وأطنب في الثناء عليه، وسبَّ أهل الكوفة ولامهم على تخلّيهم عن الحسين(ع)(٦).

لقد منح الوهابيون معاوية ويزيد رتبة الإجتهاد ولقب أميرالمومنين، في

(١) إرشاد المفيد: ص٢٤٨.
(٢) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٩٩.
(٣) البيهقي «المحاسن والمساوئ» ج١ ص٤٦.
(٤) البلاذري «أنساب الأشراف» ج٤ ص٢٩.
(٥) البلاذري «أنساب الأشراف» ج٤ ص٣٠.
(٦) تاريخ الطبري: ج٤ ص٣٦٤.

نفس الوقت الذي لايخطر في بال معاوية ويزيد طيلة حياتهما أن يثبتا هذه الرتبة لنفسهما، ولكنها منحت لهما بعد موتهما كالأوسمة والرتب التي تعطيها وزارة الدفاع العراقية للضباط المقتولين بعد أن لم يكونوا يحلمون بها على الاطلاق. ثم غلوا فيهما وجعلوا آراءهما حجة على الناس الى يوم القيامة، وجعلوا لهما حقّ التشريع في الدين، وجعلوا لهما سنناً كسنن رسول الله(ص).

وما أنسب ما نحن فيه بقول الشاعر في سمية ـ ام زيادبن أبيه ـ لمّا استلحق معاوية ابنها زياداً بأبي سفيان؛ حيث قال:

عاشت سمية دهراً وهي ماعلمت أن ابنها من قريش في الجماهير(١)

فانظر أخي المسلم إلى أي حدّ وصل النصب بآل سعود والوهابيين أن قدّموا على أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب وذرّيته عليهم السلام شاربي الخمور والمارقين عن الدين وقاتلي النفوس المحرمة. ونسخوا آية التطهير الواردة في القرآن الكريم الناطقة بتنزيههم من الدنس وتطهيرهم من الرجس.

فلاعجب ـ إذاً ـ أن نجد اليهود والنصارى من المستشرقين يمجدون الحكم الأموي، ويزيد خاصة، كأسمى من ولي الحكم في التاريخ الإسلامي!! كما جاء ذلك في دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين.

أجل، إن آل سعود و الوهابيين يسيرون على غير هدى، وقد سلكوا طريقاً مظلماً مملوءاً بالحواجز والعراقيل التي تقف حجر عثرة في سبيل وصولهم الى معرفة الله وأحكامه.

وحريّ بآل سعود والوهابيين المعتصمين بحبل يزيد وآل يزيد أن يحشروا معهم على حدّ تعبير الحديث الشريف! «يحشر المرء مع من أحب» (٢).

---

(١) بحوث مع أهل السنة والسلفية: ص٣٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٢ ص٣٦٦، وفي الكافي ج ٢ ص١٢٧. عن مولانا الباقر(ع) «المرء مع من أحبّ».

الموقف السعودي من القضية الفلسطينية:

لآل سعود في الوقت الحاضر المصلحة العظمى في إنهاء القضية الفلسطينية التي أجادوا في استخدام ورقتها الرابحة والرائجة سنين طوال بعد أن أحكموا تشبثهم بالسلطة وبعد ما أخذ الوعي الفلسطيني شوطاً كبيراً في التحسّس لحجم المؤامرة السعودية التي تحاك باسمه ومن خلفه، رعاية للمصالح الامبريالية وخدمتها.

إن إشعاعات الثورة الإسلامية في ايران اخترقت كافة الحواجز المصطنعة وعمت الآفاق وأخذت في القلوب موقعها فكان الصدى والأثر نهوض المسلمين من سباتهم بعزيمة قوية لتحقيق الأهداف المشروعة ممّا أقلق هؤلاء الطغاة وأرّق مضاجعهم، فسعوا لإخماد هذا اللهيب المقدس، فاجتمعوا في «فاس»(١) كي يبيّنوا السبل والطرق في مواجهة الإندفاع الاسلامي الجديد.

إن النظام السعودي الذي ينافق بالإسلام ماهو إلّا أداة امبريالية تستخدم عند الحاجة في الظرف والمكان المناسبين لأداء الدور المرسوم الذي يوكل إليه.

لقد استبانت الحقيقة المرّة للجماهير المضطهدة وخاصة غير المتعلّمة منها من أن هذا الكيان السعودي الذي خدعها طويلاً وتشدّق بتحقيق مصالحها المشروعة في الاستقلال والسيادة، وكذلك شعاراته الكثيرة في مناهضة الاستعمار والصهيونية. فماجاء في حصيلة قرارات مؤتمر فاس الذي انعقد بمبادرة ومساعي سعودية أثبت أن النظام السعودي وحلفاءه من الأنظمة الرجعية عملاء أجراء مخادعون مخاتلون، انتهازيون مصلحيون، هدفهم الرئيسي والنهائي إنهاء القضية الفلسطينية بقوة المال والسلاح تحت الرعاية الأمبريالية.

---

(١) مؤتمر فاس الذي انعقد في المغرب للفترة من ٦ـ١٠/٩/١٩٨٢ بمبادرة سعودية.

وقد تكلّلت جميع المشاريع والمؤامرات الامبريالية القديمة والجديدة بالنجاح الساحق، فما خابت ولاضاعت سدىً جهود ومساعي هرتزل وابن غوريون وعبدالعزيز آل سعود وبلفور ولينين ودالاس وهمرشولد وجونسون ونيكسون وبريجنيف وروجرز وكيسنجر وغيرهم ممّن يدّعون الرأسمالية أو الإشتراكية، فكلهم قدموا جهوداً ومساعي لإسرائيل. هذا يدفع المال والسلاح وذاك الدعم السياسي والإعلامي، وآخر بتشجيع إسرائيل بالدعم البشري المتواصل عن طريق السماح بالهجرة إليها، كلهم ارادوالإسرائيل البقاء وللعرب المسلمين الذلّة والمهانة، نقول: تكلّلت تلك الجهود بالنجاح الباهر مع المكافأة الجزيلة مناطق نفوذ ومصالح وكلمات نافذة في عمق السياسة الحكومية العربية.

وأمّا بخصوص القيادات الفلسطينية التي شاركت في المؤتمر قد أسقط ورقة التوت التي كانت تتستر بها، وأدى إلى تعريتها أمام الجماهير من أنها أدوات ذيلية ليس لها من الرفض والإختيار وأنها بالمصادقة على تلك القرارات قد أثبتت عملياً فشلها في الاستمرار في حمل البندقية المقاتلة ومواصلة الطريق في التصدي للصهيونية، وكذلك بانّ تخاذلها وعجزها عن مواجهة التحدّيات، وثبت خيانتها لسيل الدماء الكثيرة مع الألم الدفين الذي شاركت الجماهير الفلسطينية المسلمة إرواءه طيلة سنيّ الجهاد المقدّس، وكذلك فشل القيادات غير الاسلامية في إثبات استغلالها السياسي، وأيضاً تنكّرها للآمال والتطلّعات الجماهيرية.

واثبت المؤتمر أيضاً عن حجم الهلع والخوف الشديد الملازم للأدمغة المتحجرة من أصحاب الجلالة والسمو طواغيت الشعوب المغلوبة جراء إفرازات الثورة الإسلامية في ايران، فراحوا يضعون الخطط ويحيكون المؤامرات للقضاء على روح التمرد الإسلامي الساري في أوساط شعوبها والتصدي للجمهورية الإسلامية الفتية في إيران. حيث بدأ هذا المدّ الثوري يشكل خطراً جدياً

لا على الكيان الصهيوني فحسب وإنما على جذوره المتمثلة في الحكومات الرجعية المرتبطة بالإستعمار.

«وقد حاول الإستعمار أن يجعل من قضيةفلسطين قضية عربية ليحجّم الصراع وفق اطر ضيّقة، ويتمّ من ثمّ السيطرة على المنطقة عن طريق عملاء الشرق والغرب من الأنظمةالعربية وفق المعادلة الدولية.

وظنّ الاستعمار وأعوانه وعملاؤه أن المهمة قد نجحت وتمّ كل شيئ ولكنهم نسوا شيئاً مهماً له أثره الفعال في الساحة وله القدرة على قلب كل الموازين والمعادلات الدولية، نسوا مايجب أن لاينسوه أبداً: (الجماهير المؤمنة)»(١).

لقد اقترحت الجمهورية الإسلامية في ايران بمناسبة يوم القدس الثالث جملةً من الأُمور:

١ـ أن يكون يوم القدس في آخر جمعة من رمضان، تعزيزاً للمقدسات، ومناصرة للشعب الفلسطيني.

٢ـ الأمل أن يتكاتف الجميعُ مع جمهورية ايران الإسلامية لنصرة الشعب الفلسطيني بالعمل على:

(أ) تأسيس مركز عام للإنقاذ.

(ب) تنويع أغراض المركز.

(ج) الالتزام بتنفيذ القرارات.

(د) جعل الجهاد الإقتصادي ـ ومنه النفظ ـ واحداً من أهداف المركز.

(هـ) المضي في تهيئة قوات عسكرية مشتركة، أو مايَسدُّ فراغَها.

(و) النضال ضدّ إسرائيل جنباً الى جنب مع النضال ضد أمريكا.

---

(١) طالب الخرسان «حكم الإسلام في القومية» ص٢٢٥.

(ز) توقّع النتيجة المرجوة.

٣ ـ حربُ صدام لنا ليست بالحرب العفوية، وإنما هي لصالح إسرائيل، وإشغالنا عن الوقوف ضدّها (١).

نعم كان الأجدر بالصهاينة الذين يتحكّمون على رقاب شعبنا في العراق أن يوجّهوا صواريخهم «أرض ـ أرض» الى ديمونة وتل أبيب وإلى قواعد الطيران التي حلّقت لتدمير المُفاعِل الذرّي في بغداد.

كان الأجدر أن ترسل مبالغ الدعم والمليارات السعودية الى أبناء فلسطين لتحريرها بدلاً من دعم الصليبيين في العراق.

كان الأجدر أن تتوجه جيوش المرتزقة إلى ثاني الحرمين الشريفين لكنها أُرسلت لحماية إسرائيل ووجودها.

كان الأجدر بنظام آل سعود أن يعقد مؤتمراته لانتشال الشعب الفلسطيني أثناء ذبحه في لبنان بدلاً من أن تعقد للتآمر على الإسلام في ايران.

«إن الفلسطيني العربي المسلم يحرم عليه دخول دول البترول أمّا الإفرنجي إذا كان أُوروبياً فبإمكانه أن يدخل أي بقعة من الأراضي التي تُحكم من العملاء وبدون تأشيرة لكن العربي المسلم محروم من دخول أرضه. إن القوانين الجديدة في دخول دول البترول تشجع استخدام الأُوربيين بدلاً من أبناء لغتهم من العرب، فاذا تقدم إنسان عربي مسلم وإنسان صلبي كافر تعطى الأولوية للكافر!!» (٢).

هؤلاء حكّام آل سعود ـ زنادقة هذه الأمة ـ القضاء عليهم واجب على كل

---

(١) من الخطبة العربية لسماحة الشيخ المجاهد الرفسنجاني إمام جمعة طهران المؤقت في ٢٩ رمضان ١٤٠١هـ ـ ٣١ تموز ١٩٨١م.

(٢) من رسالة الدكتور أمين الشنطي ـ رئيس قسم الأطفال في مستشفى رام الله في فلسطين المحتلة ـ الى الامام القائد، نشرته مجلّة «الفتح الإسلامي» في العدد (٢٤) السنة الثالثة ١٤٠٤هـ.

مسلم، ويعتبر أفضل جهاد وأعلى عبادة في هذا العصر.

لم يجد التاريخ لآل سعود دوراً واحداً مشرّفاً في حلّ القضية إبّان الاحتلال الأنگليزي ولا في حرب ١٩٤٨م ولا في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م ولا في حرب ١٩٦٧م، بل سيذكر التاريخ دورهم المخزي في إجهاض ثورة ١٩٣٦م وتخاذلهم في حرب ١٩٤٨م، وتآمرهم في حرب ١٩٦٧م. حتى أن لهم الدور الرئيسي في قضية كامب ديفيد الخيانية التي كشف السادات عن خيوطها وكيف حصل على موافقة ودعم السعودية قبل زيارته لإسرائيل.

وما مشروع فهد الأمريكي ذي الثمان نقاط إلّا اعترافاً صريحاً بإسرائيل التي اغتصبت منذ سنين طوال أراضي المسلمين وقامت بمجازر جماعية في فلسطين ولبنان وأماكن أخرى، ووصلت إلى أهدافها الشرّيرة.. واحتفاظها بالأماكن التي احتلتها ماقبل حرب ١٩٦٧م فهذا المشروع الذي وضع في أماكن مقفلة دون الإهتمام برأي الشعب الفلسطيني المسلم سيحوّل الفلسطينيين أُسراءً وعبيداً لإسرائيل. لقد أجهضت الثورة الإسلامية المباركة في ايران هذا المشروع «الفهدي- الصهيوني». وحذّرت الجميع منه واعتبرت أن نجاح المشروع يمكّن إسرائيل من اخراج مكة والمدينة من أيدي المسلمين.

فلا شيً جديد يضاف الى موقف آل سعود من القضية الفلسطينية، فالحكم يؤيد التعايش السلمي مع إسرائيل والإعتراف بها كدولة واقعية ذات سيادة، والذي ترجم عملياً في مشاركة السعودية وتأييدها لما يسمى بمشروع «السلام العربي» الذي هو أحد إفرازات مؤتمر قمة العملاء العرب في فاس- المغرب. وإضافةً الى ذلك فنحن ننقل نماذج نبيّن فيها مدى عداونية الحكم السعودي على فلسطين والشعب الفلسطيني، وتنكّره للدماء المسالة طيلة سنين المقاومة من أجل أن تبقى إسرائيل وليست فلسطين.

١- كتب جون فيلبي- صانع العرش السعودي- يقول: «إن خدمات

عبدالعزيز بن سعود لبريطانيا هي التي حملت المستر «ونستون تشرشل» على التفوه بالعبارات التالية عندما اجتمع بابن السعود عام ١٩٤٥م في «أو برج الفيوم» بعد مؤتمر يالطة إذ قال: إنه شرف عظيم وسرور مابعده سرور أن أجتمع الى الرجل الذي برهن حقاً على أنه صديق في الشدة والضيق، وأنه لولاه ما وصل اليهود لأدنى حقوقهم».

وقال فيلبي: «وقد أبدى عبدالعزيز استعداده للمضيّ في خدمة بريطانيا، ومن الجدير بنا أن نقول، إنه في الوقت الذي عانت فيه بريطانيا وأمريكا الكثير من المتاعب لتكييف أوضاع الشرق الأوسط لمجهودهما الحربي الطويل، كانت المملكة السعودية الدولة الوحيدة في العالم العربي التي لم تسبب للحلفاء أي قلق أو ازعاج، وقد مضى على الحكومة البريطانية نحو من عشر سنوات طويلة بين عامي (١٩١٧م- ١٩٢٧م) وهي مدركة عظمة ابن سعود بالنسبة لها وأهمية آل سعود في هذه المنطقة لمصالحها ومصالح اليهود ومصالح الغرب كلّه» (١).

٢- ولم يمتنع ابن سعود حين طلب إليه «برسي كوكس» أن يوقع على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود «إن اعتراف عبدالعزيز جاء قبل إعلان وعد بلفور المشؤوم» بل أجابه قائلاً: «إذا كان لاعترافي هذه الأهمية عندكم فأنا أعترف ألف مرة بإعطاء اليهود وطناً في فلسطين أو غير فلسطين، وهذا حق و واقع!!».

وكتب السلطان بخط يده، يقول: «أنا السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود أقرّ وأعترف ألف مرة للسير برسي كوكس مندوب بريطانيا العظمى لامانع عندي من إعطاء فلسطين للمساكين اليهود أو غيرهم، كما ترى بريطانيا التي لاأخرج عن رأيها حتى تصيح الساعة»(٢)!! وقد وقعها عبدالعزيز بفصّ خاتمه!

---

(١) جون فيلبي «أيّام عربية» ص٢٦٢. (٢) ناصر السعيد «تاريخ آل سعود» ج١ ص٩٥١.

٣ـ كتب عبدالعزيز آل سعود الى زعيم صهيوني يقول: «كما تعلم أشعر دوماً بحقّ اليهود في وطن قومي يستتبون فيه ويعيشون مستقلّين واني لأؤكد لك أن موقفي سيظلّ على ما هو عليه»(١).

٤ـ وكشف عبدالعزيز عن أوراقه للأصدقاء الانكليز: «لكي يعلم القاصي والداني بموقفي فإني أرسيت دعامة إسرائيل... إني اتقدم العالم في الترحيب لشعب يستأهل الحرية والحياة... إننا نعترف باسرائيل ونفخر بأننا كنا أول من مدّلها يدنا وأقنعنا الأمم المتحدة بوجوب اقرار التقسيم... إننا نوافق على إسرائيل التي عيّنتها الأُمم المتحدة في قرارها، ونرى أنه لايجوز تعديل هذه الحدود إلّا بموافقة إسرائيل، إننا نتطلّع الى اليوم الذي تجلس فيه إسرائيل معنا في الأُمم المتحدة. ونأخذ على عاتقنا مساعدتها في النهوض باقتصادها، ونودّ أن نعيد النظر في أمر حظر الأسلحة حين تهيّأ لإسرائيل فرصة الدفاع عن النفس... إنني اعاهد نفسي على شدّ أزر إسرائيل حتى تصبح بلداً كبيرة حرة مستقلة قادرة على كفاية نفسها»(٢).

٥ـ ولما أعلن (استقلال هذه العصابات تحت اسم إسرائيل) كانت السعودية سبّاقة على حيازة رضا هذا المولود الصغير وهي تريد حمايته من عاديات الزمان فلم يتوان «عبدالعزيز» لبضع ساعات بل في خلال دقائق معدودة وفي أثناء إذاعة البيان أعلن اعتراف بلاده بالمخلوق الجديد في بلاد العرب، وسارعت الدول في حيازة أمريكا باعترافها به ككيان مستقل.

فقد كتب روبرت سان جون في كتابه «بن غوريون» يصف هذه الفترة: وبعد انتهاء اجتماع المجلس الوطني المكوّن من ٣٧عضواً الذي دعا إليه إبن

---

(١) جون بتي «الصهيونية لعبتها أمريكا». ترجمة دارالنشر للجامعيين ـ بيروت ـ ص٩١.

(٢) نفس المصدر السابق: ص٩٢.

غوريون في تمام الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة ١٤ مايوسنة ١٩٤٨م والذي وقف فيه إبن غوريون يلقي إعلان البيان المتضمن قيام إسرائيل، اشترك عبدالعزيزبن سعود مع أربعة وزراء من حزب العمال في إرسال برقية الى الدكتور «حاييم وايزمان» في نيويورك يهنّئونه فيها على المجهود الذي بذله والذي أدىٰ الى قيام دولة إسرائيل »(١).

٦ـ كتب الكاتب الفلسطيني «وجيه أبو ذكرىٰ» ضمن مقالة طويلة بعنوان «هكذا ضاعت فلسطين وهكذا تعود» يقول تحت عنوان «ملوك الذهب والصحراء»: يأتي الدور الخطير الثالث من أسباب هزيمتنا عن أرض فلسطين... وهودورعبدالعزيز آل سعود، فلم يكن الشعب العربي يطلب منه رجالاً أو سلاحاً... كل ما كان يرجوه أن يضغط على أصدقائه الأمريكان لكي يضغطوا بدورهم على العصابات الصهيونية، وكانت وسيلة الضغط: ذلك السلاح الرهيب الذي يملكه العرب حتىٰ الآن ولم يحاولوا إشهاره في وجه العدو... سلاح البترول »(٢).

٧ـ وفي الستينات سلّطت الأضواء ـ من إذاعة صوت العرب وإذاعة الثورة اليمانية في صنعاء ـ على يهودية آل سعود.

ولم ينكر ذلك فيصل حينما قال: «إن قرابة آل سعود هي قرابةٌ سامية» !(٣).

وتناقلت عدد من الصحف العربية تصريحات فيصل بقوله: «إننا واليهود أبناء عمّ خلّص ولن نرضىٰ بقذفهم في البحر كما يقول البعض، بل نريد التعايش معهم بسلام»!.. واستدرك يقول: «إننا واليهود ننتمي الى «سام» وتجمعنا السامية كما تعلمون إضافة الى روابط قرابة الوطن، فبلادنا منبع اليهود

---

(١) وولتر ايتان «السنوات العشر» ص١٠و١١.

(٢) مجلّة «آخر ساعة» العدد ١٦٣٧ الصادر في ١٨ مايو ١٩٦٦م.

(٣) من خلال تصريحاته لصحيفة «الواشنطن بوست» في ١٧ سبتمبر ١٩٦٩م.

الأول الذي منه انتشر اليهود إلى كافة أصقاع العالم» (١).

فيم التعجب إنهم سرقوا من العجل النضار فيم التعجب واليهود هُمُ العمومة والجِوار

٨- خلال الحرب الاجرامية التي شنّها الارهابي الصهيوني «بيغن» ضدّ الشعبين اللبناني والفلسطيني، وما أثارته من موجة عالمية عارمة من التنديد والاستنكار وشملت حتى المعارضة الصهيونية داخل «إسرائيل»... طلع علينا «فهد» ليحمّل الفلسطينيين واللبنانيين مسؤولية الحرب قائلاً: «إن ما فعلته إسرائيل في لبنان كان رهيباً لكن الذين اتخذوا القرار بقصف المستوطنات الإسرائيلية بالصواريخ فعلوا كذلك شيئاً رهيباً لأنهم تسبّبوا في كل هذا الدمار لشعبهم».!!

هذه السياسة السعودية في بلادنا، حيث سهّلت للغرباء اقتطاع أعزّ جزء من العالم الإسلامي (فلسطين) بانيةً لهم كياناً على جماجم الشهداء ودماء الأبرياء.

ولكن الذئاب قد تفترس الشاة في ظلمة الليل وأما آثار دمائها تبقى على الرمال حتى مجيء الفجر وتطلع الشمس وعندها سيشق الفلسطيني المسلم بسكّينه قلب عدوه بدل أن يشقّ بمحراثه أرضه ليستنبت الزرع لأنه اكتشف ناب الذئب تحت جلد الحمل.

وأما أولئك الذين جاءوا يحملون لحاهم الكثة وثيابهم الرثة وآمالهم الغثة ليدفنوها جميعاً في أرض الميعاد فلم يجدوا من وليّ ولانصير. وعندها فان الشيوخ التنابلة القذرين الذين يمضون السنين في قراءة الأسفار وكتابة الحجب الهائمين في أخيلة التوراة والذين سعدوا- الآن- بأرض إسرائيل قرب الهيكل المفقود لن يجدوا بدّاً من حمل أسفارهم والعودة ثانية من حيث أتوا إلى أرض (المنفى) فلا يطمعوا في أرضنا قطعياً ولن يكون لهم فيها أبدية الاستقرار.

---

(١) ناصر السعيد «تاريخ آل سعود» ج١ ص٤٥٤. نقلاً عن صحيفة «الحياة البيرونية».

الفصل الثالث

طبيعة النظام من حيث الحكم

الذي يجب أن لايغفل عنه الباحث أن طريقة الحكم الإسلامي غير طريقة الملوكية التي تجعل مال الله فيئاً لصاحب العرش، وعبادالله أرقّاء له، يفعل بهم مايشاء، ويحكم فيهم مايريد، وليست هي من قبل الطرق الإجتماعية ونظم الحكم المتعارفة التي وضعت واقيمت على أساس التمتع المادي كالديمقراطية وغيرها. فان بينها وبين الإسلام فروقاً بيّنة مانعة من التشابه والتماثل.

ومن أعظم هذه الفروق أن نظام الحكم السائد في الحجاز لما بني على أساس التمتع المادي فقد نفخ فيه روح الاستغلال والاستكبار الذي يجعل كل شيء تحت إرادة «آل سعود» وخاضعاً لمصلحتهم حتى ينتهي إلى استغلالهم للإنسان، ويبيح لهم في طريق الوصول الى مآربهم والتسلط على ما يهوونه ويأملونه منه لأنفسهم فعل كل شيء. وهذا بعينه الاستبداد الملوكي في الأعصار البالغة وعلى ماهو في ذاكرتنا من أعمالهم المضبوطة في التواريخ. و أما الإسلام فطريقته في الحكم والولاية بريئة من هذه الأهواء، ودليله السيرة النبوية في فتوحاته وعهوده.

وما دامت الشورى صفة لازمة للمسلم فهي اذاً فريضة إسلامية واجبة على الحاكمين والمحكومين، ولقد أوجب الله على رسوله الكريم(ص)- وهو الذي ينزل عليه الوحي بالتشريع والتوجيه وحلّ المشكلات- أن يستشير المسلمين.

فقال جل شأنه: «وشاورهم في الأمر»(١). فأمره أمرا جازماً بأن يستشيرهم، وما أمرالله نبيه(ص) بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشورة من الفضل، وأن يحملهم على الإقتداء بالرسول(ص) وأن يرفع من أقدارهم بإشراكهم في الحكم وتعويدهم على مراقبة الحكام، وأن يحول بين الحكام والاستئثار بالحكم والتعالي على الناس.

وروي عن الرسول(ص) أنه لما نزلت «وشاورهم في الأمر»قال: «أما إن الله ورسوله لغنيّان عنها- أي عن المشورة- ولكن جعلها الله رحمة لأُمتي، فمن استشار منهم لم يعدم رشداً، ومن تركها لم يعدم غيّاً»(٢).

يقول تعالى في سورة الشورىٰ: «والذين استجابوا لربّهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورىٰ بينهم وممّا رزقناهم ينفقون»(٣).

ومن هذه الآيات نلاحظ الآتي.

١- أن الإسلام هوالدين السماوي الوحيد الذي جاء الامر بالشورىٰ كواحد من تعاليمه ومبدأ من مبادئه.

٢- أن الشورىٰ في الإسلام جاءت مرتبطة بالعبادة وقرنت بالصلاة فقيل «وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم».

٣- أن تخصيص سورة في القرآن تسمىٰ سورة الشورىٰ هو نوع من التأكيد المقصود من الله تعالى لإظهار أهمية هذا المبدأ و خطره في حياة وكيان الأُمة الإسلامية.

فالشورىٰ تعني حقّ الشعب في انتخاب حكّامه، وحقّ محاسبتهم بالأجهزة النيابية والإعلامية، وحق عزلهم حسب قواعد الدستور.

---

(١) سورة آل عمران/آية ١٥٩.

(٢) راجع «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: ج ٤ ص ٢٤٩، وتفسير الطبري: ج٧ ص٢٤٦، وتفسير ابن كثير: ج ١ ص ٤٢٠ في تفسير أحكام الشورىٰ.

(٣) سورة الشورىٰ/ آية ٣٧.

والشورىٰ تعني جماعية القيادة، وعدم استئثار فرد واحد اوفئة معينة أو طبقة بالحكم.

والشورىٰ تعني التزام الحكم برأي الأغلبية.

والشورىٰ تعني حرية الرأي السياسي، وحرية الصحافة وكل وسائل الاعلام وانعدام الرقابة.

والشورىٰ تعني حرية تشكيل الجماعات التي هدفها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو ركن من الشورىٰ.

والشورىٰ تعني حرية المعارضة واحترام الحاكم لها.

وقد طبّق الرسول (ص) مبدأ الالتزام بالمشورة في أكثر من مناسبة.

ومن المشورات التي نفّذها الرسول الأعظم(ص) برغم مخالفتها لرأيه ما حدث في أحد، فقد كان الرسول (ص) يرىٰ أن يتحصّن في المدينة ويقاتل الكفار فيها، ولكنّ رأي الأغلبية من الشباب كان الخروج لملاقاتهم خارجها.

قال لهم محمد(ص): «إني أخاف عليكم الهزيمة» فأبوا مع ذلك إلّا الخروج، فلم يكن له إلّا أن نزل على رأيهم، وكانت الشورىٰ أساس نظامه لهذه الحياة فلم يكن ينفرد بأمر إلّا ما أُوحي به إليه من عندالله(١).

لقد عمل رسول الله(ص) برأي الجماعة والتزم بنتيجة الشورىٰ، وكان رأي الجماعة خاطئاً وكان رأيه(ص) هوالصواب، وقد أدىٰ رأي الجماعة الى الهزيمة في معركة أُحد. ولكن هل هذه النتيجة تغيّر من نظرة الإسلام لمبدأ الشورىٰ؟ وهل قال له الله سبحانه لا تطعهم بعد اليوم؟

كلاّ، فالقرآن لم ينزل من أجل محمّد(ص) وحده ولا لأيام محمّد(ص) وحدها بل نزل لآلاف الأجيال والقرون من بعده، ولذلك نراه بعد معركة أُحد

(١) د. محمّد حسنين هيكل «حياة محمّد» ص ٢٩٢.

يعيد التأكيد على مبدأ الشورى، ويطلب من الرسول(ص) العفو عن أصحابه وحسن معاملتهم. ثم أيضاً لايتخلّى عن مشاورتهم فيقول الله تعالى: «فبما رحمة من الله لِنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر».

وهكذا صدق الشيخ محمّد عبده في تعليقه على من يقولون: إن الشورى غير ملزمة بقوله: «فما معنى الشورى؟ ولماذا أمرنا الله بها إذا كان الحاكم لايتبعها أو يلتزم بها؟»(١).

إننا نرى في القرن العشرين الكثير من الحكام المستبدين الذين يعلنون الحرب باسم شعوبهم والشعوب لا تعلم من الأمر شيئاً، ويجرّونها إلى مغامراتهم العسكرية كما تجرّ النعاج إلى المذبحة وهم لايملكون من الأمر شيئاً، ومن يعارض يقصونه من الحكم أو يرمونه في السجون، فأين هذا من نظام الحكم في الاسلام؟!

وبعد ذلك تعالوا نسأل: هل الاسلام يقرّ النظام الملكي الوراثي في الحكم؟ إن نظام الحكم السعودي- كما هو معروف- ملكي وراثي، فأُسرة آل سعود تتوارث الحكم الولد بعد الأب، والأخ بعد أخيه، فهل هذا من الاسلام؟!

فالاستبداد بالحكم وظلم الرعية معصية، والتغاضي عن الفساد والرشوة ومشاكل الروتين معصية، وإهمال مرافق الدولة وعدم تزويد الرعية بالخدمات معصية، وحرمان الأكفاء من أبناء الأُمة من فرص العمل والمشاركة في الحكم محاباةً للأقارب والمحاسيب معصية.

وقد كانت التهمة التي وجهها أبناء الصحابة الى الخليفة عثمان هي تعيينه

(١) د. أحمد شوقي الفنجري «الحرية السياسية في الإسلام» ص٢١٣.

لأقاربه في المناصب وعدم محاسبته لولاته على الأقاليم... فسحبوا البيعة منه وطلبوا منه أن يتنحى، وظلّوا يحاصرون بيته ثلاثة أيام حتى يتنازل عن الخلافة لأن عمله ذلك عصياناً لكتاب الله..(١).

نخرج من هذا بحقيقة هامّة.. وهي أن الإسلام يعتبر الحاكم إذا أفسد أو انحرف أو ظلم معزولاً.

والسؤال الآن: ما هو حكم الشرع في الحاكم المسلم الذي تجمع اكثرية الشعب على سحب الثقة منه ثم لايقبل أن يتنحّى ويستبدّ بالحكم ويلقي بالمعارضة في السجون.

ويجيب رسول الله(ص) على ذلك بقوله: «ألا إنّ رحى الإسلام دائرة فدوروا مع الإسلام حيث دار... ألا إن القرآن والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب... ألا إنّه سيكون عليكم أُمراء مضلّون يقضون لأنفسهم مالا يقضونه لكم، إن أطعتموهم أضلّوكم وإن عصيتموهم قتلوكم قالوا: وما نصنع يا رسول الله؟ قال: كما صنع أصحاب عيسى، نشروا على المناشير وحملوا على الخشب، والذي نفسي بيده لموت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله»(٢)

وهكذا يقرّ الشرع معارضة الحاكم الفاسد حتى الموت.. «ومن مات دون مظلمة فهو شهيد» «ومن مات دون كلمة الحق فهو شهيد».

واذا كان الإسلام يرفض شرعية هذا النظام، فكيف نقبله نحن المسلمين وصياً وحامياً لمصالح الإسلام والمسلمين؟

واذا كان الله تعالى يأمر نبيه(ص) بمشاورة أصحابه، واذا كان(ص) يصرّ على أخذ رأي صحابته واستشارتهم.. ووقف يقول: «أيها الناس أشيروا عليَّ

---

(١) ابن عبدربّه «العقد الفريد» ج ٢ ص ١٨٨ والسيرة الحلبية: ج ٢ ص ٨٥.

(٢) الحرية السياسية في الإسلام: ص ٢٢٤.

فقد أمرني ربّي بالمشورة». وإذا كان أبوبكر يصرّ على جميع المسلمين في المسجد ويعرض عليهم فرض راتب لنفسه قائلا: «أيها الناس إن علياً قد ارتضى لي رزقاً من بيت المال ثلاثة دراهم في اليوم أفرضيتم بهذا» قالوا: «اللّهم نعم.. نعم قد رضينا» (١).

ووقف عمر يعلن رأيه في تحديد مهور النساء. فتصور من الذي عارض الخليفة وأعلن أنه بذلك يتعدى على سيادة القانون (وهوالقرآن) لقد تصدت له امرأة في المسجد وقالت له: ليس لك ذلك ياعمر... فإن الله سبحانه وتعالى يقول: «وآتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً»(٢). وهنا يعلن الحاكم على الملأ خطأه ويسحب مشروعه من المجلس ويقول: «أصابت امرأة وأخطأ عمر»(٣).

وإذا كان أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب(ع) يرفض أن يجبر أحداً على مبايعته، فهل يرضى الاسلام بالديكتاتورية والارهاب والكبت الذي يفرضه آل سعود على الشعب المسلم في شبه الجزيرة العربية؟!

إن الاسلام يرفض التمثيل والتوكيل على المسلمين انطلاقاً من مفهوم الحرية والمسؤولية في الإسلام ومن عدم وجود اكليروس فيه، ومن ثم لا يعترف بأي تمثيل، وهذا ثابت ومؤكد في مخاطبة الله تعالى لرسوله الكريم(ص): «وما أنت عليهم بوكيل»(٤) «ولست عليهم بمصيطر»(٥). فكيف إذا كان أدعياء التوكيل والتمثيل ممّن يستهدفون تزوير إرادة المسلمين والنيل من جوهر إنسانيتهم المتمثل في الحرية والكرامة والحق- الحق لاسيا في المواطنية الواحدة المتساوية- وهدر هذا الجوهر على مذبح مصالحهم الخاصة وانتهازيتهم كثمن لقبولهم في

---

(١) الحرية السياسية في الإسلام: ص٢٠٦. (٢) سورة النساء /آية ٢٠.
(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٦١. (٤) سورة الشورى /آية٦. (٥) سورة الغاشية/ آية ٢٢.

السلطة والحكم ليحققوا أهداف الأيدولوجيا.

ويترتب على هذا الواقع الدستوري والوهابي الطائفي نتيجتان:

الأولى: إن الطائفة السعودية الوهابية تشعر شعوراً عميقاً وصادقاً بأن الحكم حكمها والشرعية شرعيتها وان أيدولوجيته ايدولوجيتها وان الدولة ومؤسساتها دولتها ومؤسساتها فهي بذلك منسجمة مع الحكم وأيدولوجيته ونفسها.

الثانية: إن المسلمين في الجزيرة العربية يشعرون شعوراً عميقاً وصادقاً أن الحكم ليس حكمهم ولا الشرعية شرعيتهم ولا ايدولوجيته ايدولوجيتهم وان الدولة ومؤسساتها ليست دولتهم ولا مؤسّساتهم.

فالجزيري المسلم يشعر بغربته عن الحكم وايدولوجيته والدولة ومؤسّساتها، بل أكثر من ذلك يشعر بالعداء له ولها. فهو بذلك منسجم مع ايدولوجيته ونفسه ومتنافر ومتناقض مع الحكم. فهو مفروض عليه المعارضة والعداء للحكم بصورة دائمة ومستمرة، لأنه غير مسموح له أن يمارس السلطة والحكم كالوهابي والسعودي، وهذا حرمان من حقّ طبيعي. وهذا الشعور المؤلم بالغربة والاغتراب ينعكس سوءً على شعوره بأنه مواطن من درجة أدنى ويحمله جبراً وبصورة لاشعورية على التطلّع الى الخارج الاسلامي بحثاً عن ايدولوجيته وقيادته ودولته ومؤسّساتها، بقدر مايحمله على التعاطف مع كل حركة داخلية يتوسّم فيها التناقض والرفض للحكم وأيدولوجيّته وتستهدف من تحركها والتغيير في الواقع والإنسان أملاً منه في الوصول الى دولته ومؤسّساتها.

وهذا مايفسر نفوره من كل من يتعاطف مع الحكم وايدولوجيته ورموزها، لشعوره العفوي بأن مثل هذا التعاطف يزيده ضعفاً وبُعداً عن تحقيق أمله في الخروج من هذا الخيار المؤلم، الصعب الممزق. خيار بين أن يبقى عمره معارضاً وهذا ينعكس خطراً وسوءً على مصالحه في بلد متخلّف طائفي ويفرّ به عن الحكم ومؤسّساته أو أن يوالي الحكم حفاظاً على مصالحه، وهذا يكلّفه التخلّي

عن ايدولوجيته وشخصيته وجوهره الإنساني ويغرّبه عن ذاته.

وهكذا، يكون المسلمون مخيّرين في ظلّ الصيغة الوهابية الطائفية بين أن يكونوا تابعين للقيادات السعودية وجزءً من ايدولوجيتها، وهذا أمر مرفوض من المسلمين لامن السياسيين. أو أن يكونوا أداة تفجير وتغيير، وهذا أمر واقع. فهذا الواقع النفسي للفرد المسلم بحاجة الى علاج وعلاجه يبدأ بإزالة الأسباب المولدة له، أي بتغيير الواقع «الحكم السعودي الطائفي» المؤدّي الى هذا الواقع النفسي.

يا علماء الاسلام لماذا لا تبيّنون للناس حكم الاسلام في الحكّام الذين يلزمون المسلمين مايخالف الاسلام؟ وهل يوجب الاسلام طاعتهم واتّباع أهوائهم؟ أم يوجب عصيانهم والخروج عليهم؟

لماذا لا تبيّنون للناس حكم الاسلام فيمن يحارب دعاة الاسلام ويعين على حرب العاملين للاسلام؟

إن العلماء هم ورثة الأنبياء، ومايليق بالعلماء أن يقفوا هذا الموقف من ميراث الأنبياء، ولقد فرض الإسلام على العلماء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فمن يقوم بهذا الواجب إذا أهمله السادة العلماء؟

آل سعود وتقليد الحضارة الغربية:

إن حكام آل سعود يحاولون تقليد الدول الغربية المتحضّرة الغنية ولايدّخرون في ذلك وسعاً، ويعتبرون إنشاء القنصليات والسفارات في جميع البلاد فريضة لازمة، وتتخذ هذه السفارات كل الأساليب التي تتخذها السفارات الغربية التي لا دين لها ولا حشمة، ولا حدود خلقية.

إن هذه السفارات التي تدعي الإسلام والعروبة تقيم مآدب فاخرة وحفلات الكوكتيل، وتصبّ فيها أموال الفقراء والطبقة الوسطى كالماء الجاري، وتقدم الخمر في عامة الأحوال، ولحم الخنزير أيضاً في بعض

الأحيان وبعض المناسبات.

إن هذه السفارات لا تتحمس مطلقاً لدعوة الإسلام، والتمسك بمبادئه الخلقية التي تدعي الانتماء اليها، ولا تكون لها صلة بالمسلمين في تلك البلاد وعناية بتوجيههم وتشجيعهم والاطّلاع على أحوالهم وأوضاعهم، ولا تفيدهم ثقافياً وأدبياً.

فآل سعود في بلاء وشقاء من الشعب الجزيري المسلم الذي لا يسهل عليه التخلي عن المبادئ الدينية، ومن ثروته الإيمانية ومن تراثه الغني، والانقطاع عن منابع الحياة والقوة التي تكمن في مصادره الدينية وأدبه الاسلامي وتاريخ الاصلاح والتجديد، فهم في عملية هدم واسعة الأكناف طويلة المدى، محاربة من جهات كثيرة، والشعب الجزيري المسلم الذي وقع تحت حكمهم وقيادتهم في بلاء وشقاء من هؤلاء القادة، فهم يحاربون طبيعته ويقودونه بهتافات وشعارات «وهابية» لا يستسيغها هذا الشعب المسلم ولا ينشط لها، لا تستطيع أن تحبب إليه الموت والفداء، ويهون عليه بذل النفوس والأموال والهجرة من الوطن، وتتغلب على الشهوات الأنانية الفردية، وقد عرف حكّام آل سعود ضعف هذه الهتافات والشعارات في إثارة الحمية، وإشعال الحماسة في نفوس الجماهير، فهم يلجأون دائماً أيام الجد والمعارك الدموية الحاسمة إلى الهتافات الدينية والشعارات القديمة من الجهاد في سبيل الاسلام والشهادة في سبيل الله، حتى إذا وضعت الحرب أوزارها عادوا الى هتافاتهم وشعاراتهم الجاهلية والزمنية. ويفترضون أنهم يحكمون شعباً ليس له ديانة يحبها ويقدسها ويستميت في سبيلها، وليست له عاطفة دينية تحتاج الى التربية والاستثمار.

وهكذا تضيع طاقات الشعب الجزيري المسلم ومواهبه، وإمكانياته التي لو استثمرت وقدّرت حقّ التقدير، وكان آل سعود واقعين أكثر منهم

خياليين لفعل الأعاجيب، وكأنّ قوة يحسب لها الحساب الأكبر، ولا سبب في ذلك إلّا ضيق تفكير آل سعود، وتقليد الحضارة الغربية، والتصميم على تطبيقها في البلد المسلم بحذافيرها، وهذا بتأثير ثقافتهم الأجنبية التي تلقوها في الخارج، وخضعوا لها وهضموها في بلاذهم.

إن اتباع أساليب الحضارة الغربية في الحياة الإجتماعية والإيمان بمبادئ حياتها ومنهج اجتماعها يحمل نتائج بعيدة المدىٰ.

إن آل سعود اليوم مصابون بالجذام الخلقي، ولا يزال جسمهم يتقطّع ويتعفّن حتى أصبح الجوّ كلّه موبوءاً،وسبب هذا الجذام هو الاباحة الجنسية والخلقية التي تسود أُسرة آل سعود اليوم، وتتخطىٰ حدود الحيوانية والبهيمية(١)، والسبب الحقيقي لهذه البهيمية والحيوانية هوالزنا الذي لا حدّله ولانهاية، وإدمان الخمر والمخدرات الذي أُصيب به حكام آل سعود، إننا نرىٰ معالم هذا الجذام الخلقي واضحة في مملكة «خائن الحرمين» التي تحمست في تقليد الحضارة الاوروبية. وظلّت الصحافة والسينما والتلفزيون والعلوم والآداب وحياة الطبقة الحاكمة تشجعها، بل تقودها وتوجهها. سنّة الله في الأرض «ولن تجد لسنّة الله تبديلاً»(٢).

ومن الأساليب السخيفة المغضبة لله مايقوم به آل سعود وما يسمّونه بالحفلات الخيرية ـ حيث يعلن أن داعراً أو داعرة سيقيم حفلة «خيرية» يرصد ريعها لمشروع خيري أو وطني، فتعرض الأجساد وتنتهك الحرمات بثمن معلوم يباع بتذاكر خاصة. ويظل الناس يعبثون ويفجرون والشياطين عليهم صاعدون نازلون حتى الصباح، ثم يجمع هذا الثمن لذلك المشروع: كالتي تصدقت من

(١) وقد رأينا بعض ملامحها في «فضيحة فهد» المشهورة في لندن التي رفع الستار عنها لأسباب سياسية. نشرتها صحيفة (هيرالدتريبيون) بتاريخ ٨ مايس ١٩٦٨م بقلم: اليستر سباركس.

(٢) سورة الأحزاب/آية ٦٢، سورة الفتح/آية ٢٣.

فرجها ياليتهالـم تزْن ولم تتصدق.

إن نعمة الله لايتوصل إليها بمعصيته، ونصره لايستجلب بإغضابه. وإن الحاكم الذي لاتحركه أنّات المتألّمين وأخطار الأعداء المتألّبين ليجود بأموال الشعب المسكين إلّا إذا يسّرت له المتع الدنسة في مستنقعات الرذيلة لهو حاكم قد أنتهى أمد وجوده في تقدير الله، وهو حاكم تعدّ له الملائكة في النار أخاديد العذاب.

وإلّا فما هذا السخف وانعدام التفكير؟ فلوكان «خائن الحرمين» يعقل أمره لقلّل نسبة استعماله لوسائل الحضارة لدرجة العشر. فهل نحن بحاجة الى هذا السيل المنهمر من الطائرات والسيارات الخصوصية والتلفزيونات والأثاث الفاخر والعمارات الشاهقة واللباس المكدس والكلاب والحمير والخيول النحاسية والحجرية وأدوات الزينة والملاهي والمراقص والحفلات التي تجري في المواسم المختلفة؟

لوكانت أُسرة آل سعود التي تدّعي الإسلام وزعامة المسلمين تعقل أمرها لوفّرت كل هذا وصنعت السلاح لتدفع عن الإسلام من يريدون استئصاله من الحياة، ويصرّون أن لهم أذناباً في الأدبار، ولكن كيف تعقل والنفوس مستعبدة للشهوات ذليلة للملذّات؟

وصدق الله العلي العظيم: «إنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» (١). «إن الله لايغير مابقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم»(٢) «نسوا الله فأنساهم أنفسهم»(٣) «واذا أردنا أن نُهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً»(٤).

لقد أصبح العالم الإسلامي مرمى الغزو الوهابي- الصهيوني ومحط تركيز

---

(١) سورة الحج/آية ٤٦. (٢) سورة الرعد/آية ١١. (٣) سورة الحشر/آية ١٩. (٤) سورة الإسراء/ آية ١٦.

مؤامراته فيمكن أن نتدبر عرضاً سريعاً للأوضاع فيه ليكشف لنا كيف أن الأساليب الصهيونية نجحت نجاحاً باهراً في تكييفه لصالحها.

في مجال الصحافة هناك صحف سعودية تتاجر بعواطف المراهقين والمراهقات وتنشط لنشر الأدب الجنسي والصور الخليعة، والأمثلة في هذا المجال لانحتاجها لأن الكل يلمس ذلك ممّا تنوء به البوارج البحرية. وهي حاذقة في التحايل لعرض هذه المفاسد.

فهذه مجلّة «الحوادث» السعودية تنشر صورة غانية ترتدي لباس المايوه وتجلس باسطةً إحدى رجليها وترفع الأُخرىٰ تدلك فوق الساق والفخذ بشكل مثير وتحتها عبارة تدليك الساق وربلة الرجل بالكحول والكافور.

ومجلّة سعودية أُخرىٰ تقدم تحقيقاً طويلاً عن ـ الاستفتاء حول الفستان الجديد ـ مصحوباً بصور بأوضاع مختلفة تعرض زيّاً لفستان يرتفع عن الركبة خمس عشرة سنتمتراً. كالاسبوع العربي اللبنانية المدعومة من النظام السعودي.

وأُخرىٰ تعرض تحقيقاً عن البحر والصيف وتقدم أنماطاً من العراة والعاريات كأنهم قطعان كلاب تتطارد في موسم اللقاح. وعلى رأس هذه الصحافة المصوّرة مجلاّت المصوّر المصرية، وآخر ساعة، والشبكة، ومجلاّت الفن المدعومة من النظام السعودي الى غير ذلك.

وكما أن البغي لامعنىٰ للعواطف الشريفة في كيانها، فهناك صحافة لامعنىٰ للرسالة الشريفة في اعتبارها فتبيع نفسها لكل من يدفع الثمن، وهي من الوقاحة بحيث لاتخجل من ذلك، عريضة الدعاوي، طويلة اللسان، تشتم من كانت تسبّح بحمده، وتسبح لمن كانت تكيل أطنان الشتائم والعيوب كأنها لسانه الخاص يتحدث عن نفسه. وهذا واضح كل الوضوح في ترويجها الواسع لافتراءات العمالة الوهابية والصهيونية التي تكيد للحركة الإسلامية، فتلصق بها تهم الارهاب والاجرام بعد أن كانت تلصق بها التطرف والفداء، وهي

نفس الخطّة المقترحة لدى اليهود لمحاربة الهيئات الدينية.

جاء في البروتوكول السابع عشر: ستفضح صحافتنا الحكومات والهيئات الدينية وغيرها بشتىٰ أنواع المقالات الكاذبة التي حررت بقصد الحطّ من قدرها الى مدى بعيد»(١).

وهناك نوع ثالث من الصحف السعودية تختصّ بإفساد الفكر وهي تتنوع في هذا المجال. ومن أساليب هذه المجلاّت أنها تخصّص باباً من أبوابها بعنوان- أنت تسأل ونحن نجيب- للإجابة على مشكلة إمرأة تحبّ أخ زوجها، وأُخرىٰ تخونه، وفتاة تحبّ من يخالف دينها، والأجوبة كلها تنصبّ على الغرض الذي تسير من أجله المجلّة السعودية وتعمل.

ومثله باب «الأُسرة». على أن مفاسد هذه الصحف ودور النشر لا تعادل شيئاً لمفاسد الاذاعة السعودية التي تقوم بكثير من جوانب الأساليب الصهيونية، فهي أولاً صنعت للناس مواخير في الهواء لم تترك مكاناً في المدينة أو القرية أو البادية إلّا غزته وأوصلت إليه أصوات المنحلّين، وجعلت من طابور أولئك المنحلّين قدوة للشباب والشابات في التهتك والميوعة والانحلال. فهي منبر يتبارىٰ عليه- الثرثارون الوقحون- كما تُسَمّيهم البروتوكولات، لتهديم أركان هذه الأُمة.

وهي أداة للتبشير بالآراء الصهيونية في السياسة والاجتماع والاقتصاد والفكر.

فكثيراً ما نرىٰ الغالب يزيح ابرة المذياع عن القرآن والأخبار ليبحث عن أكثر الاغنيات فساداً وسفاهةً، أو أكثر التمثيليات ميوعةً وتفاهة. ولعلّ إذاعة «الرياض» وحتىٰ «نداء الاسلام من مكة المكرمة» تسارع لتقديم هذه

(١) بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمّد خليفة التونسي الطبعة الثانية دار الكتاب العربي بمصر ١٩٦١م.

السموم، ومن يتتبعها يجدها أكثر الا ذاعات تخصصاً بأغاني كبار المنحلّين.

أما عن التلفزيون السعودي فيكفي أن نرىٰ هذه الجيوش الجرّارة من الشباب والشابّات لايكادون يرون تقليعة أو زيّاً، أو خلاعةً وخنوثةً في الليل إلّا ويتلبّسونها في النهار، وإذا علمنا أن أكثر الأفلام الأجنبية والممثلين فيها هي ملك اليهود، وعلمنا أن أكثر مايدخل بلاد الحجاز من هذه الأفلام تبيّن مقدار الخطر التي تسببه في حياتنا، والصهيونية تصفّق لهذا وترقص طرباً.

جاء زبانية الصهيونية من أمثال آل سعود ليتوسّعوا في فتح معاهد الذكور والاناث في العالم الإسلامي، وليصيغوا لها برامج دراسية. كان الجهل منها أفضل، فمن عيوب هذه المناهج أنها مبتورة الصلة بالله ولا تدري موضع الله سبحانه فيها، وليس لها فاعلية في تسيير الأحداث في تيّار الحياة وتنظيم علائق الموجودات، وهذا لاشكّ قد ترك أكبر الأثر في عقول الدارسين، حيث تصوّروا وهماً معيناً تمثل في سلوكهم العملي، ولاشكّ أن هذا خبث سعودي يهودي أثّر في العالم الإسلامي كله.

ومن عيوب هذه المناهج «أُمّية التكفير» لا أُمّية القراءة والكتابة، حيث قصد بها أن تخلق من الدارس إنساناً «مجتراً» كل جيل يجتر لما بعده دون تمحيص أوزيادة، وكان لهذا أبعد الأخطار، فقد قتلت روح البحث في نفوس الدارسين، وظلّوا عالة على أفكار الوهابيين التي طبخت بشكل يخدم الأهداف الصهيونية ثم قدمت للدارسين المسلمين على موائد الدرس ومعاهد التعليم.

وبالاضافة لهذا كله فالهدف منها تغريب الأجيال المسلمة بطريقة محكمة تنفر الناشئة من الاسلام وتخجل من الإنتساب إليه.

فالوهابي لايبالي أن يرىٰ ابنته كاسية عارية، تصاحب الرجال أو تلاعبهم في البرّ والبحر بحجة الرياضة، أو تسافر وراء البحر بحجة العمل، بل صار ـ كالغجري ـ لايسألها أين كنت؟ بل ماذا أحضرت؟ وانه ليصطحب نساءه الى

السينما ليشاهدن أنماط الفجور وأضراب الزنا تعرض عليهن خطوة خطوة، وهو يتكدّس بجانبهن كومة من اللحم البارد لا يحركه شعور ولا تهزّه رجولة.

والحقيقة التي لاشكّ فيها أن «الأميرة» السعودية أصبحت رسول فساد أينما ذهبت- إلّا من رحم الله- فهي في البيت مفسدة للنشء، مثبّطة للزوج عن الأعمال الجليلة، لايرضيها إلّا أن يتحول جابياً يجبي لها المال بأي طريق حلالاً كان أم حراماً لتنفقه في اللهو والزينة، ولا تفهم رباطها فيه إلّا كما تفهم البقرة رباطها بفحل البقر.

وهي في المجتمع عامل إغراء وفتنة تنشر الفساد في كل ناحية بعريّها وميوعتها. وهي في هذا المجال تجري بسرعة البرق، حتى أن الكاتب مهما حرص على دقة الوصف يصبح وصفه عتيقاً لايصوّر الحالة التي وصلت إليه أميرة آل سعود بعد مرور شهور على كتابته، وينعكس هذا الحال على نفوس الشباب الذي تحوّل الى مجرد عجول آدميه تنتشر على مفارق الطرق وتأكل بعيونها الزائفة الغاديات والرائحات من الأميرات الكاسيات العاريات، فنسي بذلك واجباته، ونسي مستقبله ومصيره.

ولست متجنّياً في هذا التقرير، فعائلة آل سعود تزخر بالشواهد على ذلك. ولن ينجيهن كذلك من المصير المؤلم الذي حدّده رسول الله(ص) عندما قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما، رجال يغدون الى المساجد على مايشبه المياثر، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، على رؤوسهنّ كأسنمة البخت، إذا رأيتوهنّ فالعنوهنّ، لايدخلن الجنّة ولا يشممن رائحتها، وأن رائحتها على بعد أربعين عاماً»(١).

---

(١) حامد علي «المرأة في المجتمع القرآني» ص ٤٢ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م بيروت.

البذخ والترف السعودي:

إن مايصرفه فهد وآل فهد وذويهم ومايملكونه من المليارات في أمريكا وفرنسا وسويسرا لا تتسع المجلّدات لإحصائها. بينما الفقر المدقع والحرمان الكبير في أبسط ضروريات الحياة العادية هو السائد في شعب الجزيرة العربية، في المنطقة الشرقية والإحساء، في نجد وتبوك .

وفي كل بقعة كانت يواصل أزلام وأقطاب النظام السعودي القذر التمادي في غيّهم الطائش في نهب أموال المسلمين وصرفها في موارد الفسق والرذيلة، ومواطن اللهو والمجون، استجابة لرغبات النفس الدنيئة ونداءات الاستكبار العالمي.

فقد أزاحت الستار أخيراً جريدة «الصاندي- تلغراف» اللندنية من أن بيت رأس النفاق والعمالة «فهد» في لندن قد كلّف بناؤه (٤٠) مليون ريالاً سعودياً، والبيت المذكور قريب من منزل ولي العهد الانكليزي، ويقع في أرقى مناطق لندن ويحوي أكثر من ثلاثين غرفة مرفّهة مكسوّة جدرانها بطلاء الذهب!!

والسؤال هنا: ماذا يستفيد الملك الفاسد من هذا البيت والذي يرتاده أيّاماً قلائل سنوياً؟ أليس الأجدر أن تنفق هذه الأموال الطائلة في المشروعات الاستثمارية والصناعية المتخمة في الوطن الاسلامي؟

نحن على ثقة بأن العملاء المأجورين المتسترين بالاسلام والذين يبرّرون تصرفات هذه العائلة الفاجرة ستنكشف سوآتهم، وتظهر حقيقتهم للرأي العام الإسلامي، للداني والقاصي، عندما ستكتب اللعنة الأبدية عليهم وعلى أربابهم، ولاينفع يومئذٍ الندم.

ويفضّل فهد الذهاب الى أسبانيا لأن له جنّة كلّفته مليارات من

الدولارات (من جيبه الخاص طبعاً).. كما أن لفهد وآل فهد «فيلّات» وبنايات وقصور وشقق في مصر والمغرب وتونس وفرنسا وايطاليا وألمانيا وسويسرا وبيروت وإنكلترا وأمريكا.

ولفهد وآل فهد «فيلّات» في الكيلو (١٠) بمدينة جدّة، وعددها ٣٦٠ دارة- بعدد أيّام السنة- وفي كل واحدة منها امرأة من بلد يختلف عن الآخر (١).

وصرحت مجلّة أمريكية(٢) «أن أغنياء النفط العرب ربما كانوا يبتاعون بنوكاً في نيويورك ولندن، ولكن المحاولة التي بذلوها في الاسبوع الماضي لتحطيم البنك في كازينو القمار بـ «مونت كارلو» كانت أقل نجاحاً، وعندما خسر ثلاثة من الأمراء السعوديين بينهم وزير الداخلية الأمير فهد بن عبد العزيز أكثر من (٦) ملايين دولاراً على موائد القمار، أصيب حتى أصحاب الملايين من روّاد الكازينو الدائمين بالذهول».

وأضافت المجلّة: «أن الأُمراء السعوديين وصلوا الى «هوتيل دي باريس» أواخر الشهر الماضي ولايدور في رؤوسهم سوى شئ واحد «إننا جئنا لكي نقامر- كما قالوا للإدارة- ولكن بشروط معيّنة.. إننا نحن الذين سنحدّد لكم الساعات التي تغلقون فيها الكازينو»!. ونتيجة لذلك فإن الكازينو الذي تغلق أبوابه عادة في الساعة الثانية فجراً كان يظل مفتوحاً إلى أن يملّ الأُمراء الذين كانوا يقامرون بمبالغ كبيرة وهم يلسعون الويسكي.. وكانوا كثيراً ما يبقون حتى التاسعة من صباح اليوم التالي.

وقال «كروبييه» عن هذه اللُّعب في الكازينو بعد أن غادر الأُمراء السعوديين الكازينو «الحمدلله انهم لم يبقوا ألف ليلة وليلة».

وقد استخدم الأُمراء السعوديون تكتيكاً خاصاً بهم خلال المقامرة، فبعد أن

---

(١) ناصر السعيد «تاريخ آل سعود» ج ١.

(٢) مجلة «التايم» الأمريكية في ١٩/١٠/١٩٧٤م.

ضاعفوا الحدّ الأقصى المسموح به وهو (٤٠٠) دولاراً على الرقم الواحد، طلبوا إذناً لمضاعفة هذا الحد (٤)مرّات، وهذا يعني أنهم عندما كانوا يضعون (١٦٠٠) دولاراً على رقم وحالفهم الحظ فإن مكاسبهم تصل الى (٥٧) ألف دولاراً، وعندما حالفهم الحظ مرّات عدّة اضطرّت إدارة الكازينو الى التدخل ومطالبتهم بوقف هذا التكتيك وإلا فلّسوا البنك .
وفيما كان الأُمراء ينعمون بمبالغ كبيرة كان مئات الأشخاص يحيطون بهم وخاصة الساقطات اللواتي تجمّعن حولهم كالنحل..

وذكر أحد الحضور أن الأُمراء دعوا فتاتين لتناول طعام العشاء معهم، ولكن لدهشة الفتاتين لم تتمّ دعوتها بعد ذلك لزيارة أجنحة الأُمراء في الفندق، غير أن كل واحدة منهن حصلت على إنعام مقداره (٤٠٠) دولاراً.

وكان الأُمراء أسخياء بشكل مماثل مع «الكروبيبه» وخدم الكازينو، وعندما قام أحد الخدم بتفريغ منفضة السجائر التي كانت موضوعة أمام الأُمراء من الأعقاب، ناوله الأمير «فهد» إنعاماً بملغ (٤٠٠) دولاراً، وفي إحدى المرّات بلغت أرباح الأُمراء نحو مليون دولاراً، ولكنهم قبل أن يغادروا الكازينو كانو قد خسروا هذا المبلغ، كما خسروا مبلغاً آخر يزيد على (٦) ملايين دولاراً.

وقد اتضح على أي حال أن الأُمراء السعوديين قد جعلوا زياراتهم للكازينو منتظمة رغم خساراتهم الكبيرة، فقد ذكر أحد سماسرة بيع الأملاك في «مونت كارلو» أنهم طلبوا منه البحث لهم عن فيلّا كبيرة أو ناطحة سحاب صغيرة في إمارة القمار»(١)إنتهى تصريح المجلّة.

ما أدري أي المصيبتين أنكى وأنكد على الشعوب العربية والاسلامية، مصيبتها بحكوماتها التي تساوم عليها، تريد أن تبيعها بيع الرقيق وتسوقها الى

(١) مجلّة «التايم» الأميركية بتاريخ ١٩/١٠/١٩٧٤م.

الجزّارين سوق الأغنام للذبح، أم مصيبتها من الدول الغربية التي أصبحت شراًعلى العالم كله، ونفثت على العرب والمسلمين خاصة أسوأ سمومها وأنكى مكايدها.

لقد نشرت مجلّة «فلسطين الثورة» في صفحة «أخبار عربية ودولية» عن الهدية السعودية للأمير البريطاني تحت عنوان «لندن وهذا الكرم العربي» جاء فيها: «لدى عرض ١٢٠٠ هدية تلقّاها وليّ العهد البريطاني الأمير تشارلز وعروسه ليدي ديانا- وهي خمس مجموع الهدايا- لفت الانتباه أن أغلى الهدايا كانت الهدايا العربية وأبرزها هدية وليّ العهد السعودي الأمير فهدبن عبدالعزيز، وهي مجموعة من الألماسات والمجوهرات من أحجار الياقوت الأزرق مع صندوق من الملكيت محفور برسوم الفراشات والزهور ومطعّم بالأحجار الكريمة والذهب- أما الرئيس الفرنسي «فرانسوميتران» فقدّم لوحة فنية»(١).

إن صناديق الخمر تأتي الى مطار الرياض مكتوب عليها «قرآن كريم لايمسّه إلّا المطهّرون»، وان الأولاد الذين يتمتعون بحظّ من الجمال يختطفون قهراًمن شوارع الرياض الى قصور الأسرة الحاكمة لممارسة الشذوذ الجنسي، وقد اضطر كثيرمن الأولاد إلى مغادرة الرياض تهرّباً من ملاحقة الأسرة الحاكمة (٢).

لقد أمر الطاغية «فيصل» بأن يعقد مجلس الوزراء السعودي جلسة طارئة لتثمين أحد قصوره القديمة في جدة!! فعقدت جلسة مجلس الوزراء السعودي وثمّنوا قصر فيصل بمبلغ (٤٠)مليون ريالاً. فلم يعجب الملك بهذا التثمين. فأوحى للمجلس بعقد جلسة طارئة أخرى، فعقدت الجلسة ووقّع الوزراء رسالة الى فيصل يعتذرون منه فيها على تقصيرهم في تثمين قصره الثمين بـ

(١) مجلة «فلسطين الثورة» السنة العاشرة العدد ٣٨٦ الاثنين ١٠/٨/١٩٨١م.

(٢) راجع أعداد مجلّة «الثورة الاسلامية» من العدد ٧٧ ذوالحجة ١٤٠٦ هـ/ اغسطس ١٩٨٦م.

(٤٠)مليون ريالاً، بينما قيمته الفعلية هي أكثر من هذا، ولذلك فقد رأوا إضافة مبلغ (٣٠) مليون ريالاً لفيصل ـ لتصبح قيمة القصر (٧٠) مليون ريالاً ـ تصرف لجلالته من وزارة المالية حالاً.

وحينما تقدم الوزراء للملك ـ الذي هو رئيس الوزراء ـ بهذا التثمين الجديد مع توبيخ أنفسهم بالنقد الذاتي أمامه قال فيصل: أنا أعلم أنكم مقصّرون في تثمين هذا القصر!، لكنني ماذا أفعل!، لقد كلّفني بناؤه في أيام الرخص(٤٠) مليون ريالاً، وأوراق وزارة المالية التي صرفت لي هذا المبلغ تشهد بذلك وبإمكانكم مراجعتها

بمعنى أوضح: أن مالية الشعب هي التي عمّرت هذا القصر لفيصل ودفعت قيمته السابقة، وقبض ثمنه(٤٠) مليون ريالاً، ومن ثم قبض (٧٠) مليون دولاراً، دفعتها له مالية الشعب فأصبح المجموع (١٥٠) مليون ريالاً، بعد ذلك أمر فيصل بتسليم مبلغ التثمين الأخير لزوجته «عفّات خانم» لتشيّد بهذا المبلغ عمارة مكوّنة من (٣٥) طابقاً في جدة، أعطاها الملك أرضها، وبقي القصر لفيصل!(١).

و«عفّات خانم» هي أُم وزير الخارجية سعود الفيصل ومحمد وتركي وأُخت كمال أدهم. وغـارت «أُم بندر» زوجة الملك خالد من «عفّات خانم» فأشادت عمارة في الرياض من (٣٥) طابقاً، دفعت تكاليفها وزارة المالية (٢).

إن حكام آل سعود الذين آمنوا بالديمقراطية والعلمانية والوهابية كمبدأ ودستور يعيشون عيشة بذخ مبذرة نفقاتهم ملوكية وجولاتهم تذكّر بعهد كسرى

---

(١) تاريخ آل سعود: ج١ ص٥٥ والى العدد ٨٤ رجب ١٤٠٧هـ/مارس ١٩٨٧م.
(٢) آل سعود من أين؟ وإلى أين: ص٥٥ و٥٦.

وقيصر وامبراطور روسيا في العهد الأخير، وحياتهم المنزلية ومناهج عيشهم تشبه قصص ألف ليلة وليلة، والإنسان يكاد لايصدق أن هؤلاء زعماء لبلد الحجاز الإسلامي.

لقد قطع القرآن والسنّة في أن طاعة أُولي الأمر لاتجب إلّا في طاعة الله، وأن ليس لأحد أن يطيع فيما يخالف كتاب الله وسنّة رسوله.

لقد حدّث الرسول الأكرم(ص) أنه قال: «سيلي أمركم من بعدي رجال يطفئون السُنّة ويحدثون بدعة، قال ابن مسعود: يا رسول الله كيف بي اذا أدركتهم؟ قال: ليس يا ابن أم طاعة لمن عصى الله- قالها ثلاث مرات»(١).

ولم يكن الرسول الأعظم(ص)- وهو زعيم أُمّة- يختصّ نفسه بشيئ من الأموال العامة. كان عليه وآله الصلاة والسلام المثل الأعلىٰ في أن يكون واحداً من الشعب مثل أبسط رجل من الجماهير وأن يحيا الحياة مشاركة لكل من فيها بمافيها، ولم تعمل فيه أُبّهة الدين والدنيا أبسط عملها فحاول أو رضي أن يشكّل لنفسه تكئة معينة وأن يستبيح مالاً يتيسر للجميع.

اشتكت اليه حبيبته فاطمة الزهراء عليها وعلى أبيها السلام ولم تكن صحتها في أحوال كثيرة على خير ما يجب أن تكون، أنها تلقىٰ عناءً ومشقّة من شدّة أعبائها في المنزل! فهلّا خادماً لبنت قائد أُمّة تكبر وتقوىٰ ويكثر عدد رجالها كل يوم حتىٰ تستريح بنت أكبر شخصية في مجتمع كان منذ قليل تحكمه التقاليد من عناء ماتلقاه في خدمة أهل البيت عليهم السلام وخدمة صحتها، فماذا كان موقف قائد التغيير الثوري في أول مجتمع ثار بشكل منظّم بل وعلى أُسس بقيادة السماء على يد محمّد عليه وآله السلام.

---

(١) مستدرك الصحيحين: ج٦ ص٣٦.

«لا أعطيك يا فاطمة وأدع أهل الصفّة- مجموعة من العاملين الفقراء- تطوى بطونهم من الجوع»(١).

وعلى هذا الهدي سار الائمة المهديّون وبه تمسّكوا، فهذا أميرالمؤمنين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام يموت وهو خليفة المسلمين فما يترك صفراء ولا بيضاء كما قال ابنه الحسن(ع) إلّا ثمانمائة أو سبعمائة درهم أرصدها لخادمة (٢).

ولقد كان علي(ع) وهو خليفة يلبس إزاراً غليظاً اشتراه بخمسة دراهم، وكانت حمائل سيفه من الليف، وعرض سيفه للبيع ليشتري لنفسه إزاراً، وكان(ع) يقول: من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله(ص)، ولوكان عندي ثمن إزار ما بعته(٣).

وما كان المال بعيداً عن علي(ع) لوحرص على المال، فقد كان يربط الحجر على بطنه من الجوع، و يعرض سيفه للبيع ليشتري به إزاراً، في حين أنّ الإيراد اليومي للأموال التي تصدق بها وأوقفها صدقة جارية على الفقراء يبلغ أربعة آلاف دينار (٤).

وما كان المال بعيداً عن علي بن أبي طالب(ع) لورضي أن يمدّ يده للأموال العامة ويأخذ منها حاجته، ولكنه حرّم على نفسه ذلك يوم بويع بالخلافة حيث قال: «ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح مالكم معي، ألا إنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، أرضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللّهمّ اشهد» (٥).

وكما حرم على نفسه أن يأخذ شيئاً من المال العام، فإنه حرم على نفسه أن

(١) د. عمادالدين خليل «مقال في العدل الاجتماعي» ص٩٧. (٢) تاريخ الخلفاء ص ١٨٠.

(٣) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي: ص١٢١، وعبقرية الامام علي للعقاد: ص١٦ طبع بيروت ١٩٦٧م.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج٢ ص ٢٠٠. (٥) تذكرة الخواص: ص ١٢١.

يبقي على شيءمن ماله الخاص، فقد كانت يده تمتلئ بماله الخاصّ فينفقه كله في سبيل الله وعلى الفقراء ولا يبقي لنفسه إلّا مادون الكفاف (١).

وقد ورد عن عمربن عبدالعزيز أنه قال: ماعلمنا أن أحداً كان في هذه الأُمّة بعد النبي (ص) أزهد من علي بن أبي طالب (ع)(٢).

إنّ طراز الحكم في بلاد الحجاز معروف الشكل والموضوع، إنه حكم فردي أو طائفي يفرض نفسه على كل شيء، ولا يسمح البتّة بمعارضة أو تذمّر، ولا يأذن بميلاد فكرة مخالفة أو حزب يمثل وجهة نظر مغايرة ...! وأُسلوب العيش في ظل هذا النظام يجعل الطعام اليومي للأفراد والأسر مارّاً من تحت يد الحاكم، ومن ثمّ فلا مجال للإفلات من قبضته!!

ولم تعرف الدنيا في تاريخها الماضي ولن تعرف في تاريخها المقبل حكماً ممدود الرهبة، مشدود الوثاق، يحوّل البلاد الى سجن كبير، ويحوّل أهلها إلى قطعان مسيّرة مثل ماعرف في السعودية. والغريب حقاً أن ذلك كله يقع باسم الاسلام!! باسم الاسلام تخنق الآراء، وتخمد الأنفاس، وتذلّ النفوس الكبار، ويقدس اسم واحد أو عدة أسماء. والاسلام ليس إلّا ستاراً تختفي وراءه حفنة من الناس تمتلكها رغبة مجنونة أن تفرض تفكيرها ومذهبها على الآخرين ولوكانوا كارهين. فالحكم السعودي يقلّل دخل الإنسان، ويضيّق عيشه ويهين دينه ويصادر حريته، فما الذي يحمل الإنسان على الرضا بذلك الحكم المشؤوم؟ ومن الذي يسرّه أن يخسر دنياه وآخرته على هذا النحو الذليل؟.

إيمان خائن الحرمين:

لايصلح كل شخص أن يكون إماماً لأن وظيفة الامامة بمالها من جلال

---

(١) أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٣٢.

(٢) مناقب الخوارزمي: ص ٦٧.

وخطر تقتضي أن يكون شاغلها حائزاً علىٰ صفات معينة، ومن ثم يشترط فيمن يختار إماماً أن تتوفّر فيه شروط منها:

١ـ الإسلام: يشترط في الإمام أن يكون مسلماً لأن وظيفته نفسها تقتضي هذا، فمهمّته إقامة الدين الإسلامي وتوجيه سياسة الدولة في حدود الإسلام، وما يستطيع أن يقوم بذلك عل وجهه الصحيح إلّا مسلم يؤمن بالإسلام ويعرف مبادئه واتجاهاته، فطبائع الأشياء إذاً توجب أن يكون رئيس الدولة الإسلامية مسلماً. وإذا كان هذا هو ماتوجبه طبائع الأشياء ومنطق الواقع فإن الاسلام نفسه يحرّم أن يلي أمر المسلمين غير مسلم وذلك ظاهر من قوله تعالىٰ: «لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيءٍ» (١).

فاذا حرم الإسلام على المؤمنين أن يوالوا غير مؤمن فقد حرم أن يجعلوه حاكماً عليهم لأن الحكم ولاية وقوله تعالى: «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» (٢).

٢ـ العلم: يشترط في الإمام أن يكون عالماً، وأول مايجب عليه علمه هو أحكام الإسلام، لأنه يقوم على تنفيذها ويوجّه سياسة الدولة في حدودها، فان لم يكن عالماً بأحكام الإسلام لم يصح تقديمه للإمامة.

٣ـ العدل: يشترط في الإمام أن يكون عدلاً، لأنه يتولىٰ منصباً يشرف على كل المناصب التي يشترط فيها العدالة، فكان من الأولى أن تشترط العدالة في منصب الإمامة. والعدالة عند الفقهاء هي التحلّي بالفرائض والفضائل، والتخلّي عن المعاصي والرذائل، وعن كل ما يخلّ بالمروءة، ويشترط بعضهم أن تكون العدالة ملكة لا تكلّفاً.

---

(١) سورة آل عمران/آية ٢٨. (٢) سورة النساء/آية ١٤١.

٤ـ الكفاءة: ويشترط في الإمام أن يكون كفوءاًقادراً على قيادة الناس وتوجيههم، قادراً على معاناة الإدارة والسياسة، فمن قام بالقسط فقد قام بما أُمر به.

لقد فسدت أداة الحكم في الدولة الإسلامية وتحولت عن غايتها التي رسمها الإسلام، وأصبحت مهمة الحكام أن يحكموا في حدود الهوىٰ والمنفعة، وابتغاء الإستعلاء والسيطرة أو ابتغاء رضا المستعمرين، بعد أن كان واجبهم الأول أن يحكموا في حدود الإسلام ابتغاء مصلحة الجماعة وابتغاء وجه الله.

ولقد انتهىٰ هذا كله إلى أسوأ النهايات. وحيثما انفلت الحكام من حدود الدين انقلبت الموازين في أيديهم واختلطت الأوضاع عليهم، فهم لايميّزون الطيب من الخبيث ولايعرفون الحقّ من الباطل ولايفرقون بين الضارّ والنافع، لأنهم يتبعون أهواءهم، ويتخذون منها آلهة لهم: «أرأيت من اتخذ إلٰههُ هواهُ أفأنت تكونُ عليه وكيلاً»(١).

وترتّب على فساد الحكم وخروج الحكام على حدود الدين أن ابتعد الناس عن الدين وفسدت الاخلاق وشاعت الفاحشة وضعف المسلمون وتصدّعت وحدتهم وتعدّدت أحزابهم واتجاهاتهم بما اتبعوا من أهوائهم، حتىٰ أصبحت الفوضىٰ شعارهم، والتفرق الذي نُهوا عنه يميّزهم عن غيرهم، وحتّىٰ انتهوا إلى ما هم عليه من الإستعباد والذلّة، يستعبدهم المستذلّون ويغلبهم على أمرهم المشردون المغلوبون.

وإذا كان هذا الانحراف قد بدأ بما نسب الى عثمان من ايثار بعض ذوي قرباه ببعض وظائف الدولة، ومن منحه بعض الناس شيئا من أموال الدولة، فإن الإنحراف قد انتهىٰ إلى اسوأ نهاية، إذ انتهىٰ باستبداد الحكام بكل أُمور

---

(١) سورة الفرقان/آية ٤٣.

الأمة وبإهمال مصالحها وبالإستعلاء عليها وحرمانها من استعمال حقّ الشورىٰ إستعمالا صحيحاً، كما انتهىٰ بالحيف على حقوق الأفراد والاستئثار بالأُمور العامّة وإقامة أمرالأُمة على الإثرة والمحاباة والظلم والجور، حتى لقد أصبحت الحكومات الإسلامية مضرب المثل في العالم كله على الظلم والاستبداد، وأصبحت الشعوب الإسلامية مضرب المثل في العالم كله على التأخّر والانحطاط.

يتضح من تصرفات الملك السعودي «فهد» وبياناته أن رحلته الثقافية- التي بـــدأت بتشابه دقيق مع الأفكار التي يلقّنها دعاة الحضارة الغربية والإرساليون المسيحيون والمستشرقون- تستمر وتقطع أشواطاً بعيدة، وأنه قد وصل الآن إلى مرحلة يصعب عليه التزام التعريض والكناية، وقد بدأ يعرب عن أفكاره بتصريح بدون أيّ حذر وتحفّظ، بل يتعدىٰ أحياناً إلى تجرّؤ شنيع، ويدلّ على ذلك تصريحاته التي أثارت ضجّة في العالم الإسلامي، والتي أدلىٰ بها الى مؤتمر «المدرّسين والمربّين»(١)، وقد نشرت الصحف السعودية تصريحات (الأمير) الملك فهد، بحذف فقرات كانت أكثر تهجّماًعلى الإسلام وشخصية النبي(ص) كما حذفت وسائل الإعلام الرسمية الفقرات النافرة.

نشرت صحيفة «الشهاب» البيروتية(٢) هذه الفقرات المحذوفة:

١- إن في القرآن تناقضاً لم يقبله العقل بين «قل لن يصيبنا إلّا ما كـتب الله» (٣) و«إن الله لايغيّر مابقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم» (٤).

٢- الرسول محمد كان إنساناً بسيطاً يسافر كثيراً عبرالصحراء العربية ويستمع الى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت، وقد نقل تلك

---

(١) بمناسبة «الملتقىٰ الدولي حول الثقافة الذاتية والوعي» المنعقد في جدّة في مارس ١٩٧٤م.

(٢) في عددها الأول للسنة السابعة الصادرة في ١٥ نيسان ١٩٧٤م.

(٣) سورة التوبة /آية ٥١. (٤) سورة الرعد/آية ١١.

الخرافات إلى القرآن، مثال ذلك، عصا موسىٰ، وهذا شئ لايقبله العقل بعد اكتشاف باستور، وقصة أهل الكهف.

٣- إن المسلمين وصلوا إلىٰ تأليه محمد، فهم دائماً يكرّرون محمد(ص)، الله يصلي على محمد، وهذا تأليه لمحمد.

ونجيب «خائن الحرمين» فنقول:

١- إن التناقض الذي وجده «المملوك فهد» بين الآيتين يرجع إمّا إلى جهله باللّغة العربية- لأنه تلقّىٰ تعليمه في بريطانيا- وإمّا إلى عدم تمكّنه من دراسة القرآن الكريم وتفسيره، ولوأنه قد راجع أي عالم عادي للدراسات الإسلامية لما وقع في هذه الورطة.

٢- إنَّ هذه التهمة أيضاً تكشف عن جهل «مفرّق هذه الأمة» أو عن الإضطراب الفكري الذي لايستغرب في الطبقات المتعلّمة خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر، حيث لم تكن البحوث التاريخية والعلم قد أحرزت تقدماً كبيراً، ولكن لامبرّر لمثل هذه الدعاوىٰ الآن في العصر الحديث، ويدل ذلك على أي حال من الأحوال على أن جلالة «خادم الحرمين الشريفين» يعتبر القرآن كتاباً من تأليف النبي(ص) ولايعتبره كتاباً منزلاً.

٣- وهو دليل آخر على جهل فهد، وحرصه على إصدار حكم على أي موضوع بدون أن يهتم بإجراء تحقيق فيه، فماهي العلاقة بين الصلاة والتبريك والدعاء، وبين التأليه، إن مثل هذه الأدعية توجد في جميع الكتب السماوية، بل في سائر الكتب الدينية.

هذا مانقلته الصحف الإسلامية من التصريحات التي حذفتها الصحف الرسمية، ولكن مانشرته مجلّة «الدعوة» السعودية فعلا والتي نالت موافقة الحكومة، لا تبرّئ ساحة فهد ولاتخفّف من شناعة فكره، ونورد هنا مانقلته المجلّة حرفياً:

«هناك أمور أخرىٰ مثل قصّة عصا موسىٰ التي ألقىٰ بها فإذا هي حيّة تسعىٰ، وقدكان الإيمان بأنّ الحياة يمكن أن تخرج من الجماد سائداً في أوروبا أيضاً، ولكنه انقرض تماماً منذ عهد باستور، ومن هذه الأساطير التي ظلّت موضع ايمان الناس في البلاد العربية دهراً قصة أهل الكهف، الذين لبثوا رقوداً مئات السنين ثم انبعثت فيهم الحياة »(١).

إننا لانريد أن نعلّق على هذه التصريحات هنا، لأنها لا تستحق ذلك، وكل مايتضح من هذه البيانات أن «خائن الحرمين» يعاني من مركّب النقص والتبعية الفكرية، فإنه لم يدرس أي علم من العلوم الإسلامية في الوقت الذي لم يستطع فيه أن يفهم كلّياً الإعتراضات والشكوك التي آثارها الناقدون، أمّا المسألة التي يجب أن تكون موضع الإهتمام فهي أن الشخص الذي يحمل هذه الأفكار المعادية للإسلام هل يبقىٰ في حظيرة الإسلام؟ وهل يتمتع بحقّ ليحكم بلداً إسلاميا ذا أغلبية إسلامية؟

إنّ رد الفعل العنيف الذي أثارته تصريحات «المملوك فهد» في الدوائر الإسلامية والأوساط الدينية في سائر أنحاء العالم تحمل خير ردّ على هذا السؤال.

إنَّ الذي يحمل مثل هذه الآراء لايعتبر مسلماً، واحتجّ على هذه التصريحات عدد كبير من الصحف الإسلامية أيضاً، وعلّقت عليها..وأرسل احتجاج شديد اللهجة الى «فهد» أعرب فيه كبار العلماء والباحثين من العالم العربي والإسلامي من أندونيسيا الى مراكش عن قلقهم العميق بأفكار «خادم الحرمين».

بالإضافة إلى الاعتراضات الثلاثة التي ظهرت في بيان فهد، تدلّ الأفكار التي أعرب عنها على حياة النبي (ص) والعقائد الإسلامية وطرق العبادة، علىٰ

---

(١) مجلّة «الدعوة» السعودية في ٣٠ آذار- مارس ١٩٧٤م.

أنه لا يختلف مع المبادئ الأساسية للإسلام والشريعة فحسب، بل إنه يريد أن يقود مسلمي الحجاز إلى نفس الجهة، ويثير شكوكاً وريباً في قلوبهم، وليس من العسير إذاً أن يعلم إلى أي جهة تسير مكة والمدينة التي أنجبت عدداً من أعلام الفكر الإسلامي، والبحوث الإسلامية، والذي يزخر بأمثالهم التاريخ الإسلامي.

وإننا نعلم أن عملية تحويل الحجاز الى بلد متحضّر بالحضارة الغربية، قد بدأت بطاقةٍ وحماسةٍ بالغتين بعد استنكار الدوائر الإسلامية لخطاب المملوك فهد. ولنضرب مثالاً لأُسلوب حياته، ومستوى معيشته.

تقول جريدة «الصاندي تلغراف» الصادرة في لندن في أحد أعدادها(١): «الأمير السعودي «فهد» أنفق خلال إقامته في إسبانيا مليوني دولار يومياً، وكان يرافقه ستة أُمراء، وكانت المومسات والبغايا والفتيات الأُخريات يجلبن إلى فندقه الذي كان يكلّفه ربع مليون دولاراً يومياً، وكان (٥٠) من الحراس منزعجين لكثرة تردد المومسات والبغايا الزائرات في هذا الفندق».

كما أن مكتب وزارة الخارجية بأسبانيا لاينظر بعين الرضا إلى هذه الجولات التي يقوم بها الأمير فهد بن عبدالعزيز بين آن وآخر لأسبانيا، ولكن بما أن أسبانيا تريد استغلال الوسائل الطبيعية في السعودية فإنها لاتبدي استنكارها لهذه الجولات بطريقةٍ علنية»(٢).

وتحت عنوان «الفساد المتفشي والإنحلال الأخلاقي»: ذكر أحمد بن بيلا الرئيس الأول للجمهورية الجزائرية المستقلة في بحثه(٣) من تفاصيل عجيبة عن نوع الحياة التي يحياها أُمراء سعوديون معيّنون في «كان».

(١) مجلّة «الصاندي تلغراف» اللندنية في ١٢ حزيزان ١٩٦٤م.

(٢) صحيفة «ليبراسيون» الفرنسية ١٩٧٤/١٠/٢٢م بقلم الكاتب كارلوس دوساريغو.

(٣) نشرته مجلّة «الأكسبريس» الفرنسية في ٢٠ اكتوبر-تشرين أول ١٩٧٤م.

فقد ذكرت «الأكسبريس» أن واحداً من هؤلاء الأمراء- لم تذكر اسمه والمقصود به فهد- قد خسر في ليلة من لياليه بليوناً ونصف بليون فرنك منذ قدم إلى فرنسا.

وذكرت صحيفة «كرسنت انترنشونال» الكندية (١): «أن فهداً حاكم البلاد قد اشترى قصراً جديداً في لندن» ولم تذكر الصحيفة كم كانت قيمة القصر ولكن المبالغ التي صرفت على الإصلاحات والإضافات على القصر قد تعطي فكرة عن قيمة شرائه.

فقد ذكر أن المبلغ الذي صرف عليه بعد شرائه كان(٢٤) مليون جنيه استرليني، ويضمّ القصر خمس حانات خمر وإحدى وعشرين غرفة إستقبال وخمس عشرة غرفة نوم وستة عشر حماماً طليت حنفياتها بالذهب بالإضافة إلى فرش أسنان وأقداح مذهبة وغرفة طعام كبيرة تحتوي على طاولة مرمر كلفتها (٦٠٠/٠٠٠) جنيه استرليني.

بالإضافة إلى ذلك فإن نوعية الزجاج المستعمل في القصر هو زجاج ضدّ الرصاص، وقد كلّفت شركة فرنسية لتقوم بأعمال الديكور وقد وصلت كلفة أعمالها إلى عشرة ملايين جنيه استرليني. ومن جملة ماتقوم به هذه الشركة هو وضع ورق من الحرير للجدران الداخلية للقصر. وقد ذكر أن أُجرة العامل في اليوم الواحد هي (١٠٠) جنيه استرليني. ومن المعروف أن فهداً يأتي الى لندن كل سنة لفترة شهر فقط».

وفي البحث الذي قدمه أحمد بن بيلا، ذكر فيه سوء استغلال أموال النفط، وتحت عنوان «أموال النفط العربي تدعم نظاماً اقتصادياً جائراً» جاء هذا المقطع: «إن المملكة العربية السعودية تودع وتستثمر في الولايات المتحدة

(١) تصدر باللغة الانكليزية في عدد يوليو ١٩٨٣م.

الأمريكية (١٧٠) بليون دولاراً، كما ذكر الرئيس السابق «كارتر» بنفسه وهويستقبل الملك فهد في زيارة رسمية لأمريكا، عام ١٩٧٧م».

ويعلق ابن بيلا على ذلك: «بأن ضخّ الأموال الطائلة من النفط العربي في نظام الإقتصاد العالمي هو اهدار واضح لإمكانيّاتنا الطبيعية والبشرية، ويوثق تكبيل أقدامنا بسلاسل لافكاك منها»(١).

وهنا ننقل ماقاله «فهد» من واقع المحاضر الرسمية لجلسات مؤتمر القمة التاسع(٢)، لقد اعتذر فهد عن التبرع لسوريا وفلسطين ولبنان والأردن بأكثر من (٨٠٠) مليون دولاراً، حينما زعم بالحرف الواحد يقول: «إن تبرّعنا هذا ليس إلزامي «!!» وأن على السعودية التزامات لدول أُخرىٰ«!!» وأن هذا المبلغ يبقىٰ سارياً لمدة ثلاث سنوات يمكن أن نزوّده بعدها في حال تحسّن أوضاع المملكة«!».

وأن المملكة ملتزمة بأكثر من (٥) آلاف مليون وثلاثمائة مليون للدول العربية الأُخرىٰ خلاف هذا المبلغ وقيمة أسلحة لهذه الدول «مصر والسودان واليمن الشمالي»، والسعودية ملتزمة بأكثر من (٣٠) ألف مليون للجيش والحرس والدفاع المدني وقوىٰ الأمن. مع العلم- اخوان- فيه نقص في ميزانية المملكة السعودية (١٥) ألف مليون «!!». هذه هي الأسباب- اخوان- اخوان- التي دعت المملكة لا تزيد تبرعها الى ألف مليون».

ومن أجل هذا يتذرّع الفهد الأمريكي بالعجز المالي، وبالتزامات «الدفاع والأمن» التي هي التزامات لخنق الشعب الجزيري والأُمة الإسلامية.. ويتذرّع بالتزامات السعودية لعملاء أمريكا والصهيونية، كالسادات والنميري

---

(١) مجلّة «الاكسبريس» الفرنسية في ٢٠ اكتوبر-تشرين أول ١٩٧٤م.

(٢) المنشورة في العدد (٤٥- ٧٢٨) الصادر في ٢٢- ١٩٧٩/٤/٢٩م من مجلّة «الكفاح العربي» اللبنانية.

وعلي عبدالله صالح وقابوس وسياد بري وغيرهم.

أمّا الجهاد الذي فرضه الله بالقرآن بقوله تعالى: «وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم»: طبعاً الأموال الحلال والأنفس المؤمنة، فهذا محرّم- سعودياً ووهابياً- يحرّمه العجز المالي لاالجنسي طبعاً. وتعمير المساكر والمقامر وتعمير القصور في أنحاء أوروبا مباح. والمحرم هو تعمير بيوت لبنان وجنوب لبنان التي هدمتها معدّات أمريكا بالنفط السعودي ومنتجاته.

وماسحب «الجيش السعودي» والضغط السعودي على الامارات لسحب جيشها من لبنان، في وقت أعلن فيه عضو الكتائب والشماعنة «سعد حداد» دويلة لإسرائيل في نيسان ١٩٧٩م إلّا ضمن هذا الاتّفاق السعودي «الاسرائيلي» الأمريكي بعدم الإعتداء (١)!. وبالصمت دوم النعم!.

«فهد» الذي أزكمت الأنوف رائحة مفاسده التي كان يمارسها منذ أن دخل معترك الحياة وفتحت عيونه على مايدور فيها، عندما وصل الى الملك!! بدأت منذ ذلك الوقت تخرج دعوات وصيحات تلتقي كلها وتصبّ في مجرىً واحد، وهو دفع البلاد إلى الفساد والانحلال، .وتمييع المجتمع، ومن ثم تضييع القيم التي يؤمن بها. ومن تلك الدعوات ما انتشر أخيراً حول ضرورة فتح السينمات بشكل رسمي (بالطبع هناك سينمات) منتشرة ونوادي الرياض وجدة في معظمها توجد فيها سينمات بشكل علني وتعرض أفلاماً أقلّ مايقال عنها أنها لاتخدم إلّا أعداء ديننا ومجتمعنا ووطننا، وهناك سينمات شركة آرامو» والتي يشرف على اختيار أفلامها عقول غربية ١٠٠٪ بالإضافة إلى الانتشار الرهيب في أشرطة الفيديو الخليعة. ومن تلك الصيحات ماطرحته بعض الجرائد والمجلاّت الأُخرى، ودارت بعض الهمسات في موضوعه، الا وهو

(١) ناصر السعيد «تاريخ آل سعود» ج١ ص ١٠١١

الاختلاط في المدارس. فقد طرحت بعض الجرائد والمجلاّت أحاديثاً حول ضرورته، وأهمّيته في هذا العصر المتقدم.

ولهذا السبب كان خطاب فهد الذي ألقاه في «المؤتمر التأسيسي للمجمع الفقهي العالمي» الذي انعقد في جدة بتاريخ ٢٩/شعبان/ ١٤٠٣هـ. مركّزاً حول ضرورة فتح باب الإجتهادفي هذا العصر المتطور، وقد غطّت الجرائد هذه الكلمة على صدر صفحاتها الأُولىٰ وبالمنشيتات العريضة، وأسهبت بعض المجلاّت الأُخرىٰ في التعليق على الخطاب، وبالذات على نقطة ضرورة فتح باب الإجتهاد.

إن دعوة فهد الى فتح باب الإجتهاد لا تعدو كونها عملية النفاق يقصد به تنفيذ مايصبو إليه من نشر للميوعة والفساد في مجتمعنا» (١).

هذه الصورة الكالحة هي صورة المجتمع الإنساني الراقي كمانسجت الوهّابيّة خيوطه وأوضحت معالمه.

ولمّا كنا في عصر يجيد اللعب بالألفاظ فإن هذا الهوان العام سمّي بـ«حكم الإسلام والشعب» واعتبر تحقيقه تلبية لنداء الجماهير!!

وقد ألفنا في السعودية أن الحاكم بأمره يتحدث باسم الأُمة!! وأن حرّاس الإرهاب المسلّح يسمّون أنصار السلام!!

وأن نقض دعائم الدين يسمّىٰ بـ «المنهج العلمي»!!

وأن العودة إلى الحيوانية الأُولىٰ تسمّىٰ تقدمية!! إلى غير ذلك من المتناقضات...

وظاهر من الدراسة والتطبيق معاً أن الوهابية مذهب سياسي يتوسل بكل الوسائل لإدراك مآربه. وأنه لوكان فكرة إسلامية ولمصلحة الجمهور لكان

(١) مجلّة «الثورة الإسلامية» العدد ٤٠ ذوالعقدة ١٤٠٣هـ اغسطس ١٩٨٣م.

الجمهور هو صاحب الرأي الأول والأخير في أخذ أو ترك مايراه أضمن لمصالحه وأضبط لشؤونه.

لكن مايقع هو العكس، فالجمهور يتجرع كارهاً متاعب هذا المذهب ونقائضه. فإذا تململ قيل له: حذار أن تتحرك !! لابدَّ أن ترضى بما يملى عليك !!

وَمَنْ الذي يصدر الأوامر؟ حفنة من الممسوخين أحاطوا أنفسهم بقداسة مبهمة، وجعلوا من امتلاكهم للمال العام أو من سيطرتهم عليه فرصة لإ تراف أنفسهم وأشياعهم، ثم توزع المسكنة والبأساء على سائر الناس.

إنّ التاريخ لم يعرف حكماً استبدادياً حصّن نفسه بمثل هذه السلاسل من الحصون.

في الإسلام مجموعة هائلة من النصوص التي تحكم تداول المال وتوارثه وتبيّن كيف ينفق وكيف يكسب. ومعالم الحلال والحرام هي الدين كله. وفي الحديث «الحلال بيّن والحرام بيّن»(١). وضمائر المؤمنين هي المرجع الأول في هذا المسلك الشريف. وقديماً كان المحتسبون ينطلقون في الأسواق يمنعون الغش ويرقبون الموازين ويضبطون المعاملات التجارية بضوابط الشريعة ويؤدبون من يحاول الإعتداء على حدود الله و وظيفة المحتسب جزء من عمل الدولة قديماً في تنقية المكاسب، ونصب مصفاة للحلال والحرام. فهل بقيت مصافي الحلال والحرام مبثوثة في موطن الإسلام الأول الحجاز تردّ السحت، وتفرش العفّة، وتقيم حدود الله؟؟

وآل سعود بإزاء المال صنوف:

(منهم) من يسمّيه الحجازيون بالنهّاب الوهّاب!! والنهّاب الوهّاب يجيد

(١) صحيح البخاري: ج٦ ص١٤٦.

اصطياد المال حيث بدا له، فإذا امتلكه لم يلبث في يده إلّا ريثما يعرف الوجهة التي يذهب إليها فهو كما قال الشاعر:

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا   لكن يمر عليها وهو منطلق

وعيب هؤلاء أن رغبتهم في الإنفاق الخاصّ والعام، تدفعهم إلى استباحة أُمور كثيرة، وهم يعتذرون لأنفسهم في ضمائرهم بأن لاحرج في ذلك ماداموا لم يدخروا ماكسبوا..!! والإسلام يأبىٰ هذا السلوك . وعنده أن العجز عن النفقة في الخير أشرف من السلب والتصدق.

وفي الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: من اكتسب مالاً من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع ذلك كله جميعاً فقذف به في جهنم (١).

ومن نكت المصريين أن أحد حكامهم جمع مالاً خبيثاً وبنىٰ منه مسجداً، فكانوا- على طريقتهم في غمز الحكام الجائرين- يمرّون بالمسجد ويقولون: هذا هوالمسجد الحرام، كما يفعل «فهد» الآن عندما يتبرع ببناء مساجد وإهداء مصاحف و... و...

والى جانب النهّاب الوهّاب ترىٰ الجموع المنوع! وهذا صنف تتملّكه شهوة الثراء والرغبة في الإكتناز، فهو يطوف بثروته كما يطوف الوثنيّ بصنمه.وما يخرج منه شيٌ لله أو للناس إلا بخلع الضرس!! والكانزون للمال على هذا النحو يحبسون خيرالله عن التداول والنفع. ويملأون المجتمع بالعقوق والحقد. وفيهم يقول الله جلّ جلاله: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم. يوم يُحمى عليها في نارجهنّم فتُكوىٰ بها جباهُهم وجنوبُهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنِزون»(٢).

---

(١) البخاري: كتاب الايمان- باب ٢٩.

(٢) سورة التوبة/آية ٣٤ و٣٥.

وهناك من يسرق الضياع الرحبة، والقصور المشيّدة،ويمشي فيها مختالاً كأنه ماصنع شيئاً!

واختلاف المسالك والمشارب لاغرابة فيه..

لكن السؤال الذي تجب الاجابة عنه هو: هل علماء المسلمين يقفون محايدين بإزاء هذه المسالك ؟

لقد صحّ أن رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يأتي على الناس زمان لايبالي المرء ما أخذ أمِن حلال أم من حرام»(١).

فهل علماء الإسلام يتفرّجون على هؤلاء؟

وجاء عنه(ص) وقد سئل عن أكثر مايدخل الناس النار فأجاب: «الفم والفرج»...(٢).

فهل وظيفة علماء الدين تنتهي عند ايراد هذا الوعيد؟

الواقع أن إقامة حدودالله في الميدان الاقتصادي هو من صميم عمل علماء الإسلام.

إن الحكام الظالمين الذين تولّوا أمر الإسلام حيناً من الدهر، لم يستطيعوا البتّة تسخير العلماء الأبرار لتنفيذ أهوائهم أو السير في ركابهم المعوج مع ما أُوتوا من قوة بأس وشدة جبروت وتمكين في النيل.

وكيف لايكون ذلك ، وقد نهي العلماء والمسلمون أجمع أن يركنوا إليهم لقوله تعالى: «ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكم النار» (٣).

لذلك نجد منهم الناصحين لهم الرافضين منحهم الصابرين على محنهم، ومنهم المعرضون عن مواجهتهم، والساعون لهذه المواجهة بقصد إسماعهم مقالة الإسلام صريحة جريئة لاغموض فيها ولا كنايات!! ولا استعارات ولا

---

(١) سنن النسائي: ج٦ ص١٨٥. (٢) صحيح الترمذي: ص٣٤٥. (٣) سورة هود /آية ١١٣.

ذبذبة!! حيث لايخافون لومة لائم.

إن الإسلام اليوم: يريد من المسلمين- خصوصاً معشرالعلماء، وهم على مفترق الطرق- أن يبذلوا أقصىٰ الجهد ومنتهاه، في بيان أحكامه بصراحة وجرأة وحمل الدعوة إليه، جاعلين وجودهم قائماً على أساسه. فإذا هم لاينصرون حقاً ولايمنعون باطلاً، ولا يأمرون بمعروف، ولاينهون عن منكر، ولا يحاسبون حكاماً ولا... فما فائدة وجودهم إذاً؟! وكان بطن الأرض خيراً لهم من ظهرها. وليكن علماؤنا اليوم حقاً ورثة الأنبياء. يوزعون على المسلمين حكاماً ومحكومين ميراث نبيّهم الكريم بالقسطاس المستقيم، لاظالم فيه ولا مظلوم.

وليعلم حكام آل سعود أن حكمهم مهما طال، فانه قصير في عمر الأُمة الإسلامية الطويل وأيام العمر تمضي سراعاً، وضمّة القبر بفتنته وسؤاله آتية لاريب فيها، وحساب الله عسير. فالمسلمون في ظلّهم أخفض صوتاً وأوطأ ظهراً وأضيع حقاً منهم في ظلّ أيّ حكم آخر.

والنهضة الإسلامية التي تمدّ شعاعها اليوم تريد أن تجنّب البشر هذا الهوان، أيّاً كان مصدره. وتريد أن تحمي المسلمين من لوثات المستبدين، ومن جنون العظمة الذي يجري في دمائهم.

الفصل الرابع

آل سعود والوحدة الاسلامية

حين أدرك المستكبرون أنهم غير قادرين على اقتلاع جذور الإسلام من البلدان المغلوبة خططوا لتحريف الإسلام وجعله بشكل يتناسب مع مصالح الغزاة الطامعين.

عملية المسخ هذه اتخذت أبعاداً مختلفة أهمها عزل الدين عن الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية، وحصره في نطاق الطقوس والعبادات الفردية. وهذا البُعد من أبعاد المخطط استوجب إشاعة فكرة انفصال الدين عن السياسة، ونجحوا في هذا البعد الى حدٍّ كبير بحيث أضحى الابتعاد عن السياسة من مستلزمات التقوى والإخلاص!!

هؤلاء المتباكون الدعاة الى الإسلام الأمريكي يعيدون إلينا بدعواهم هذه المأساة التي عاشها الغرب وعاناها جراء الفهم الخاطئ للعقيدة والمبادئ والتقنية الحديثة، وشتّان مابين الطرح الغربي الكنسي، والطرح المحمدي النقي لقضايا الأمة المعاشة.

في الطرح الغربي الدين للصلاة أما السياسة وأُمور الحكم والأُمة فلقيصر وحده من دون الله، بينما في الإسلام يتعانق السيف مع المحراب دوماً. وليس هناك فرق بين مالله وما لقيصر، فالكل لله وإلى الله، وما نحن إلّا خلائف في أرض الله، والكل عبادة لله سواء لمسة حنان نمرّرها على رأس يتيم، أم ضربة

بتّار على رأس عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين.

يقول الامام الخميني حفظه الله في هذا المجال: «كان المسجد والمنبر في صدر الإسلام مركزين للنشاطات السياسية، خطط الكثير من الحروب الإسلامية وضعت في المساجد.

.. والغزاة الغربيون توصّلوا من خلال دراستهم للشرق إلى ضرورة إفراغ المسجد والمحراب والجامعة من المحتوى الحقيقي، أي القضاء على ما يمكن أن يصدر من المسجد والمنبر والجامعة من عطاء. والذي عملوه في كل هذه المجالات هو أنهم سخّروا إعلامهم ووسائل دعاياتهم إلى إبعاد الدين عن السياسة حتى اشتبه الأمر على بعض علماء الدين الذين اقتنعوا بضرورة الإكتفاء بشرح بعض المسائل الدينية دون التدخل بأيّ امر من أُمور البلد ومشاكل الأُمة» (١).

وليست هذه الحركة بجديدة علينا، فحركة التحريف قد ابتدأت منذ أن استخدم القرآن لينتصر به باطل، حينما رفع فوق أسنّة الرماح وبدأ تحكيم الجور عندما ظنّ أولئك أن الاسلام هو فقط مابين الدفّتين، وهو فقط هذه الأوراق الصفراء، نعتني بها أن لايصيبها الغبار، نحفظ ونتفاخر بحفظ ماهو مكتوب فيها، وبأن عندنا إذاعة خاصة تبثّ المنقوش على هذه الأوراق. أما تجسيد الاسلام، والقتال في سبيل إحقاق الحق، وفضح الظالمين المتحكمين برقاب الضعفاء، ومؤامرات الشرق والغرب فهي أُمور ليست من الإسلام في شئ.

فالشرعية الإسلامية كما أنها شرعية العمامة، وفتاوى الصلاة والحج والحيض والنفاس، كذلك تعني فيما تعني سياسة الحكم وإدارة الدولة، ورفض دعاوي السوء التي تبيح الركوع أمام الظالمين، وتصافحهم وتكتفي فقط بطلب الهداية لهم دون مجابهتهم، حتى ولو كانوا مسلمين بالهوية.

---

(١) من حديث للامام الخميني في ٢٣ رجب ١٣٩٩هـ.

ونتساءل هنا وكلّنا دهشة: أولم يكن رسول الله(ص) العابد الزاهد المتذلّل لله في محراب صلاته، هو نفسه قائد الحرب ورئيس الدولة وواضع أُسسها، أم أن الرسول (ص) كذلك قد نطق كفراً- وحاشاه أن يفعل- ثم أولم يكن مسجد الرسول (ص)- يوم كان بيت الله تحت وصاية الكافرين- مركزاً للقيادة العسكرية العامة، منها تخرج السرايا وتنشر الرايات وتختار ساعة الصفر. فبالله عليكم ماهو الفرق بين هذا البيت الصغير وبيت الله الكبير في مكة، سوى أن يكون الدور الذي يجب أن يفعله البيت الصغير هو تأهيب الناس لممارسة مثل هذا الدور في بيت الله الكبير الذي هو أمان للمظلومين، لكن والشكوى إلى الله، فقد قلبوا آيات الله، فأصبحت السياسة ومذاكرة أُمور المسلمين في البيت الحرام بدعة، وأصبح الدعاء والتنديد وكشف ألاعيب الشيطان وحزبه جريمة وكفراً.

وفي الحجّ يشهد الناس منافع لهم في أيام معدودة، ومن أبرز المنافع في عصرنا هذا الهزيل، حينما يجمع الله الملايين المؤمنة به المخلصة له، الباحثة عن الحقيقة، ويهيّئ لها الواعين من أبناء هذه الأُمة- الذين ترفّعوا عن إضاعة الوقت بتكفير واتهام الناس بالشرك والضلال- ليكشفوا لهم أوراق اللعبة الشيطانية الخبيثة، من مناورات ساطعة، ورحلات مكوكية، ومساومات على التركيع والانسحاب الإسرائيلي من لبنان، وخيانات الكثرة من أبناء هذه الأُمة.

نعم فمن العبادة الطواف والسعي والمبيت والرمي، ولكن أليس تذاكر أُمور المسلمين وأحوال الأُمة من العبادة، ولعلّ شؤون الأُمة السياسية هي في القمة من هذه الأُمور.

لأن رسول الله(ص) قال: «من بات ولم يفكر بأُمور المسلمين فليس منهم» (١).

(١)من السيرة النبوية: ص٨٣.

الإسلام الذي يريدهُ الأمريكان وحلفاؤهم في الشرق الأوسط ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار، وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان، ولكنه فقط الاسلام الذي يقاوم الشيوعية!

إنهم لايريدون للإسلام أن يحكم، ولا يطيقون من الإسلام أن يحكم، لأن الاسلام حين يحكم سينشئ الشعوب نشأة أخرىٰ، وسيعلم الشعوب أن إعداد القوة فريضة، وأن طرد المستعمر فريضة، وأن الشيوعية كالاستعمار وباء، فكلاهما عدو، وكلاهما اعتداء!(١).

هذا «الإسلام الامريكي» لازال اليوم قائماً مع صورة جديدة مبتكرة. فالإسلام لازال معزولاً عن المجالات الاجتماعية والاقتصادية والمالية في معظم بقاع عالمنا الإسلامي. مع فارق هو أن ادّعاء التدين وادّعاء الإنتماء الى الإسلام ازداد في عصرنا الراهن بين كثير من حكّام العالم الإسلامي، خاصة بعد الصحوة الإسلامية الأخيرة التي هبّت رياحها من بلاد ايران الإسلام، لكن الإسلام الذي يتبجّح به بعض هؤلاء الحكّام لايصدّهم عن ارتكاب أية جريمة بحقّ الإسلام والمسلمين، بل يجدون في الإسلام بين أيديهم مبرّرات لكل هذه الجرائم، وفي ضوء هذه المبررات مدّوا يد الصداقة إلى العدوّ الإسرائيلي، وعقدوا معه المعاهدات السرّية والعلنية، ومهّدوا للاعتراف الرسمي بوجوده، واستناداً الى هذه المبررات الدينية الممسوخة تجمّعوا لضرب الثورة الإسلامية في ايران والقضاء علىٰ الصحوة الإسلامية في عالمنا الإسلامي.

ويندّد الامام الخميني بتلك المؤتمرات التي تعقد باسم معالجة قضايا المسلمين، لأنها لاتهتمّ إطلاقاً بما يعانيه المسلمون من المآسي، ولايتطرقون إلى قضايا الإسلام المصيرية: «هؤلاء الذين إجتمعوا في الطائف ـ مهد الإسلام ـ

---

(١) الأُستاذ سيّد قطب «دراسات إسلامية».

يعربون عن ولائهم للإسلام، ولكن ماذا قالوا؟ وماذا فعلوا؟ هل تطرّقوا إلى هؤلاء الأطفال الأبرياء الذين يُتّموا على يد الصهيونية؟ وهل ذكروا شيئاً عن جنوب لبنان؟ وهل تطرقوا الى البلدان الإسلامية التي تئن تحت وطأة القوىٰ العظمىٰ وحلفائها؟ ألم يرَ هؤلاء الذين يدّعون الإسلام كيف تداس كرامة جميع الدول الإسلامية بأقدام القوىٰ الكبرىٰ؟ ألا يعلمون ماذا يحدث الآن في جنوب لبنان وفلسطين والعراق وسائر البلدان الاسلامية؟ ومايعاني منه شعوب هذه البلدان؟ وكم طفل شُرّد ويُتّم؟!...»(١).

فوجود الإسلام الممسوخ في العالم الإسلامي يشلّ الطاقات البنّاءة في مجتمعنا ويصدّها عن الحركة نحو استعادة وجودها ويبعد الجماهير المسلمة عن قيادتها الواقعية ويجعلها خاضعة لقيادات زائفة منافقة متفرّقة، كما أنّه يفوّت فرصة وحدة الفكر والعواطف على الأُمة الإسلامية.

من هنا لايمكن أن تحقق أُمتنا الإسلامية وحدتها الحقيقية إلّا إذا عادت إلى إسلامها الواقعي ووقفت بوجه عملية مسخ الاسلام وتشويهه.

الحجّ وبيت الله العتيق:

يعرّف الحج لغة: القصد، وشرعاً: المناسك المعروفة وقت الحج. والبيت العتيق هو الكعبة أو المسجد الحرام، ووصفه بالحرام لأنه بيت أمان وسلام، وراحة واطمئنان، يجب تقديسه ويحرّم هتكه حتى الصيد يحرّم صيده هناك على المُحلّ والمحرم.

أمرالله نبيه إبراهيم عليه السلام ببناء بيته من حجر وطين وجعله خاصاً بعبادته وألزم المؤمنين بالتوجه والرحيل إليه من استطاع إليه سبيلاً، وفيه تتمّ

(١) من كلمة للامام الخميني أمام أطفال شهداء العراق ولبنان وفلسطين.

العبادة الخالصة له وحدة، هذه الأحجار التي لاتنفع ولا تضرّ جعلها الله رمزاً للوحدة والاجتماع وإشعاراً بالعبودية له وحده. فيه يأمن الجميع، فيلقى السلاح ويأمن المتخاصمون وتحقن الدماء، وحصانته هذه للجميع سواء المقيم فيه أو الطارئ عليه.

أمرالله سبحانه نبيه إبراهيم(ع) بجعله دار عبادة ودار توحيد، لاشرك فيه ولاكفر، ولاأصنام ولاأوثان مطهراً من الرجس والدنس.فلقد كان مشركوا قريش يمنعون الناس من الدخول الى دين الله- الإسلام- شريعته الغرّاء ونهجه الحياتي القويم، كانوا يمنعون المؤمنين من الحجّ والعمرة الى بيت الله، فحذّرهم الله سبحانه وتعالى من التمادي في غيّهم هذا، وهدّد بالعذاب من يميل وينحرف عما أمر إليه وأساء لمن قصد بيته، وهذاما جاء في قوله تعالى: «إنّ الذينَ كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد...»(١).

يقول الشهيد سيد قطب (٢): «والقرآن الكريم يهدّد من يريد اعوجاجاً في هذا النهج المستقيم بالعذاب الأليم: «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نُذقه من عذاب أليم».. فما بال من يريد ويفعل؟

إن التعبير يهدّد ويتوعّد على مجرد الإرادة زيادة في التحذير، ومبالغة في التوكيد، وذلك من دقائق التعبير. وقد بيّن سبحانه وتعالى لابراهيم (عليه السلام) مكان البيت وأمره بإقامة قواعده وبنائه ودعوة الناس إليه وهذا ماجاء بقوله تعالى: «واذبوّأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً..» الى آخر الآيات (٣).

فقد هيّأ مكان البيت له وأمر ببنائه وتوحيده فيه وتطهيره، وقد وعده بأن

---

(١) سورة الحج/آية ٢٥. (٢) سيد قطب «في ظلال القرآن». (٣) سورة الحج/ آية ٢٦ ومابعدها.

يستجيب الناس لدعوته يأتوه مشاةً وركباناً من كل صوب وحدب من أنحاء المعمورة في شوق وحنين.

روي مرفوعاً عن أنس بن مالك قال: «سمعت رسول الله(ص) يقول: إن الله تعالى يباهي بأهل عرفات الملائكة يقول: ياملائكتي انظروا عبادي شعثاً غبرا أقبلوا يضربون إليّ من كل فجّ عميق فأُشهدكم أني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم...»(١).

قد اُمِرَ النبيّان إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام بتطهير الكعبة عن كل قذارة ولوث وتزكيتها عن كل رجس ورجز. قال تعالى: «وعَهِدنا إلى إبراهيمَ واسماعيل أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والرّكع السجود» (٢)ومعه لامجال لقذارة الوثن، ولا للوث الوثني، ولا موقع لرجس الصنم، ولا لرجز الصنمي، إذْ العابد والمعبود كلاهما في النار: «انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنّم» (٣).

وهذا التطهير عهدٌ إلهيّ لاينال الظالمَ كما لايناله الظالمُ، إنما يناله الخليل والذبيح والكليم والمسيح والحبيب وسائر الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل صلواتُ المُصلّين.

وهذا البيت الطاهر بمافيه الحجر الأسود يمين الله «الذي كلتا يديه يمين»(٤) فلا تمسّها الأيدي الدّنِسة، وكما أن القرآن الكريم في كتاب مكنون لايمسّه إلّا المطهّرون، أي لايمسّ ظاهر القرآن وخطوطه المكتوبة إلّا المطهّرون من الحدث، كذلك الكعبة الطاهرة لايطوف حولها ولا يستقبلها في شؤونه العبادية

(١) العلاّمة الطبرسي «تفسير مجمع البيان».

(٢) سورة البقرة /آية ١٢٥.

(٣) سورة الأنبياء /آية ٩٨.

(٤) الفتوحات: ج ١ ص ٦٦٦.

إلّا الطاهرون؛ إذْ الطيّب للطيّب كما أن الخبيث للخبيث. وكما أن القرآن الكريم مرآة نقية يرى الناظرُ صورته الجميلة أو القبيحة فيها، ولذلك يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويضلّ به الفاسقين، كذلك الكعبة مرآة صافية يرى الناظر منظره الجميل أو القبيح فيها، يهدي بها الله من يشاء، ويضلّ بها من يشاء، وهم الذين نزل فيهم: «وما كان صلاتهم عند البيت إلّا مكاءً وتصدية» (١).

وهؤلاء لا يُوفّقون للطواف حولها والصلاة نحوها، وما إلى ذلك من الشؤون العبادية (٢).

الحجّ مؤتمر المسلمين الحقيقي:

ليس أحد يستطيع أن ينكر الفوائد المادية والأدبية التي تنجم من اجتماع العناصر المختلفة من أمة كبيرة كالأُمة الإسلامية في صعيد واحد. من يريد أن ينكر ذلك فلينظر حتى في كتب أعداء الإسلام وما كتبوه عن الحج من أنه مثار الوحدة الإسلامية والباعث إلى نفوس الآخذين بهذا الدين روح الانضمام والتآلف.

فالحجّ هو اجتماع الألوف المؤلّفة من المسلمين ـ المبعثرين في سائر أرجاء العالم المختلفين في الأجناس واللغات ـ في بقعة واحدة ملبّين بالروح والجسم معاً نداء ربّهم وهم من بساطة الملبس، والتساوي في الدرجات على صورة لا توازيها صورة في أيّ شرع من الشرائع ولا مدنية من المدنيات الأرضية. وهم بين حاكم ومحكوم، وأمير ومأمور، وغنيّ وفقير، أبيض وأسود، عربي وأعجمي، شرقي وغربي، شمالي وجنوبي، رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً. والكل شخوص بالأعين

---

(١) سورة الأنفال /آية ٣٥. (٢) أسرار الحج: ص ١٢.

والأفئدة إلى نقطة واحدة ليس في ضمائرهم إلّا موضوع واحد: تركوا الأهل والوطن، وهجروا المال والسكن، خاضوا غمرات البحار الزاخرة، واقتحموا الصحارى الغامرة، لعبت هوج الرياح بهم تارة على السفائن، ولفحتهم لوافح السموم طوراً في السباسب، خلعوا عاداتهم وتقاليدهم، وغيّروا لباسهم ومآكلهم.

كل ذلك يوحي إلى سرائرهم، وينقش في صميم روعهم، ويصوّر لهم في لباب فطرهم، حقيقة معنى «الله أكبر» وناهيك برجل يعتقد بأن الله أكبر من كل شيء، فمن يدين بهذه العقيدة لايرضخ للذلّ ولايستكين للعبودية ولايلين قياده في يد غاشم. من يعتقد أنّ الله أكبر لايخاف بطش العوادي ولا يرهب قرع الحوادث ولا ترتعد فرائصه من نازلة مهما عظمت.

من يعتقد أنّ الله أكبر لايستعظم الأقوياء ولايكبر الأعلياء ولايستخذي للكبراء.

نعم، من كان يعتقد أنّ الله أكبر على هذه الصورة كان مسلماً حقاً. ولو قلت: إن الذي سما بهم آبائنا الأولين، فرفعهم في بضع وعشرين إلى علّيين هو محض اعتقادهم أن الله أكبر، لما كنتُ مغالياً في المقال، ولا ذاهباً بالقارئ مذاهب الشعر والخيال.

ذكر الله سبحانه وتعالى.. بأن موسم الحجّ فيه منافع يشهدها الحجيج، والمنافع هذه ـ حسبما ذكرها المفسرون ـ منافع دنيوية وأُخروية، وهي كثيرة. ففي هذا المؤتمر العالمي تمتزج آمال الدنيا والآخرة، ويتعارف المسلمون على اختلاف ألوانهم ولغاتهم، يتشاورون ويضعون البرامج والخطط للأُمة الإسلامية.

إن امتزاج الآراء والأفكار، والتطابق والتفاهم والتعاون والتكافل سيخلق مجتمعاً وسيماً كما يقول العلاّمة الطباطبائي قدّس سره: «له من القوة والعدّة

مالاتقوم له الجبال الرواسي، ولا تقوى عليه أي قوة جبّارة طاحنة، ولاوسيلة الى حلّ مشكلات الحياة كالتعاضد، ولاسبيل الى التعاضد كالتفاهم، ولا تفاهم كتفاهم الدين» (١).

نعم هذا هو الحجّ الحقيقي: الطاعة والانقياد، الشعور بالمسؤولية والواجب، الإنضواء تحت لواء واحد، لا فوارق فيه ولا تمايز، لا أحساب ولا أنساب ألا وهو لواء الدين.

كثيراً هم الحجيج الذين يتوافدون على مكة المكرمة. يطوفون بالبيت، يقبّلون الحجر الأسود كما قبّله نبيّ الإسلام(ص)... لكن هل يكفي ذلك في أن يحصل الإنسان على صفة الحاج وثوابه؟ نحن نعتقد أن الحجّ مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتق المؤمن الذي يقف في البيت، ويسعى ويهرول، ويشخص بطرفه نحو السماء، يجب أن يعلم أنه يعاهدالله، وأن الله أوجب عليه تأدية ما أمره بأحسن وجه، ونبذ مانهاه، لذا أن شعوره يكون مسؤولاً أمام ربّ قدير في سلوكه وتصرفاته، في معاملاته وممارساته... هو الحكمة المتوخّاة من حجّه ومسعاه حيث سينطلق في تحرير نفسه وقومه ومجتمعه من الأغلال والقيود، من الرجس والدنس لكي يصفو ومجتمعه في كمال نحو الخير والصلاح، وإلّا لافائدة في حجّه.

روي عن النبي(ص) قوله: «يأتي زمان على الناس يخرج أغنياؤهم إلى بيت الله للسياحة، وفقراؤهم للتجارة، وعلماؤهم للسمعة، وقلّة منهم تخرج لوجه الله»(٢)وصدق رسول الله(ص).

لقد كان المسلمون الأولون يتخذون من الحج سبيلاً للتعارف والدراسات الدينية والسياسية والإجتماعية والإقتصادية، وكان هذا اقتداءً بالنبي(ص)

---

(١) العلاّمة الطباطبائي «تفسير الميزان». (٢) رواه مسلم في الصحيح.

وآله وأصحابه والأئمة الراشدين.

فالنبي (ص) ألقىٰ خطبة الوداع التي استعرض فيها خلاصة دقيقة للأحكام الإسلامية في عرفة، والأئمة عليهم السلام كانوا بأنفسهم يتولّون رئاسة موسم الحج، وكان الخلفاء يتّخذونه طريقاً لتعرّف أحوال المسلمين وأحوال الولاة، ويلتقون بجميع ولاة الأقاليم فيه، ويتبادلون معهم الرأي والشورىٰ في شؤون المسلمين، واتّخاذ التوصيات اللازمة لإدارة دفّة الحكم في الأقاليم عامة، وفي كل اقليم خاصة.

كتب الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي في هذا الصدد: «عرف الخلفاء قيمة هذا الموسم العالمي، فجعلوا منه ساحة لقاء بينهم وبين أبناء الشعب القادمين من كل فجّ عميق. وبين ولاتهم من الأقاليم، فمن كانت له من الناس مظلمة أو شكاية فليتقدم بها الى الخليفة ذاته بلا وساطة ولا حجاب، وهناك يواجه الشعب الوالي أمام الخليفة بلا تهيّب ولا تحفّظ، فيغاث الملهوف وينصف المظلوم ويردّ الحقّ الى أهله، ولو كان هذا الحقّ عند الوالي أو الخليفة» (١).

وعلماء الحديث كانوا ينتهزون فرصة الحج ليتبادلوا الرواية، والتقاء التلاميذ بشيوخهم، وأخذ الأقران بعضهم عن بعض، والفقهاء يتلاقون في موسم الحج، ويتذاكرون في مسائل الفقه، وكل فقيه يعرض على صاحبه كثيراً مما يسأل عنه في مدرسته، وماينتهي إليه، فيلتقي أبوحنيفة بمالك، ويلتقي ابوحنيفة بالأوزاعي ويتذاكرون ويلتقي أبوحنيفة بالإمام محمد الباقر وابنه جعفر الصادق عليهما السلام، ويلتقي الإمام أحمد بالإمام الشافعي (٢).

وهكذا كان الحج في الماضي سبيل التعارف الإسلامي، وإنه يجب علينا

---

(١) د. يوسف القرضاوي «العبادة في الإسلام».

(٢) عبدالكريم بي آزار الشيرازي «الوحدة الإسلامية» ص ١٣٢ الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م- بيروت.

أن نعود به إلى ما كان عليه السلف الصالح، فنجمع فيه بين العبادة والنسك وبين المصلحة العامة للمسلمين، وليتحقق قوله تعالى: «ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام» (١).

لقد عزل الوهابيون العبادة عن بقية الإسلام، حتى كأن الإسلام منحصر فيها دون بقية الأجزاء كالجهاد مثلاً. ومع أن أكثر الناس -إنْ لم نقل كلهم- يعلمون أن الإسلام ليس هو العبادات المخصوصة فحسب، فإنهم أهملوا الجوانب الأُخرى، وغضّوا النظر عنها وأنزلوا مرتبتها.

ودعا الوهابيون إلى الإعراض عمّا سوى هذه العبادات (الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج)، فالجهاد وإنكار المنكر وردّ الطغيان والإستعمار، ومقاومة الظلم والعمل في جميع ماينفع المسلمين من الأُمور العامة، كل ذلك في نظر الوهابيين فضول يشغل عن الله وعن عبادته واشتغال الإنسان بمالا يعنيه. وقد جهلوا أن هذا من صميم العبادة بل أكثره من الفروض العينية أو فروض الكفاية. وبينا كانت مقاييس الصلاح والتقوى في الإسلام شاملة لجميع الواجبات التي أوجبها الاسلام من عبادات خاصة وجهاد وعلم وعدل و عمل نافع للناس واستقامة في المعاملة وإحسان، كل ذلك مقروناً بتوحيد الله والإخلاص له، أصبحت مقاييس التقوى محصورة في العبادات بالمفهوم الوهابي الضيّق من صلاة وصوم وحجّ وعمرة.

وهكذا أعانت هذه الفكرة التي عزلت العبادة عن بقية أجزاء النظام الإسلامي الشامل على ضعف الوعي السياسي والإجتماعي بل الأخلاقي في أُمتنا الإسلامية.

فقراءة القرآن وتلاوته لفظاً أصبح بديلاً عن العمل بما فيه، من آيات الجهاد

---

(١) سورة الحج /آية ٢٨.

والنظر الى الكون والتفكير فيما خلق الله وإقامة العدل والميزان بالقسط والحكم بما أنزل الله واستثمار مافي الكون من نعم الله مع أن ذلك كله عبادة. ومثل هذا جعل العبادة نفسها بديلاً عن الأسباب لإنتاج النتائج، فبينما كان الرسول(ص) يستعدّ لقتال المشركين كل الإستعداد كما أمره الله تعالىٰ ويدعو الله ويبتهل إليه بنصره، نرى في يومنا هذا أن الوهابيين يجعلون الصلاة والدعاء المأثورمنه والمبتدع والمخترع، بديلاً عن الأسباب فيلتمسون الرزق والشفاء والنصر، لابأسبابها المشروعة التي جعلهاالله سبباً وطريقاً إليها، بل بأدعية خاصة يقتصرون على تلاوتها، وربما اخترعوا لذلك رقي وتمائم و(حجباً) وأوراداً ابتدعوها، مع أن طريق الإسلام في كتابه تعالىٰ وسنّة نبيه الكريم(ص) في هذا ظاهر واضح: فإن الإسلام نظام كامل يشتمل على أجزاء لكل منها نسبته وموقعه ودرجته، وقد أضاع الوهابيون في فهمهم للإسلام هذه النسبة فكبّروا وصغروا، ورفعوا وخفضوا، فبدت صورة الإسلام متغيّرة متبدّلة. وقدّروا قيم الناس كذلك بغير المقاييس الصحيحة.

الموقف السعودي من البراءة من المشركين:

عرف العالم، منذ الخليقة، مؤامرات كبيرة، ومؤامرات عديدة وكثيرة، وعرف مؤامرات على الأرواح ومؤامرات على الأموال ومؤامرات على الأعراض ومؤامرات على العروش ومؤامرات على البلاد ومؤامرات على المبادئ والعقائد وغير ذلك.

وعرف مؤامرات يشترك بها أفراد ومؤامرات يشترك بها جماعات ومؤامرات يشترك بها أقوام في نطاق محدود من الأرض، ولكنه لم يعرف حتى اليوم مؤامرة كالمؤامرة التي يواجهها الإسلام والمسلمون في يومنا هذا ولا سمع بمثلها أبداً لامن حيث تشعّبها وتغلغلها في كل الأوساط العالمية، ولا من حيث دوامها

واستمرارها وتصميمها، ولا من حيث كثرة المشتركين فيها ومؤيّديها، ولا من حيث بُعد أهدافها ومراميها، ولا من حيث اشتمالها وتعميمها على الإسلام والمسلمين جماعات وأفراداً وشعوباً وأقواماً.

ولولا أن بناء الإسلام بناء قويم ودعائمه متينة وأُسسه راسية فوق صخور لتضعضعت أركانه وتلاشى بنيانه من أثر الضربات التي نزلت به وتنزل كل يوم بلاهوادة ولارحمة، ولكنه بناء بناهْ الله أحسن الخالقين فأحكمه وأتقن صنعه ودعم أُسسه وثبّت أركانه، فاستطاع أن يصمد أمام كل المؤامرات السابقة وأن يتحمّل كل الضربات بشجاعة ورباطة جأش، لابل وأن يردّ كيد المتآمرين في نحورهم ويدفعهم إلى جحورهم خائبين خاسرين يعضّون على الأنامل من الخيبة والندم.

غير أن المؤامرة التي أعدّها أعداء الإسلام ومازالوا يعدّونها وينفّذون فصولها تختلف عما أعدّوه بالأمس كمّاً وكيفاً ونهجاً وتخطيطاً، فهي أشدّ هولاً وأبعد خطراً وأكثر شراسةً وأفظع ضراوةً وأعمق لدداً وأوسع من كل مؤامرة سبقتها أو ينتظر أن تليها، فهي مؤامرة يصحّ أن نسميها بـ «المؤامرة الكبرى الجامعة» لأنها في واقع الأمر مجموعة مؤامرات في مؤامرة واحدة وذلك لأن كل مؤامرة من مؤامرات الأمس كان يتولّى كبرها فريق من الناس أو قوم من الأقوام ضدّ فريق من المسلمين وتستهدف ناحية واحدة من نواحي الإسلام أو جماعة معينة من جماعاته في بلد معيّن، في الشرق أو في الغرب.

وأمّا مؤامرة اليوم فقد أعدّها العالم بأجمعه وهي تستهدف الإسلام والمسلمين أصلاً وفرعاً، ديناً وكياناً، تراثاً وتاريخاً، أينما وجدوا على سطح هذه الكرة الأرضية وتستهدفهم جماعات وأفراداً عقيدةً ومبدأً وداراً ووطناً ومتاعاً ومالاً ونظاماً، أو بمعنى آخر إنها تستهدف الإسلام مبدأً وعقيدةً ونظاماً اجتماعياً وتستهدف المسلمين كياناً وأرضاً وثقافةً وتراثاً أو بعبارة أفصح وأوضح تستهدف

محو الإسلام والمسلمين أو محو الإسلام بالقضاء على المسلمين. ولن يكون القضاء على المسلمين قضاءً جسدياً، لأن هذا غير مستطاع، بل قضاءً عقدياً بصرفهم عنه إلى الإلحاد أو إلى دين آخر.

ولم يسبق أن استهدفت أية مؤامرة من المؤامرات التي حدثت فوق سطح هذه الأرض كل هذه الأُمور مرة واحدة ولا سبق أن كانت أُمة من الأُمم هدفاً لمثل هذه المؤامرات المجتمعة في مؤامرة واحدة.

ومما يزيد في هذه المؤامرة خطورة كونها مؤامرة عالمية اشترك في تنظيمها وتدبيرها وتمويلها والإعداد لها والعمل في سبيلها وتوقيتها كل أعداء الإسلام في الشرق والغرب وكل الملحدين والضالّين واللّاأخلاقيين ووضعوا كل ثقلهم المادّي والمعنوي والعلمي والأدبي وجميع إمكاناتهم بأنواعها للقضاء على الإسلام والمسلمين.

وإن ماحدث مؤخراً في مكة المكرمة، والحرب العدوانية الظالمة على جمهورية إيران الإسلامية، وماحدث في فلسطين ولبنان، ومايجري في أفغانستان وباكستان والحبشة وقبرص وتشاد ونيجيريا وفي أندونيسيا وفي الفليبين وفي الهند وفي البلاد الشيوعية وفي دول الخليج كلها إنما هوجزء من هذا المخطّط العالمي للقضاء على المسلمين.

لم تعقم الأُمة الإسلامية- وهي الودود الولود- من إنجاب علماء عاملين، أو شخصيات إسلامية، جمعوا بين العلم الغزير والرجولة الحقة، بعد أُولئك الذين أُمتحنوا في دينهم، وعُذّبوا من أجل إسلامهم، الّذين أحبّوا الموت في سبيل الله، كما أحبّ غيرهم الحياة، من علماء السلف الصالح رضوان الله عليهم، بل لم يبخل الله سبحانه وتعالىٰ-وهو الجواد الكريم- على عباده المؤمنين، بأن جعل منهم صفوة طيبة، من أهل العلم والمعرفة في كل حين، تنذر وتبشر، وترشد وتعلّم، تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر، تمنع الظلم وتنصر المظلومين، وتبيّن

طريق الفلاح والنجاح، طريق الإسلام المستقيم، سالكةً درب أُولئك العلماء الرجال، في طريق حمل الدعوة الإسلامية، وتحكيم شرع الله في كل علاقات المجتمع، علاقات الدولة، وعلاقات الأفراد والجماعات، محاسبين الحكام، ناصحين الرعاة، واقفين بشجاعة بوجه الكافر المستعمر، وعملائه وأذنابه، من حكام الظلم والسوء، من الذين فرّطوا في جنب الإسلام، وساموا أُمته عذاب الهون.

إنه صوت الموسوي الخميني.. عَلويٌّ من أحفاد رسول الله، فقيه عالم متخصّص في العلوم الإسلامية ومتعمّق في مصادر الشريعة، وأُستاذ تخرّج على يديه الفقهاء والعلماء.. فهو إذاً صوت أصيل يصدر عن فهم عميق دقيق للكتاب والسنّة.

هذا الرجل استطاع أن يحوّل شعار «الله أكبر» الذي يرتفع يومياً من مآذن المسلمين الى حمم وصواعق هزّت عروش الطواغيت وقضّت على المستكبرين مضاجعَهم.. وحوّل تجمّعات المسلمين في الجمع والجماعات إلى مدارس للتوعية والتعبئة. وحوّل الأذكار والأدعية إلى عوامل تزيد للهمم والعزائم.. وعلّم شعبه أن يجمع بين قيام الليل والقتال في سبيل الله، وأن يمارس معركة ضدّ أهواء النفس وشهواتها ونزواتها! إضافة الى خوضه معركته المسلّحة ضدّ الطغاة والظالمين.

الحجّاج الإيرانيون الذين تغيّروا في ظلّ الحدث الإسلامي الكبير في إيران، وبدأوا يفهمون العبادات كما كان يفهمها المسلمون في صدر الإسلام، وأصبحوا يعيشون الإسلام في إطاره الشامل الكامل، ويأبون الخضوع الى الطواغيت والمنحرفين. هؤلاء الحجاج بدت على حجّهم مظاهر لم ترق للحكام السعوديين، هؤلاء ما أرادو إلّا أن يطبقوا تعاليم الامام الخميني التي هي من تعاليم الإسلام في الحج، فتحركوا للإتصال بحجاج البلدان الأُخرى للتعرف

عليهم وتبادل وجهات النظر معهم بشأن قضايا المسلمين ومشاكلهم وتحركوا في مسيرات تعلن البراءة من أعداء الإسلام بما فيهم إسرائيل وأمريكا وروسيا. ورفعوا أصواتهم بالتكبير وبدعوة المسلمين إلى الإتحاد وتحرير القدس.

وكل هذه المظاهر طبيعية لشعب مسلم متحرك ثارعلى كل أعداء الإسلام وحقق حتى الآن انتصارات عظيمة في حقل البناء والصمود والمقاومة.

لكن هذه المظاهر الحية الوثابة قوبلت من جانب الحكام السعوديين بقساوة ووحشية بالغتين، تعرّض المسلمون- الإيرانيون وغيرهم ممّن شاركهم في تحركهم- في بيت الله وفي حرم رسول الله إلى الضرب والشتم والاعتقال والنفي، بل وحتى إلى انتهاك الحرمات في بيوت الحجاج!!

لقد خصّص الوهّابيون رسالة محمدبن عبدالله(ص)، وهداية الذكر الحكيم بعصر خاص دون غيره. فالبراءة من المشركين حسب النظرية الوهابية كان في زمن النبوّة. أمّا الشيوعيون والأمريكيون والإسرائيليون فهم غير المشركين. وكل منصف يعتبر إجرام الشيوعين والأمريكيين والصهيونيين أشدّ ضرراً بالإسلام والمسلمين. فذلك ليس من الإسلام في شئ حسب المفهوم الوهابي، بل سَمّتْ التنديد بجرائم الإستعمار والبراءة من الملحدين بدعة بل شركاً وكفراً. ويجب التصدي بالسلاح له والقضاء عليه كما حدث للحجاج الإيرانيين وغيرهم في مكة المكرمة في يوم الجمعة ٦/ذي الحجة الحرام/١٤٠٧هـ، والذين استشهدوا برصاص الغدر السعودي- الوهابي.

إن تلك الدعوى الوهابية الخبيثة التي تتجه اتجاهاً مباشراً إلى تجريد المسلمين من القوة، وخلق عقدة نفسية بينهم وبينها، فذلك هوالغرض الذي تحاول تلك الدعوى الوهابية أن تحققه في المجتمع الإسلامي، ليتعرى من القوة وأسبابها، وليظل أعزل من كل سلاح، على حين يعمل أعداء الإسلام والمسلمين جاهدين على الإعداد للقوة، والأخذ بكل أسبابها.

فالبراءة من المشركين أمر لابدّ منه ثم نسأل دعاة الوهابية ما الإسلام؟ أهو مجرد مبادئ وأحكام ملقاة في العراء، لايلتفت إليها أحد، ولايتأثر بها إنسان، أم هومبادئ وأحكام، يؤمن بها الناس، ويعيشون في ظلّها، ويعملون بموجبها؟

فهذه سورة «براءة» تعبّر عن أدقّ موقف سياسي ضدّ المشركين دون شك كماجاء في الذكر الحكيم: «براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غيرُ معجزي الله وأنّ الله مُخزي الكافرين، وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحجّ الأكبر أنّ الله بريءٌ من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خيرلكم وإنْ توليتم فاعلموا أنكم غيرُ مُعجزي الله وبشّرالذين كفروا بعذاب أليم» (١).

فالبراءة الواردة في هاتين الآيتين هي نداء ربّاني يعمّ البراءةمن كل المشركين في العالم وفي كل زمان لاكما فسّرها الوهابيون بأنها تصف مشركي قريش، لتبرأ ساحة الصهيونية والإمبريالية والإلحادية من الشرك .

فقد أمر رسول الله(ص) الامام علياً(ع) أن يقرأ سورة براءة على المسلمين في موسم الحج، وتعني هذه الآية البراءة من المشركين (٢).

وهناك حوادث تؤكد على جواز البراءة في الحج من الظالمين فضلاً عن المشركين. ويحدّثنا التاريخ أن الخليفة الثاني عمر أتاح لشابّ قبطي نصراني أن يضرب بالسوط ابن عمروبن العاص لأنه تجنّى على الشاب القبطي وضربه بالسوط إذ تقدمه يوماً بفرسه ثـم يأمر الخليفة القبطي أن يضرب ابن عمرو!..

---

(١) سورة التوبة /آية ١-٣ ومابعدها.

(٢) راجع صحيح الترمذي: ج٢ ص١٨٣، ومسند أحمد: ج٣ ص٢٨٣، والنسائي في خصائصه: ص٢٠، والسيوطي في «الدرالمنثور» ج٣ ص٢٠٩، والطبري في تفسيره: ج١٠ ص٤٦ ومستدرك الحاكم: ج٣ ص٥١، وكنزالعمال: ج١ ص٢٤٦، والدار قطني في «الافراد»، والمحبّ الطبري في «ذخائر العقبى» ص٦٩، ومجمع الهيثمي: ج٩ ص١١٩ وغير ذلك من مؤلّفات أهل السنة.

ثم يلتفت إلى واليه عمروبن العاص ويوبّخه أمام الجميع: «يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امّهاتهم أحراراً؟!»(١).

كما احتجّ سبط النبي (ص) الإمام الحسين بن علي عليهما السلام على حاكم من حكّام زمانه في منى وقت الحج فقال: «أمّا بعد، فإن هذا الطاغية قد صنع بنا ماقد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإني أُريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي واكتموا قولي ثم أرجعوا الى أمصاركم وقبائلكم من أمنتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون فإني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متمّ نوره ولوكره الكافرون» (٢).

كما روى المؤرخون أن هشام بن عبدالملك ـ وهو أحد أقطاب البيت الأُموي حضر أحد مواسم الحج، وقد حاول أن يستلم الحجر أداءً للمناسك، فأمر مرافقيه وحاشيته من أهل الشام أن يحضروا له منبراً يجلس عليه حتى تحين فرصة يقلّ فيها تدفّق الحجيج، فيؤدي مناسكه، وبينما كان جالساً وحشمه وخدمه محيطون به إذْ أقبل الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين(ع) يسير على سكينة ووقار والهيبة تحفّ به والجلال يؤطّر كيانه الطاهر، فطاف حول البيت، حتى إذا بلغ الحجر أفرج له الناس إجلالاً واحتفاءً به فاستلم الحجر وأدّى ما عليه من مناسك، ممّا أذهل الشاميّين وأثار دهشتهم، فألحوا في السؤال على سيّدهم الأُموي: من هذا الذي أفرج له الناس إجلالاً؟ فأبدى هشام عدم معرفته له، حنقاً منه وحسداً، وحينها كان «الفرزدق» الشاعر الجريءحاضراً، فأجاب: لكني أعرفه، فطلب الشاميّون تعريفهم بالإمام(ع)، فأنشد الفرزدق على الفور، قصيدة تعريفية بالسجاد(ع) جاء فيها:

---

(١) ابن كثير «البداية والنهاية» ج٧ ص٦٠.

(٢) الطبرسي «الاحتجاج» ص١٩.

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأته | والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرم
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلّهم | هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
إذا رأتْهُ قريشُ قال قائلها | إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
هذا ابنُ فاطمة إنْ كنتَ جاهلَهُ | بجدّه أنبياءُ الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره | العرب تعرف من أنكرت والعجمُ(١)

وليس غرضنا القصيدة ولا الحادثة، ولا الموقف العدائي، ولكن المهم أن نعرف جواز هذا العمل وشرعيته، فلم يحدّثنا التاريخ أنه أنكر المسلمون هذا العمل وعدم شرعيته.

إن هشام بن عبدالملك قدم حاجّاً الى مكة فلما دخلها، قال: ائتوني برجل من الصحابة، فقيل له: قد تفانوا، فقال: من التابعين. فأُتي بطاووس اليماني- العالم الجليل رحمه الله- فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلّم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال: السلام عليك يا هشام، ولم يكنّه، وجلس بإزائه وقال: كيف أنت يا هشام، فغضب هشام غضباً شديداً ،حتى همّ بقتله، فقيل له أنت في حرم الله وحرم رسوله، ولا يمكن ذلك.

فقال: يا طاووس ما الذي حملك على ماصنعت؟ قال: وما الذي صنعت؟ فازداد غضباً وغيظاً. قال هشام: خلعت نعليك بحاشية بساطي، ولم تقبّل يدي، ولم تسلّم بإمرة المؤمنين ولم تكنّني، وجلست بإزائي بغير إذني، وقلت: كيف أنت يا هشام؟

فقال: أمّا ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك فاني أخلعها بين يدي

(١) راجع الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢١ ص ٣٧٦، ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج ٤ ص ١٦٩، والبحار للعلاّمة المجلسي ج ٤٦ ص ١٢١، والإمام زين العابدين للسيد عبدالرزاق المقرّم ص ٣٩٥، والبيان والتبيين للجاحظ، والعقد الفريد لابن عبدربّه الأندلسي، ومطالب السؤول للكنجي الشافعي، وتذكرة الخواص لابن الجوزي، ونور الأبصار للشلبنجي.

ربّ العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب عليّ، وأمّا قولك لم تقبّل يدي، فإني سمعت أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يقول: لايحلّ لرجل أن يقبّل يد أحد إلّا إمرأته من شهوة أو ولده من رحمة، وأمّا قولك لم تسلّم بإمرة المؤمنين، فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب، وأمّا قولك لم تكنّني فإن الله سمّى أنبياءه وأولياءه فقال: ياداود، يا يحيىٰ، يا عيسىٰ، وكنّىٰ أعداءه فقال: تبّت يداأبي لهب، وأما قولك جلست بإزائي، فإني سمعت أميرالمؤمنين علياً (ع) يقول: إذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام.

فقال هشام: عظني، قال: سمعت من أميرالمؤمنين علي (ع) يقول: إن في جهنم حيّات كالقلال(١) وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لايعدل في رعيته. ثم قام وانصرف(٢).

وحين قدم سليمان بن عبدالملك مكّة وهو يريد الحج أرسل إلى عالم المدينة أبي حازم فلما دخل عليه قال له سليمان: يا أباحازم، مالنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم خرّبتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب، فقال سليمان: يا أبا حازم، كيف القدوم على الله؟ قال: أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأمّا المسيء فكالآبق يقدم على مولاه. فبكىٰ سليمان، وقال: ليت شعري مالي عندالله؟

فقال أبوحازم: أعرض نفسك على كتاب الله تعالىٰ، حيث قال: «إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجّار لفي جحيم». قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريباً من المحسنين، قال: يا أبا حازم، أيّ عبادالله اكرم؟ فقال: أهل البرّ والتقوىٰ، قال: فأيّ الأعمال أفضل؟ فقال: أداء الفرائض مع اجتناب

(١) القلال: رؤوس الجبال.

(٢) الغزالي «احياء علوم الدين» ج ٥ الباب السادس ص ١٢٠.

المحارم، قال: أيّ الكلام أسمع؟ فقال: قول الحق عند من تخاف وترجو. قال: فأي المؤمنين أخسر؟ فقال: رجل خطا في هوىٰ أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره، قال سليمان: ماتقول فيما نحن فيه؟ فقال: أو تعفيني؟ قال: لابدّ فإنها نصيحة تلقيها إليّ. فقال: إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم، حتىٰ قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا، فلوشعرت بما قالوا وما قيل لهم. ثم قال أبوحازم: إنَّ الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيّنته للناس ولا يكتمونه(١).

أسمعت يا أخي مقالة العالمين الجليلين طاووس اليماني وأبي حازم لحاكمين هشام وسليمان، بأيديهما كل أسباب القوة، وهل علمت نتيجة صدق الجواب، وخشونة الكلام وقسوة اللفظ عند من يخشىٰ الله تعالىٰ ولوساعة من نهار.

فإذا كان الحج موسماً لكشف التظلّم من ولاة المسلمين بدون تحفّظ ولاتهيّب وجائز شرعاً، فهل فضح جرائم وجنايات الاستعمار والصهيونية لايجوز!!؟

إن الشعور بوحدة الأُمة يصبح سيّد الموقف خلال أشهر معلومات هي فترة الحج التي حظيت بشرح مفصّل في القرآن الكريم. وهذا الشعور يتجّلىٰ في الأفكار التي تتولّد لدىٰ الإنسان وهو يمارس تأدية شعائر الحج ويتسابق مع الآخرين في الوصول الى الغاية وتحقيق الهدف.

فالحاجّ الأفغاني يحاول قدرجهده أن يضع تحت عيون الحجاج الآخرين قصة التدخل الروسي في بلاده المسلمة ومسخ شخصيتها الإسلامية. والحاجّ الأندونيسي يشرح كيف تعصف الإلحادية القيم الروحية في بلاده. والحاجّ

---

(١) الغزالي «الاحياء» ج ٥ ص ١٢١.

الفلسطيني يشرح كيف ان الصهيونية تعمل وتكيد وتتوسل بأبشع الوسائل وأخبثها حتى قام لها وطن قوي في قلب العالم الإسلامي. والحاجّ الخليجي يوضّح لإخوانه المسلمين كيف أن حكام الخليج العملاء لم يناموا عن أداء ماوكله إليهم الإستعمار وسادتهم من الحاقدين.. وهكذا الحاجّ العراقي والمصري. وكذا التركي الذي يرى في تركيا تتجسم المأساة، فينزوي الدين ـ بحكم سيوف المنحرفين في ركن مظلم ضيّق، وتفتح أبواب الإلحاد والارتماء في أحضان أوربا، والإنسلاخ عن العالم الإسلامي، ووضع خطة للقضاء على لغة القرآن وآدابها وتراثها، وقيام حضارة طورانية يغذّيها بعض العلماء الأوربّيين بسمومهم الشديدة الاثر..

وفي أفريقيا تتجلّى مأساة التفرقة العنصرية، ومشكلة اللون فينظر الأبيض الى صاحب الوجه الأسود وكانه كائن آخر غير الكائنات البشرية.

وفي الهند حاول الاستعمار جاهداً أن يبذر بذور الفتنة بين عنصري الأمة المسلمين والهندوس، فارتكبت المذابح، وجرت الدماء أنهاراً و.. و..

إنه لمضحك ـ وشرّ البلية مايضحك ـ أن كل صوت يعلو للمطالبة باستثمار موسم الحج ومنافعه من أجل (قيام) الناس، أي من أجل توحيد صفوف الأُمة وتعبئة طاقاتها واستعادة كيانها ومواجهة أعدائها فهو خروج عن السنّة في عرف المسيطرين على الحرمين وانتهاك لسيادتهم على الكعبة والحرم النبويّ الشريف.. وكأن سنّة رسول الله (ص) جرت على إبقاء المسلمين في جهل وتفرق وتمزق وتبعية لطواغيت الأرض، وخضوع للجبابرة المتحكمين!!

إننا لنقولها بصراحة: إننا نخشى أن يأتي يوم ـ وخاصة إذا كانت مثل هذه الطروحات واردة بفصل الدين عن الدولة، واعتبار الدعوة لبثّ الوعي السياسي كفراً والرفض للظلم والظالمين بدعة ـ يرى فيه المسلم وهو يطوف حول البيت الحرام أخاً له مسلماً بريئاً ينحر في الشارع كالإبل، فيصفّق للقاتلين، أو

يكتفي بترديد «لاحول ولاقوة إلّا بالله». فلنتضرع إلى الله أن لايرينا مثل هذا اليوم الذي يريده هؤلاء الجهلة، والله يخاطب إصرارهم على الإفك، وجهلهم الفاضح: «ولقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ والإنس لهم قلوبٌ لايفقهون بها ولهم أعينٌ لايُبصرون بها ولهم اذانٌ لايَسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون»(١).

وللخميني إيمان راسخ بعدم انفصال الدين عن السياسة، بل أكثر من ذلك يرى أن السياسة جزء من الدين، وأن الدين لايكون كاملاً مالم يمارس دوره على الصعيد السياسي. واجتماعات المسلمين العبادية تنطوي في ذاتها على عطاء سياسي، ولايمكن فصل هذا العطاء السياسي عن العبادات، وإلّا فقدت العبادات روحها الحركية ومحتواها التكاملي الاجتماعي. يقول في محاضراته: «الاسلام دينٌ عبادته سياسة، وسياسته عبادة. والآن إذ يجتمع المسلمون من شتى بقاع الأرض حول كعبة الآمال لحجّ بيت الله، وللقيام بالفرائض الإلهية وعقد هذا المؤتمر الإسلامي الكبير، في هذه الأيام المباركة، وفي هذه البقعة المباركة.. يتوجّب على المسلمين الذين يحملون رسالة الله تعالى أن يستوعبوا المحتوى السياسي والإجتماعي للحج، إضافة إلى محتواه العبادي»(٢).

إن الشعارات التي رفعها الحجاج الايرانيون في مكة المكرمة هي «الموت لأمريكا» و«الموت لروسيا» و«الموت لإسرائيل» و«يا أيّها المسلمون اتّحدوا» كما أنّهم حرقوا العَلم الأمريكي على سطح مبنى رسمي لإدارة البرق والبريد والهاتف، وشدّد المتظاهرون وعددهم حوالي مائتي ألف بلافتاتهم وهتافاتهم وشعاراتهم على ضرورة تحقيق الوحدة الإسلامية وتمتينها

---

(١) سورة الأعراف/آية ١٧٩.

(٢) من نداء للامام الخميني عام ١٣٩٩ هـ.

وعدم الاستكانة لأعداء الله أو الخضوع للشرق أو الغرب.

ونظراً لانضمام آلاف من الحجاج الآخرين إليها من الهند وباكستان والعراق ولبنان وأفغانستان وعدّة دول خليجية وأفريقية وأوربية، فقد كان هناك العديدمن اللافتات والشعارات بلغات غير عربية.

انطلق المتظاهرون باتجاه المسجد الحرام يتقدمهم مجسّم كبير للمسجد الأقصى وعشرات من معوّقي الحرب العراقية-الايرانية على درّاجاتهم الطبية ومئات من علماء الدين من مختلف الجنسيات.

السلطات السعودية وزّعت عند الظهر من يوم الجمعة ٦/ ذي الحجّة ١٤٠٧هـ الآلاف من جنود الجيش والشرطة لقوات الطوارئ والحرس الوطني على الشوارع المؤدّية للحرم، بأسلحتم وآليّاتهم وشاحناتهم ومنهم من تجمع في مبانٍ رسمية أولبس لباساً مدنياً للتمويه.

وما أن وصلت التظاهرة الى جسر الحجون القريب من الحرم حتى انهالت على مقدمتها الأحجار الكبيرة وقطع الأخشاب والحديد والأوعية المليئة بالرمال التي تستعمل لإطفاء الحرائق من عناصر مدنيّة سعودية تبيّن فيما بعدأنهم من رجال المخابرات كل ذلك رمي عليهم من فوق الجسر، ثم هاجمتها صفوف من قوات مكافحة الشغب بالهراوات الكبيرة،ولما عجزت هذه القوات عن دفعها الى الخلف ومنعها من إكمال مسيرتها السلمية نحو الحرم المكي وجهت صهاريج الشرطة مدافعها المائية الى المتظاهرين وأطلقت عشرات القذائف المسيلة للدموع في محاولة فاشلة لوقف الضغط على حواجز قوى الأمن المختلفة واستغلّ الجنود الفرصة وراحوا يطلقون الرصاص الحقيقي على المتظاهرين.

وتحول شارع مسجدالحرام العريض إلى ساحة حرب حقيقية... كرّ وفر... إقبال وإدبار...عندها اخترق الآلاف من الجنود المتظاهرين وقسّموهم الى عدة أقسام وحاصروهم من شتى الاتجاهات، وبدأت المجزرة

بإطلاق الرصاص المطاطي (قاتل عن قرب) والرصاص الحقيقي عن المسدسات والرشاشات وضرب المتظاهرين بالهراوات الغليظة الطويلة على رؤوسهم (عشرات الجرحى سيموتون كما قال الأطباء بسبب التلف الحاصل في الجماجم). القوات السعودية أوقعت خلال هجماتها المتكررة الآلاف أرضاً سيّما النساء وكبار السن، والقنابل المسيلة للدموع والمدافع المائية شملت المتظاهرين الذين سدت في وجوههم كل الشوارع الفرعية ممّا زاد في أعداد الضحايا. وماحصل بعد ذلك أشبه بالهستريا. المتظاهرون لايستطيعون هروباً، بعضهم دخل الأبنية المجاورة ومنها مباني للحجاج الفلسطينيين والاردنيين والأتراك والخليجيين الذين ساعدوهم وحموهم وبعض آخر تمكن من الإفلات وتاه في شوارع بعيدة قبل أن يعود في اليوم التالي.. أو لا يعود.

أمّا الغالبية العظمى من المتظاهرين وخاصة النساء والعجزة وكل المعوّقين لقد جمدت في أمكنتها تتلقى الرصاص والقنابل والهراوات والمياه.

... وفي الساعة العاشرة مساءً قطع الكهرباء عن الشارع وقوافل التائهين عادت للتجمع في حالة مزرية، هذا يسأل عن أُمه وذلك عن أبيه وذاك عن زوجته ورابع عن جاره وخامس عن رفاق رحلته. عطش وإنهاك ووجوه يعلوها مزيج من الغبار والوحل والدخان الأسود. عيون دامعة محمرّة وأجساد تتحرك متألّمة متأوّهة.

شوهد حجاج من مختلف الجنسيات يساعدون الجرحى وينقلوهم إلى سيارات الاسعاف الايرانية. طائرات الهليكوبتر السعودية العسكرية تحلّق باستمرار فوق المسيرة منذ بدء تجمّع الحجاج عصراً.

العديد من النساء الجرحى مزّقت ملابسهن الساترة وبانت أجسادهن، وعندما توسّل أحد الحجاج الجرحى للجنود كي يساعدوه على سترجسد إحداهن كان جوابهم قهقهات وضحكات عالية وسخرية ونكات بذيئة.

منظر عودة الدرّاجات الطبّيـة لمعوّقي الحرب خارجة من ساحة المعركة قبل منتصف الليل منظر مؤثر أثار بكاء الحجاج الذين تابعوا تفاصيل المجزرة.

الحجاج الأفغانيون الذين اشتركوا في التظاهرة نالوا القسم الوافر من رصاص وهراوات وقذائف وقنابل القوات السعودية رغم تأكيدهم على هويتهم الأفغانية، وكان الجنود يهاجمونهم بقسوة بحجّة أنهم مؤيدون للإمام الخميني.

قبل ليلة واحدة من المجزرة المخطّطة بدقة أي ليلة الجمعة حاول مئات من قوات الطوارئ السعودية اقتحام مقر البعثة الإيرانية ففشلوا واعتقلوا بعد ذلك خمسة عشر شخصاً ولم يطلقوا سراحهم إلّا بعد منتصف الليل وبعدما تجمّع الحجاج بالآلاف أمام المقر وراحو يردّدون الشعارات والهتافات.

عديدون من الحجاج الذين كانوا في مقدمة التظاهرة أكّدوا بقوة أن الرصاص الحقيقي القاتل من المسدسات والرشاشات كان أول سلاح استعملته القوات السعودية وقبل الغاز المسيل للدموع والهراوات.

أحد العلماء نزع عمامته عند حاجز الجيش السعودي الذي رفض السماح للمسيرة بالتقدم واقترب من الضابط للتأكيد على سلميتها فعاجله الضابط برصاصة في قلبه.

هدّد حجة الإسلام الشيخ الكروبي المشرف على الحجاج الايرانيين في كلمة ألقاها في المسيرة بتهشيم أسنان أمريكا داخل فمها بعون الله، وأنذر الأمريكان بأن الخليج سيصبح مقبرتهم إذا دخلوه وأطلقوا رصاصة واحدة. كما هاجم الذين أفسحوا المجال لتدخّل القوىٰ الكبرىٰ وقال: إنّهم حفروا قبورهم بأيديهم. ثم أضاف: يا للذلّ كيف يسمحون للعلم الأمريكي أن يرفع على ناقلات المسلمين.. وتساءل: أين قوله تعالى: «لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء»(١)

---

(١) مجلّة «العالم» العدد ١٨٢ السبت ٨ آب اغسطس ١٩٨٧م- ١٣ ذي الحجة/١٤٠٧هـ. من مراسلها ←

وقد وصف مراسل مجلّة «العالم» من مكة المكرمة الموقف في مجزرة مكة بأنه (واقع دام). إن محنة الحجاج المسلمين تحت السيطرة السعودية ـ الوهابية قد وصفها كل مسلمي العالم فبالإضافة الى المصاعب والشدائد التي لاقوها رأوا إلى جانب ذلك كيف تستباح حرماتهم وتغتصب نساؤهم ويقتل أبناؤهم، ولم يسمح لهم باستلام جثثهم. لقد انتشرت أعمال السلب والنهب وأصبحت قصص اختطاف الحلي والجوهرات من آذان النساء مألوفة.. وأصيب كثير من النساء بحالات من الهستريا وهنّ يشاهدن أبناء هنّ وأخوانهن وأزواجهن يقتلون أمام أعينهن.

فهذه المجزرة التي حدثت في مكة المكرمة علينا أن نتوقف قليلاً لنرصد أبعاد هذه الجريمة التي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً. بالنسبة لما للبيت الحرام من خصوصية الأمن الإلهي، ولما لضيوف الرحمن من كرامة ومكانة، ولما للشهر الحرام من قداسة في نفوس المسلمين.

فهذه المجزرة التي ارتكبتها أمريكا على أيدي آل سعود، فضلاً عن أنها هتك سافر للمقدّسات الدينية واعتداء مجرم على الحجاج الآمنين في أقدس بيوت الله، فإنها محطة من محطات العدوان الاستكباري المتواصل ضدّ أُمة الإسلام والقرآن التي تنهض من جديد بقيادة الإمام الخميني حفظه الله.

ولنحاكم الحدث محاكمة قانونية بعد أن عرفنا شرعيّته من خلال محاكمتنا له دينياً.

١ـ يقوم الايرانيون كل سنة بهذا العمل.

٢ـ السلطة السعودية أعطت ممثل الإمام الإجازة بالتظاهرة لإعلان البراءة من المشركين. فالتظاهرة شرعية وقانونية حتى وفقاً للقانون السعودي.

الخاص في مكّة المكرّمة. ص ١٢ و١٣ مقال بعنوان «هذا ماحدث في مكّة المكرمة».

أمّا المؤامرة التي دبّرت من جانب النظام السعودي تعود للأسباب التالية:

١ـ ضرب الفرقاطة الأمريكية.

٢ـ تفجير لغم بناقلة النفط الكويتية العملاقة المحروسة بالعلم الأمريكي والقِطع الأمريكية.

٣ـ كل ذلك وقع قبل أحداث مكة، وكان من المتوقع أن تردّ أمريكا على إيران في الخليج، لكنها ردّت عليها في موسم الحج.

٤ـ قالت وزارة الداخلية الألمانية الإتحادية: إنّ المملكة السعودية قد عيّنت جنرالاً ألمانياً غربياً كقائد لقوات الأمن الخاصة خلال فترة الحج، ويتفق علماء كافة المذاهب الإسلامية على أنه لايجوز لغيرالمسلمين دخول مكة سواء في أيام الحج أو في سائر الأيام (١).

٥ـ قالت إدارة الرئيس الأمريكي «رونالد ريغان»: إن السلطات السعودية أثبتت من خلال علاجها للأحداث التي جرت للحجاج الإيرانيين في مكة المكرمة يوم الجمعة الماضي أنها قادرة على إدارة شؤونها الداخلية بشكل كامل» (٢).

٦ـ وقال الناطق بلسان وزارة الخارجية الأمريكية «تشارلز ريدمان» رداً على سؤال: «وأنا متأكد من أن السلطات السعودية ستستمر في إدارة شؤونها الداخلية بكفاءة» (٣).

٧ـ كان التفاف السلطات السعودية حول المظاهرة هو محاصرتها لا تفريقها، ممّا يدلّ على سبق الإصرار على الجريمة.

٨ـ لوحظ أن البيان الرسمي السعودي حاول الإيحاء إلى أن الحجاج الايرانيين اصطدموا مع بقية الحجاج خلال التظاهرة فاضطرّت سلطات الأمن للتدخل.

---

(١) و(٢)و(٣) مجلّة «العالم» العدد ١٨٢ في ١٣ ذي الحجة ١٤٠٧هـ.

وقد أثار هذا المنطق استياءً عارماً عند آلاف الحجاج الذين شهدوا الواقعة.

هذه فرية واحدة توارد عليها الوهابيون، ونسجوا من خيوطها الوهابية مقولات من الكذب والضلال، يلقون بها في ساحة الإسلام، كلما بدا لهم أن يتحكموا بالإسلام، ويصرفوا الوجوه عن شمسه الساطعة.. فمجال الافتراء متّسع لكل مفترٍ، الأمر الذي لايمكن أن يقف عند حدّ، حيث يتوالد ويتكاثر حالاً بعد حال، كما تتوالد الجراثيم في البرك والمستنقعات! فمتى ضمّ الحجاج الإيرانيون الى حجّهم هذا العدد الكبير من السلاح؟!

ألا «كبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذباً»(١).

وليست هذه المرة الأولى التي لجأ النظام السعودي بالتوسل بالدعم الغربي الكافر، فعندما قام «جهيمان العتيبي» وصحبه من «حركة الاخوان» بالسيطرة على الحرم المكي الشريف والاعتصام بداخله سلمياً مع نسائهم وأطفالهم لإعلان رفضهم للحكم السعودي القائم على غير هدى من الشرع، ولاستنكار الفساد الأخلاقي والإجتماعي المنتشر بين آل سعود. فكانت أن أرسلت فرنسا قوة خاصة على رأسها الكابتن «بول باريل» وقد قام وجنوده في فرقة الدرك الفرنسي الخاصة بالتدخل السريع باقتحام الحرم للقضاء على المسلمين (٢).

لقد دنّس «باريل» ورفاقه الفرنسيين والألمان الحرم المكّي الشريف، واعتدوا على المسلمين، وكل ذلك بأمر من «خائن الحرمين» فهد وزبانيته.

والغريب أن بعض المسلمين يؤيد السعوديين في تكفير من يتوسل بالأنبياء والأئمة والأولياء والصالحين، ومن يتكلم عن الشفاعة، في حين أن ملوك

(١) سورة الكهف/آية ٥.

(٢) مجلة «الوحدة الإسلامية» العدد ٦٢ السنة الرابعة ٢ صفر ١٤٠٨ هـ ـ ٢٥ أيلول ١٩٨٧م ص ١٠ «الكابتن بول باريل قائد عمليات اقتحام الحرم الشريف».

الحجاز الطغاة توسلوا بالكابتن باريل، ومؤخراً شفاعة ريغان والأساطيل، لمواجهة الإسلام والمسلمين. فأيّة شفاعة وأيّ توسل هو الأصح والأسلم والأقرب الى مرضاة الله وإلى تدعيم ركائز هذا الدين؟

إنه لمضحك ـ وشر البلية مايضحك ـ أن يكون الوقوف عند رسول الله (ص) والتضرع الى الله عند بقعة رسوله المباركة شركاً، ولكن التضرع الى رؤساء الولايات المتحدة الأميريكية عند عتبة القصر الأبيض ليس بشرك بل أعلى درجات الإيمان والإسلام، وإن استثمار لحوم منى لإشباع جياع المسلمين مخالف للسنّة بينما عملية دفن اللحوم وحرقها وإتلافها لايعارض السنّة، وإن البراءة من المشركين بدعة وشرك وكفر، ونشر الكتب التي تفرق صفوف المسلمين وكيل السباب والشتائم والتهم لهذا المذهب الإسلامي وذاك من أعظم دعائم الإسلام، تعالت سنّة رسول الله (ص) عن هذا المسخ علوّاً كبيراً.

لم أقصد ببحثي هذا أن أُحاجّ به الضالّين، من الوهابيين والسعوديين، الذين يكيدون للإسلام ويتربصون به الدوائر. فهؤلاء وهؤلاء لن يرضوا عن الإسلام أبداً، ولن يصرفهم عن العدوان عليه والكيد له حقّ ناطق أو حجة دامغة.. وإنما الذي قصدت إليه هو تنبيه الغافلين أو المتغافلين من أبناء الأُمة الإسلامية، الذين وقعوا فريسة للوهابية الملحدة، فَخدرتْ عقولهم بشرابها المسموم، وزاغت أبصارهم ببريقها الزائف. فرأوا التيه هدى، والباطل حقّاً، والنارجتّة وارفة الظلال طيبة الثمار، والسراب ماء، والوهم حقيقة، والخيال واقعاً.

وإن في هذا لعبرة لأُولي الأبصار، وحجة يُحاجّ بها الإسلام أهله، وينذر بها من عذاب أليم، وبلاء عظيم في الدنيا والآخرة جميعاً، لمن رأى العبرة ولم يعتبر، ودعاه داعي الحق ولم يجب إن الفرصة لسانحة وإن الوقت لمسعف، ليراجع المسلم حسابه مع كتاب الله، وليقم وجهه على الدين الحنيف، ويثبت قدمه على الصراط المستقيم..

الوحدة الإسلامية في المنظار السعودي

هل من شك في أن الله سبحانه وتعالى يريد من المسلمين، وإن اختلفت ديارهم وتباينت أوطانهم، أن يكونوا أخوة متوادّين متحابّين متعاونين متناصرين؟

ليس في ذلك شك، ويشهد له قوله تعالى: «محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم»(١)، وقوله(ص): «لايؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه مايحبّ لنفسه»(٢). وقد صوّر النبي(ص) المؤمنين في توادّهم وتراحمهم «بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (٣).

وهل من شك من أن أعظم نعمة امتنّ الله بها على المسلمين هي الإلفة بعد الفرقة، والمحبة بعد العداوة، كما قال تعالى: «واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً»(٤)، وكما قال سبحانه: «هوالذي أيدّك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم لوأنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم» (٥).

وهل من شك في أن الله يبغض من المسلمين الخلاف والفرقة، والتباين والبغضة؟ وهل من خلاف في أن الله تعالى قال: «إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيءٍ إنما أمرهم إلى الله ثم ينبّئهم بما كانوا يفعلون»؟(٦).

وأنه قرن الفرقة بالرجم والخسف في الوعيد فقال: «قل هوالقادر على أن

---

(١) سورة الفتح/ آية ٢٩.
(٢) رواه أصحاب السنن عن أبي هريره.
(٣) البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير.
(٤) سورة آل عمران /آية ١٠٣.
(٥) سورة الآنفال/ آية ٦٣.
(٦) سورة الأنعام /آية ١٥٩.

يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلِكم أو يلبِسَكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض» (١).

كل ذلك لاشك فيه، وهو من البديهات المعلومة من الدين ضرورة، ومع ذلك ليس من شك أيضاً في أن واقع المسلمين ليس كذلك، ففيهم الفِرق المختلفة، والشيع المتباينة، وقد جرّ ذلك إلى التناحر والتباغض، وإلى أن يذوق بعضهم بأس بعض.

ومن المعلوم أن هذه الفروض الإجتماعية التي منها حبّ المسلمين بعضهم بعضاً وتعاونهم وتناصرهم، ليست فروضاً يدعو إليها الدين تعبّداً بل لآن مصلحة المسلمين الدنيوية تدعو إليها، ولأن بقاءهم وقوتهم وعزتهم منوطة بها، فكل أُمة من أمم الإسلام وحدها ضعيفة ولكنها بتعاونها مع غيرها من الأُمم الإسلامية تقوى وتعزّ، وقد قيل: «ضعيفان يغلبان قوياً».

إن الإسلام هو دين الوحدة كما هو دين التوحيد، وقد حرصت شريعته الخالدة على أن تقرّ في الناس أُسس التضامن والتكافل الإجتماعي، والتعاون على البرّ والتقوى، وعلى أن تنزع من بينهم أسباب العداوات والضغائن، وما ينزغ به الشيطان بينهم ليفشلوا وتذهب ريحهم.

وهذه هي القواعد الخمس التي بني عليها هذا الدين المتين، ترمي كلها إلى توطيد أمر المسلمين على الوحدة والإلفة واتفاق الغاية.

فالمؤمنون جميعاً يشهدون شهادة واحدة: «أن لاإله إلّا الله، وأن محمّداً رسول الله» لايختلف فيها مؤمن عن مؤمن، وليس لها عند فريق منهم معنى يخالف ما عند الآخرين، وهم ملتزمون بمقتضى ذلك أن يجعلوا الأمر كله لله، فلا حكم إلّا حكمه، ولا تشريع إلّا تشريعه، ولاعبادة إلّا له، ولا قربى ولا

(١) سورة الأنعام /آية ٦٥.

زلفىٰ إلّا إليه، وكل ماجاء عنه في كتابه، أو صحّ عن رسوله فهو مقبول، لايسع مؤمناً أن يخرج منه أو يحيد عنه، وإنما اختلفت الأفهام في شيئ وتتفق في شيئ ويصحّ بعض المروي عند فريق ولايصحّ عند فريق، وقد قال الإمام الشافعي: «أجمع المسلمون علىٰ أن من استبانت له سنّة رسول الله(ص) لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس» (١).

ونعود إلى ماكنا فيه من استعراض قواعد الإسلام الخمس، وبيان ما ترمي إليه من توطيد أمر المسلمين على الوحدة والإلفة فنقول:

إن المسلمين جميعاً يقيمون الصلاة في أوقات خمسة مكتوبة، ليست ستة عند فريق، ولا أربعة عند فريق وهم متفقون عليها بأعيانها، ومتفقون على عدد ركعاتها، وعلىٰ قبلة المصلّي فيها، وقد شرعت فيها الجماعات والجمعات والصلوات العامة في المناسبات المشروعة، كصلوات العيد والإستسقاء والكسوف ونحو ذلك من كل مايراد به إشعار المسلمين بالوحدة والإلفة واتفاق المصالح والإستواء أمام ربوبية الله جلّ وعلا، دون تفرقة بين صغير وكبير، ولابين غنيّ وفقير، ولابين صعلوك وأمير.

وكل مؤمن مكلّف بأن يؤدي زكاة ماله ليكون المؤمنون متكافلين متحابين يشعر فقراؤهم و أغنياؤهم بعاطفة المحبة والتعاون، وتستلّ من بين مجتمعهم نوازع الحسد والبغضاء والقسوة والجفاء.

وهم جميعاً مكلّفون بأن يصوموا شهراً معيناً في العام، يجتمع على صومه قاصيهم ودانيهم، وبأن يحجّ مستطيعهم بيت الله الحرام، فيجتمع حوله في كل عام أصنافهم وألوانهم كلهم يدعوالله بلسانه، ويسأله من فضله وإحسانه. أليست هذه من قواعد الإسلام التي نبي عليها؟ أوليست كلها ترمي إلى التوحيد والوحدة؟

---

(١) أعلام الموقعين: ج ١ ص ٧.

مسألة «الوحدة الإسلامية» هدف أساسي تنشده الجمهورية الإسلامية منذ انبثاقها(١)، لأن الشجرة الإسلامية الكريمة في ايران لايمكن أن تؤتي أُكلها إلّا إذا التفّ حولها كل المسلمين المؤمنين في العالم.

أعداء الإسلام أدركوا هذه الحقيقة، فانطلقوا يعزفون على كل نغمة من شأنها أن تزيد في تفرّق صفوف المسلمين، وتفصلهم عن الصحوة الإسلامية في ايران، واستخدموا لذلك الحكومات العميلة في العالم الإسلامي كآل سعود ووعّاظ السلاطين والكتّاب المأجورين والكارتلات الإعلامية العملاقة، إضافة الى مليارات الدولارات، ومع شديد الأسف فإن اكثر الأموال التي تنفق على طريق بثّ بذور الفرقة والشقاق هي أموال إسلامية مستحصلة من بيع نفط المسلمين، وإلى الله المشتكى.

الثورة الإسلامية تشقّ طريقها- وسط كل هذه الأشواك والعقبات والأجواء المليئة بالضجيج الإعلامي المفرّق المعادي- نحو تأليف القلوب وتوحيد المشاعر، والبحث عن سبل توحيد الصفوف وتجميع الطاقات وإزالة الخلافات، إيماناً منها بضرورة عودة الأُمة الموحّدة الشاهدة الوسط على الساحة التاريخية، وقطعت على هذا الطريق خطوات هامة.

إعلان «اسبوع الوحدة» خلال الأيام من ١٢-١٧ ربيع الأول- وهي أيام احتفالات المولد النبوي الشريف- من قبل الجمهورية الإسلامية خطوة هامّة على هذا الطريق. هذه الخطوة ازدادت أهميتها وفعاليتها عام ١٤٠٣هـ حين تقرر إقامة مؤتمر عالمي لأئـمة الجمعة والجماعة خلال هذا الاسبوع.

لقدنبّه هذا الاعلان الوعي، وأوضح بأدقّ بيان وأوفاه أن الهجوم والتشنيع

---

(١) مشاكل وعقبات أمام وحدة المسلمين: ص٣ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ طهران إصدار وزارة الإرشاد الإسلامي.

وجرح العواطف لاتخدم أي مذهب، وأن الإسفاف في السبّ والشتم لايفيد أي طائفة، بل علىٰ العكس يجلب الضرّ لكل فريق.

وتأثر بهذه الدعوة كثير من حملة الأقلام فجنحوا إلى سلوك سبيل المنطق والبرهان وأسرع هذا الأثر أكثر مما كنا ننتظر، إلّا أن بعض الأقلام لا تزال تسف، ولكنها ـ والحمدُلله ـ ليست بذات وزن، وعما قليل ينتهي أمرها إلى زوال.

وأما المرجفون الذين في قلوبهم مرض ويقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم، وهم الذئاب في جلد شاة، لايستطيعون مخالفة ضمائرهم ومكنونات صدورهم من غلّ وحقد على المؤمنين.

ومهما تكن عندامرئ من خليقة   وان خالها تخفىٰ على الناس تعلم

كآل سعود الذين لم يتركوا النزاع والتخاصم، وهيهات هيهات، أنّى واين ومتىٰ وكيف؟ وآل سعود لاينفعهم اتحاد المسلمين ولا تفيدهم الوحدة الإسلامية، ولايستطيعون النظر إلى أشعة شمس الوحدة ورؤية ضوء اتحاد امة محمد(ص) واخوّتها، فأبوا إلّا ايقاظ الفتنة النائمة وايقاد نار تنازع الأُموية والهاشمية والعثمانية والعلوية الخامدة، وإضرام الحرب العوان، تفريقاً بين المسلمين والمؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله(ص) من قبل «وليحلِفُنّ إن أردنا إلّا الحسنىٰ والله يشهد إنهم لكاذبون» (١).

فقام طغام من الحزب الوهابي فألحقوا بشيعة أهل بيت الوحي، بل بهم أنفسهم سلام الله عليهم كل مستهجن، وبهتوهم بكل عائبة، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً «ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعُرون» (٢) «وكل إناء بالذي فيه ينضح» «ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً» (٣).

---

(١) سورة التوبة/آية ١٠٧.   (٢) سورة البقرة /آية ١٢.   (٣) سورة النساء/آية ١١٢.

وكل مرامهم ومقصدهم وغرضهم أن يستقبل المسلمون جميعاً «الوهابية الماسونية» ويعتنقونها ويعتقدونها كإسلام جديد أو كالإسلام من جديد.

أجل أُمة «محمدبن عبدالوهاب» لايمكنهم التقارب والتحابب والاتحاد والتعاون والتعاضد مع الفرق الإسلامية ولا سيما شيعة أهل البيت، لأنهم أشربوا في قلوبهم حبّ آل أُمية، وبغض أهل بيت الوحي سلام الله عليهم أجمعين والضدّان لايجتمعان.

فقبل اليوم كانت غارات الوهابيين وقتل الرجال ونهب الأموال وسبي النساء والذراري، وكانوا يرهبون المسلمين ويجبرونهم لقبول «الاسلام الجديد» وهواسلام ابن تيمية ومحمدبن عبدالوهاب.

وأما اليوم فبفضل النفط والبترول استطاعوا أن يشتروا ضمائر أُناس ويستأجروا أقلاماً مسترزقة ويستخدموا ذوي ألسن بذيئة فيدعون السذّج والبسطاء الى دينهم الجديد «الوهابية».

واذا لقواالذين يعرفون «الوهابية» على حقيقتها فلايمكنهم أن يدعوهم إليها صراحة، بل يبدلون الفخّ ويغيّرون الشبكة فيدعونهم إليها باسم الدعوة الى الوحدة الإسلامية واتحاد المسلمين،وما الى ذلك.

إنّ آل سعود العملاء يشككون في أصالة الثورة الإسلامية، زاعمين أنها ثورة شيعية لاإسلامية!! ونشير هنا إلى مقتطفات من إحدى المقالات الحاقدة والمسمومة اخترناها من مقالات عديدة لأن صاحبها الوهابي «إبراهيم السليمان الجهمان» قد جمع فيها خلاصة موقفه وموقف من هم على شاكلته من الشيعة والتشيّع، فلاحظ وتدبّرما سطره هذه الأجير:

«في هذه الظروف التي تجتازها الأُمة الإسلامية، أجد من واجبي أمام الله أن أنبه العلماء الى الخطر العظيم المتمثل في وجود طائفة تزعم الإنتماء إلى الإسلام، ولكنها تعتنق عقائد وتؤدي طقوساً تتنافى مع الإسلام نصاً وروحاً،

بسبب غلوّ من يتزعمونها وانحراف من يتصدون لقيادتها، ممن يتسمّون بالعلماء، وماهم في الحقيقة إلّا من العملاء..

وإنني باسم الإسلام، الذين تدينون الله به، أرجوكم أن تصدروا الفتوىٰ اللازمة في حقّ من يقترفون جريمة إغواء عشرات الملايين من الناس المخدوعين، وأن تتعاونوا معنا في إزالة هذا الكابوس الذي يجثم على صدور المسلمين منذ ثلاثة عشر قرناً من الزمن. فقد كفاناً ماجرّه هؤلاء المتاجرون بالدين من نكبات على الإسلام والمسلمين.

إن طائفة الشيعة الإمامية يا سادتي يتديّنون بدين لايمتّ إلى الإسلام إلّا بصلة واهية، هي أشبه ماتكون بخيط العنكبوت...

وإجماعهم على جواز الكذب على أهل السنّة، وإباحة شهادة الزور ضدهم، واستحلال دمائهم وأموالهم واعراضهم، والتاريخ شاهد صدق على ذلك.

زد على ذلك أن أذانهم يختلف عن أذاننا، وصلاتهم تختلف عن صلاتنا، ووضوءهم يختلف عن وضوئنا، وصيامهم يختلف عن صيامنا، وحجّهم يختلف عن حجّنا، وهم لايعترفون بالزكاة ولابمستحقيها، وإنما يؤدّون خمس محاصيلهم وأرباحهم إلى من يسمّونه بنائب الامام لينفقه في تدبير الدسائس والتآمر على الإسلام وأهله ونشر بدعة التشيع بكل وسيلة ممكنة...

واباحتهم فروج الإماء وإسقاطهم الجمعة والجماعة، والجهاد والحدود، بحجة غيبة الامام، وتسميتهم أُمة محمد بالأمة الملعونة، هذا عدا ما يخالفوننا فيه، في المعاملات والأحوال الشخصية، والعبادات الأُخرىٰ، تنفيذاً لأمر جعفر بن محمد...

فاذا كان العلماء قد حكموا بشرك من يذبح لغيرالله، أو يحلف بغيرالله، أو يستغيث بغيرالله، والشرك كما تعلمون هو صنوالكفر، بل هو الكفر بعينه، لأن الله لم يتوعد بعدم المغفرة وبالحرمان من الجنة إلّا المشركين والكافرين، فما

ظنّكم بمن تجتمع فيه كل هذه الموبقات...

سادتي- قد تقولون: إن مانحن فيه من ضعف وانحلال لايسمح بإثارة المشاكل وإحياء النعرات الدينية، وايقاظ التعصّبات المذهبية. ولكنّي أقول: إن هذا الاعتقاد منقوض. يقول الله تعالىٰ: «إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين».

وأن السكوت على الباطل مما يساعد على إستفحاله. والوحدة لا تتمّ بين قلوب متنافرة ونفوس متدابرة، والائتلاف لم يوجد حتى نخشىٰ الإختلاف والاتحاد لم يحدث حتى نخاف الفرقة...

لذا فإني أسألكم بما تدينون الله به أن تتفضلوا بإصدار الفتوىٰ بشأن زعماء هذه الطائفة، وتخليص الإسلام والمسلمين من شرورهم ومؤامراتهم ودسائسهم وأداء ما أنتم مسؤولون عنه أمام الله تعالىٰ من دفاع عن الاسلام والمسلمين»(١).

هل فهمنا إذاً من يثير هذه الفتنة الحرام؟ ومن الذي يستفيد منها؟ هل فهمنا أن الشيطان السعودي الوهابي هوالذي يدعو لفرقتناوأن نكفّربعضنابعضاً؟ بينما الخلاف أقل بكثير مما يتصور بعض الذين وقعوا في حبائل هذا الشيطان.

يقول الامام الخميني حفظه الله مشيراً الى هذه الأقوال: «لقد أعلن بعض المأجورين أن اسلام الإيرانيين هوغير إسلامنا. نعم... إسلام ايران غير إسلام الذين يدافعون عن عملاء أمريكيين كالسادات وبيغن، ويمدّون يدالصداقة إلى أعداء الإسلام خلافاً لأمرالله تعالى، ويبذلون كلّ ما وسعهم من جهد، ويقترفون كل افتراء للتفرقة بين المسلمين. على جميع المسلمين أن يعرفوا هؤلاء المنافقين، وأن يحبطوا مؤامراتهم الخبيثة»(٢).

---

(١) نشرته مجلّة «الدعوة» السعودية ذي الحجة ١٣٩٨هـ.

(٢) من بيان الامام الخميني الى حجّاج بيت الله الحرام ١٤٠٠/١١/٢هـ.

ومن طريف ما بثّ آل سعود العملاء من اشاعات في هذا المجال، هو أن الدستور الإيراني لم ينصّ على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، بل نصّ على أنه المذهب الشيعي. مثل هذه الإشاعات تؤكد بما لا يقبل الشك إفلاس آل سعود أعداء الإسلام في حربهم العدائية ضدّ الجمهورية الإسلامية، إذ كيف يصدّق مسلم هذه الاحبولة، بينما النظام يحمل في تسميته الصفة الإسلامية لاغير؟! وكيف تنطلي هذه الأكذوبة على المسلمين ودستور الجمهورية الإسلامية بين أيديهم يقول: «الدين الرسمي لإيران هو الاسلام..»(١). هذه المادة حدّدت طبعاً المدرسة الفقهية الرسمية في البلاد، لكنها لم تتغافل عن حقّ اتباع المدارس الفقهية الأخرىٰ. إذ نصّت على أنّ المذهب الرسمي هو المذهب الجعفري الأثنىٰ عشري... والمذاهب الأُخرىٰ سواء الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي، تتمتع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسمهم الدينية حسب فقههم، وتتمتع هذه المذاهب برسمية في التعليم والتربية الدينية والأحوال الشخصية (الزواج، الطلاق، الارث، الوصية)، والدعاوىٰ المرتبطة بالمحاكم، وكل منطقة يتمتع فيها أتباع أحد هذه المذاهب بأكثرية فإن المقررات المحلّية لتلك المنطقة تكون وفق ذلك المذهب، في نطاق صلاحيات مجالس الشورىٰ المحليّة مع حفظ حقوق أتباع سائر المذاهب الأُخرىٰ (٢).

عاد الإسلام في بقعة هامّة من بقاع عالمنا الإسلامي هي ايران ينبض بالحركة والحياة.. عاد كما كان في عهد رسول الله(ص) يخلق الأُمة الواحدة الموحّدة، ويلفظ كل زيغ وانحراف، ويرهب الطواغيت، ويدفع المؤمنين الى

---

(١) المادة الثانية عشرة من الدستور الإيراني.

(٢) مشاكل وعقبات أمام وحدة المسلمين: ص ٢٤.

معارك الشرف والفضيلة، ويصوغ إطار حركة المجتمع في مجال السياسة والإقتصاد والنظام.

ومن الطبيعي جداً أن تتعارض هذه الصحوة الإسلامية الجديدة مع كل العوامل الرامية إلى إبقاء المسلمين في جهلهم وركودهم وتبعيّتهم، بما في ذلك الأيدي التي تودّ أن يبقى موسم الحج بمعزل عن كل حركة تستهدف التوحيد والتوعية والتعبئة. ومن هنا كان حجّ الايرانيين خلال الأعوام الأخيرة مزعجاً لحكام السعودية، وكانت تعليمات الامام الخميني للحجيج مقلقة لهم.

الأمة في ايران تجاوزت ـ بحول الله وقوته ـ عقبة الطاغوت وانتقلت من الظلمات الى النور، وحصّنت نفسها بالإسلام، ولم يعد الإعلام المضلّل، قادراً على إثارة الإختلافات الطائفية في هذا البلد المحمّدي.

يقول الإمام الخميني: «إن طرح مسألة تقسيم المسلمين إلى سنّي وشيعي وحنفي وحنبلي وإخباري لامعنى له أساساً.

المجتمع الذي يريدأفراده جميعاً خدمة الإسلام والعيش تحت ظلال الإسلام لاينبغي أن يثير هذه المسائل. كلّنا اخوة، وكلّنا نعيش قلباً واحداً، غاية الأمر أن الحنفي يعمل بفتاوى علمائه، وهكذا الشافعي وثمّة مجموعة أُخرى هي الشيعة تعمل بفتاوى الإمام الصادق. وهذا لايبرّر وجود الإختلاف، لاينبغي أن نختلف مع بعضنا، أو أن يكون بيننا تناقض. كلّنا اخوة، على الاخوة الشيعة والسنّة اجتناب كل اختلاف. فالإختلاف بيننا اليوم هو لصالح الذين لايؤمنون بالسنّة ولا بالشيعة ولابالمذهب الحنفي ولابسائر الفرق الإسلامية، وهؤلاء يريدون القضاء على هذا وذاك، فهدفهم بثّ الفرقة بينكم. عليكم أن تنتبهوا جيداً إننا جميعاً مسلمون وأتباع القرآن وأهل التوحيد، وعلينا أن نسعى من أجل القرآن والتوحيد»(١).

---

(١) من نداء الإمام الخميني في ٢١ تموز ١٩٨٠م.

يقول الدكتور عزّالدين إبراهيم في مقال بعنوان «السنّة والشيعة ضجّة مفتعلة ومؤسفة»: «لن أحاول أن أجتهد رأيي لأقوال إن الشيعة والسنّة أُخوة في الإسلام فرّقتهم اجتهادات في فهم الكتاب والسنّة لا تمسّ أُخوّتهم ولا تخرج أحدهم في نظرالآخرين عن ملّة الإسلام. لن أُحاول أن أسوق الأدلّة الشرعية التي لا تنتهي على صدق هذه المقولة الواضحة الأكيدة، فهذا مجال بحث آخر أصبحنا نضطرّ إليه في هذا الزمن الذي عمّ فيه الجهل والتعصّب الحزبي المقيت، ولكني سأتناول الموضوع من زاوية أُخرىٰ مكمّلة وهو محاولة سرد مواقف وآراء لقادة ومفكرين وزعماء مسلمين تجمع الحركات الإسلامية على إمامة الكثير منهم.

إنني أفهم جيداً أن موقف بعض قواعد الحركة الإسلامية المعادي للثورة الاسلامية والمثيرللضجّة المفتعلة حول السنّة والشيعة ليس موقفاً جذرياً أصيلاً ولكنه موقف طارئ فرضه آخرون علىٰ هذا الشباب المخلص الطاهر بعد أن وضعوه في دوامة الشك واليأس، وهو يكتشف أخيراً أن الثورة التي أوقدت آماله وأشعلتها ليست ثورة إسلامية ولكنها شيعية، وأن الشيعة كفّار.

وهذا محبّ الدين الخطيب صاحب الكتاب السعودي سيّء السمعة الذي أُعيد طباعته مرة أُخرىٰ في هذا الوطن (٥٠٠٠ نسخة!!!). هاهو يورد الدليل تلو الدليل على كفرهم وضلالهم وخروجهم عن الإسلام. إن لهم قرآنا غيرالذي بين أيدينا. وغير ذلك من الأضاليل والترّهات» (١).

«إن الخطيب هوالذي حارب دولة الخلافة الإسلامية فعمل مع إحدىٰ الحركات القومية- طلائع الشباب العربي- وعندما انكشف أمره أثناء وجوده في

---

(١) مجلة «الطليعة الإسلامية» العدد (صفر) السنة الأولى ديسمبر ١٩٨٢م- صفر ١٤٠٣هـ ص١٥ من مقال ملحق العدد (السنّة والشيعة ضجّة مفتعلة ومؤسفة) بقلم الدكتور عزّالدين إبراهيم.

الاستانة للتعليم عام ١٩٠٥م فرَّ إلى اليمن، وعندما أعلن الشريف حسين الثورة العربية التحق بها ثم حكمت عليه دولة الخلافة بالإعدام. ولم يعد إلى دمشق إلّا بعد هزيمة الأتراك ودخول الجيش العربي الى دمشق فتولّى إدارة أول جريدة عربية فيها (العاصمة)» (١).

ولنستمع إلى امام الأزهر الشيخ شلتوت رحمه‌الله وهو عضو بارز في جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية يقول: «لقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم وأسهمت منذ أول يوم في جماعتها... وها هو الأزهر الشريف ينزل على حكم مبدأ التقريب بين أرباب المذاهب المختلفة فيقرر دراسة فقه المذاهب الإسلامية سنّيها وشيعيها دراسة تعتمد على الدليل والبرهان وتخلو من التعصّب لفلان أو فلان»(٢).

واستطرد قائلاً: «وكنت أودّ لو أستطيع أن أتحدث عن الاجتماعات في دار التقريب حيث يجلس المصري إلى جانب الإيراني أو اللبناني أو العراقي أو الباكستاني أو غير هؤلاء من مختلف الشعوب الإسلامية وحيث يجلس الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي بجانب الإمامي والزيدي حول مائدة تدوّي بأصوات فيها علم وفيها تصوف وفيها فقه وفيها مع ذلك كله روح الاخوّة وذوق المودّة والمحبّة وزمالة العلم والعرفان» (٣).

ويواصل إمام الأزهر حديثه مشيراً إلى أن هناك من حارب فكرة التقريب (الوحدة الإسلامية) فيقول: «حارب هذه الفكرة صيّقوا الأفق كما حاربها صنف آخر من ذوي الأغراض السيّئة، ولا تخلو أيّة أُمة من هذا الصنف من

---

(١) نفس المصدر نقلاً عن كتاب «أُسس التقدم عند مفكّري الإسلام في العالم العربي الحديث» د. فهمي جدعان الطبعة الأولى يناير ١٩٧٩م ص ٥٦١ و٥٦٢.

(٢) عبدالكريم بي آزار الشيرازي «الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة» ص ٢٠ الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م - بيروت.

(٣) نفس المصدر ص ٢٣.

الناس، حاربها من يجدون في التفرق ضماناً لبقائهم وعيشهم، وحاربها ذووالنفوس المريضة وأصحاب الأهواء والنزعات الخاصة. هؤلاء وأُولئك ممّن يؤجرون أقلامهم لسياسات مفرقة لها أساليبها المباشرة وغير المباشرة في مقاومة أيّة حركة إصلاحية والوقوف في سبيل كل عمل يضمّ شمل المسلمين ويجمع كلمتهم» (١).

وهكذا نجد الامام الشيخ محمد أبوزهرة يقول: «لاشك أن الشيعة فرقة إسلامية إذا إستبعدنا مثل السبئية الذين ألّهوا علياً ونحوهم (من المعروف أن السبئية كفار في نظر الشيعة) ولاشك أنها في كل ما تقول تتعلق بنصوص قرآنية أو أحاديث منسوبة إلى النبي (ص) وهم يتودّدون إلى من يجاورهم من السنّيين ولاينافرونهم» (٢).

ومن الإمامين شلتوت وأبي زهرة إلى استاذهما واستاذ خلاّف (أحمد ابراهيم بيك) يقول: «والشيعة الإمامية مسلمون يؤمنون بالله ورَسوله وبالقرآن وبكل ماجاء به محمد(ص)، ومذهبهم هو السائد على البلاد الفارسية»(٣) ثم يواصل حديثه: «ومن الشيعة الإمامية قديماً وحديثاً فقهاء عظام جداً وعلماء من كل علم وفن، وهم عميقوا التفكير واسعوا الإطلاع ومؤلّفاتهم تعدّ بمئات الألوف وقد اطّلعت على الكثير منها» (٤).

وهكذا نجد العلاّمة الشيخ محمد الغزالي يورد أقوالاً لأحد علماء الشيعة وفي الهامش يقول عنه: «من فقهاء الشيعة وأُدبائهم الكبار. وقد تعهّدنا ايراد كلامه كله لأن بعض القاصرين يفهمون أن الشيعة قوم غرباء عن الإسلام منحرفون عن صراطه. وسيأتي في باب الإعجاز مايزيد معرفة بالقوم» (٥).

(١) أيضاً: ص ٢٤ـ ٢٥.
(٢) محمّد أبوزهرة «تاريخ المذاهب الإسلامية» ص ٣٩.
(٣) أحمد ابراهيم بيك «علم أُصول الفقه ويليه التشريع الإسلامي» طبعة دارالأنصار ص ٢١.
(٤) نفس المصدر: ص ٢٢.
(٥) محمّد الغزالي «نظرات في القرآن» ص ٧٩ الهامش.

وعند تعريفه بعالم آخر «هبة الدين الحسيني» من علماء الشيعة الأجلاّء «وقد تعمّدنا نشر الخلاصة كاملة ليستبين القارئ المسلم مبلغ فقه هذا العالم بطبيعة الإعجاز وبالتالي مبلغ تقديس الشيعة لكتاب الله» (١).

ولنستمع الى واحدمن مفكّري الأخوان المسلمين هو الاستاذ المستشار سالم البهنساوي الذي تعرض لهذا الموضوع بإسهاب ردّاً على الذين يزعمون أن للشيعة مصحفاً غير مصحفنا يقول: «إن المصحف الموجود بين أهل السنّة هو نفسه الموجود في مساجد وبيوت الشيعة» (٢). وفي نفس الكتاب المشار إليه يقول الأُستاذ سالم: «...إن الشيعة الجعفرية (الأثني عشرية) يرون كفر من حرّف القرآن الذي أجمعت عليه الأُمة منذ صدر الإسلام» (٣).

وفي معرض ردّه على محبّ الدين الخطيب «الوهابي» يورد رسالة تحمل آراء للعديد من علماء ومجتهدي الشيعة فينقل عن الإمام السيّدالخوئي: «المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، وأن الموجود بين أيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي(ص)». وينقل عن الشيخ محمدرضا المظفر: «وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي(ص)، ومن إدعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه وكلهم على غير هدى، فإن كلام الله «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه». ثم ينقل قول الامام كاشف الغطاء: «..وأنه لانقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا إجماعهم» (٤).

ومن الاستاذ سالم أنتقل إلى الباحث الإسلامي الدكتور مصطفى الشكعة لنرى ماذا يقول: «الإمامية الاثناعشرية هم جمهور الشيعة الذين يعيشون بيننا هذه الأيام، وتربطهم بنا نحن- أهل السنّة- روابط التسامح والسعي إلى تقريب

(١) المصدر السابق: ص١٥٨ الهامش.
(٢) سالم البهنساوي «السنّة المفترى عليها» ص٦٠.
(٣) نفس المصدر: ص٢٦٣.
(٤) أيضاً: ص٦٩.

المذاهب، لأن جوهر الدين واحد ولبّه أصيل ولا يسمح بالتباعد» (١). ثم يتحدث عن هذه الطائفة التي تشكل أغلبية سكان ايران اليوم وعن اعتدالهم فيقول: «فهم يبرأون من المقالات التي جاءت على لسان بعض الفرق ويعدّونها كفراً وضلالاً» (٢)

ويتحدث الاستاذ القليبي عن (أدب الدعوة إلى الحق) فيختم حديثه بكلمة الزعيم الاسلامي أبي القاسم آية الله الكاشاني التي سمعها منه في مجلس جمعه وإياه بدمشق، :« وقد سأله أحد الحاضرين عن رأيه في الخلاف بين السنّة والشيعة، وكان الحاضرون في هذا المجلس عدداً كثيراً من الطائفتين، وظنّ السائل أنه أحرج الزعيم الإسلامي بهذا السؤال، ولكنه أفحمه إذ قال له: أنا مسلم، لا أعرف إلّا الاسلام الذي جاء به محمدمن عند ربه وهوالذي يجب أن يتّحد عليه المسلمون، أمّا ما عدا ذلك، فلكلٍّ ان يحتفظ بما عنده لنفسه، وإن كل المسلمين يجب أن يتحدوا اليوم لمقاومة الإستعمار بقلب رجل واحد، وأن يعتصموا بحبل الله كما أمرهم الله، وألاّ يتفرقوا، فحالة المسلمين أخطر مما نتصور، ووجوب اتحادهم للإنقاذوالخلاص هي أوكد من كل شئ الآن» (٣).

ولنردّد مع زعيم الأُمة الإسلامية الامام الخميني حفظه الله كلمة قالها قبل أربعة وعشرين عاماً: «الأيدي القذرة التي تبث الفرقة بين الشيعي والسنّي في العالم الإسلامي لاهي من الشيعة ولامن السنة، إنها أيدي الإستعمار التي تريد أن تستولي على البلاد الإسلامية من أيدينا والدول الإستعمارية. الدول التي تريد نهب ثرواتنا بوسائل مختلفة وحيل متعدّدة هي التي توجد الفرقة باسم التشيّع والتسّنن» (٤)

---

(١) د. مصطفى الشكعة «اسلام بلامذاهب» ص١٨٣. (٢) نفس المصدر: ص١٨٧.

(٣) الوحدة الاسلامية: ص ٨١. (٤) في خطبة له في جمادى الأُولى ١٣٨٤هـ.

فالتفرقة الطائفية معول استخدمه المستعمرون لتفريق الأُمة الإسلامية وتمزيقها منذ أن دنّست أقدامهم أرض العالم الإسلامي. مارسوها بأنفسهم عن طريق سفاراتهم في القرن التاسع عشر، ثم أوكلوا المهمة الى عملائهم وصنائعهم من المتلبّسين بلباس الدين، وعلى رأسهم حكام السعودية ومن لفّ لفّهم، الذين ينفقون ثروات المسلمين الطائلة من أجل نشر بذور التفرقة بين المسلمين بسبل شتىٰ، ومحاولات حكام السعودية خلال نصف القرن الأخير لتمزيق صفوف المسلمين. وهذه المحاولات الخبيثة بشكل خاص تركّزت بعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران، والسبل التي تنتهج في موسم الحج لإثارة الفتنة والتفرقة، ومنها نشر الكتب السامّة المشبوهة، مثل كتاب «الخطوط العريضة» للماسوني المشبوه محب الدين الخطيب، وكتاب «وجاء دور اليهود» الذي أصدرته جمعية «الافساد» الكويتية المرتبطة بأموال النفط السعودي، ومؤلّفات «السنّة والشيعة» لمحمدرشيد رضا، و«الصراع بين الاسلام والوثنية» لعبدالله القصيمي، و«فجرالاسلام وضحاه» لأحمد أمين المصري، و«جولة في ربوع الشرق الأدنىٰ» لمحمد ثابت المصري، و«الوشيعة في نقد عقائد الشيعة» لموسىٰ جارالله القفقازي، و«تبديد الظلام وتنبيه النيام» لابراهيم السليمان الجهمان الوهابي، و«الردّ على الشيعية» للندوي الهندي و... و.. ومن شاكلهم آتباع وأذيال ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وأعضاء المحافل الماسونية.

بعد أن أوردنا هذه المواقف والآراء نستيطع أن نعرف هدف الوهابيين ومدىٰ أفكارهم، ودقّة نظرهم في تحقيق غرضهم وعدائهم السافر للإسلام، وأن مؤلّفات «الوهابية» الماسونية تستأصل أُسس الإسلام، وتشكك في مصادره بما فيه الفقه والحديث، وتحدث جوّ الإضطراب الفكري والإرتياب في المجتمع الإسلامي، وتبذر في القلوب بذور الشك والريبة في تفقّه حملة الإسلام وذكائهم (الفقهاء والمحدّثين)، وقد تحمل مؤلّفاتهم من الأخطاء العلمية

الفاحشة وسوء الفهم وعدم الرسوخ في اللغة وقواعدها ومن التحريف والتزوير مايدعو إلى الضحك والعجب.

ولسدّ تأثير الوهابيين الهدّام، وإصلاح هذا الفساد يجب أن يقوم علماء الإسلام من رجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية، ويقدّموا للعالم الإسلامي المعلومات الإسلامية المؤكدة، ووجهة نظر الإسلام الصحيحة، كما يجب أن تكون مؤلّفاتهم وكتاباتهم ممتازة من حيث أصالة التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر، وتأكد المصادر وصحتها واستدلالها اللغوي بالنسبة لكتابات الوهابيين ومؤلّفاتهم، وأن تكون حاملة لجميع نواحي الإستحسان، بعيدة عن الأخطاء والنقائص العلمية.

ومما يجب أيضاً هو أن يقوم هؤلاء العلماء المفكرون باستعراض مؤلّفات الوهابية ومحاسبتها في ضوء الحقيقة والواقع، حتى ينكشف الغطاء عن تلبيساتهم، وأخطائهم في فهم النصوص وبيان المعنى، ويبدو للناس ضعف مصادرهم التي يعتمدون عليها، وأخطاء النتائج التي يستنبطونها منها، ويطلعوا على مايضمرون في نفوسهم من عداء للإسلام، ومايكنونه من أغراض سياسية ودينية في خفايا دعوتهم، وكل ذلك مؤامرة على الإسلام والأمة الإسلامية يجب إحباطها. ومما لاشك فيه أن العالم الإسلامي في أجزائه المختلفة أنجب شخصيات دينية ممتازة أثارت الإعجاب في أوساط العلم الواسعة بنبوغها وفضلها، وأنقذت طبقة كبيرة من الردّة الفكرية.

إنه عمل ضخم يقتضيه الوقت الحاضر، وهو نداء الوقت، وصوت الساعة، وبذلك نستطيع أن ننقذ العالم الإسلامي والمجتمع الإسلامي المعاصر من الردة «الوهابية»، ولسدّ تيار التغريب والتجدد الجارف، الذي يجرف العالم الإسلامي اليوم بكل قوة وشدة وطغيان.

ثم لينظر القارئ ويعتبر كيف أن المسلمين وهم أتباع دين وأصحاب

يقين، قد آمنوا بزعماء الجاهلية وأئمة الكفر ولولم يؤمنوا بدينهم، ولكنهم آمنوا بهم بأوسع معاني الكلمة وقد اشترط الله للإيمان به الكفر بالطاغوت وقدم عليه وقال: «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ»(١).

أمّا إذا أُصبح المسلمون لايعنيهم أمر الإسلام، ولاتهمهم الاّ المصالح السياسية والفوائد المادية الحاضرة التي تعود على أشخاصهم، فحبلهم على غاربهم، وأمرهم بيدهم، ولكن ليعلموا أخيراً ان سفينة الوهابية الجاهلية التي اختاروها لسفرهم قد أُحيط بها، وأن ألواحها قد تآكلت ونخرت منذ زمن، وأن ربابينها قد اختلفوا فيا بينهم في تسييرها وقيادتها، ويعلموا أن هذه السفينة الوهابية إذا غرقت فإنها تغرق ركّابها، وكل من وصلوا أسبابهم بأسبابها، ولاعاصم من أمرالله الاّ من رحم. وقد قال تعالىٰ: «ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون» (٢).

---

(١) سورة البقرة/ آية ٢٥٦.

(٢) سورة هود/ آية ١١٣.

الخلاصة

الوهابية والسعودية حماية الإسلام أم حماية أمريكا؟!

استطاع زبانية الصهيونية أن يضلّلوا الشعوب الإسلامية بشعارات «الوهابية»، ولولا جهل الأُمة بإسلامها لما كانت تنطلي هذه الفرية على أحد من صغارها لأن الاختلاف واضح بيّن من الناحيتين النظرية والعملية.

فمن الناحية النظرية نرى تضخم الحقد وترعرع الحسد في النظام الوهّابي، في حين أن الانسان في النظام الاسلامي يعيش بروحه وكيانه.

والوهابية تقسم المجتمع الى طبقات متناحرة، والاسلام يجعل من المجتمع طبقة واحدة متساوية أمام الله كأسنان المشط، بل إنه ليعتبر الطبقية من أسباب تدمير المجتمعات، ومظهر من مظاهر غضب الله ونقمته: «قل هو القادرُ على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم، أو يلبسكم شيعاً ويُذيق بعضكم بأسَ بعضٍ انظر كيف نصرّف الآيات لعلّهم يفقهون »(١).

أمّا من الوجهة العملية: فالوهابية تفتقر الى الأمانة التي يخلقها تقوى الله في النفوس، ومن يخاف «الحبر» الوهابي، كما أنه لن ينزل جبريل وميكائيل ليراقبوا تطبيق الوهابية تطبيقاً عادلاً، ولا عزرائيل ليرأس مباحث الدوائر

---

(١) سورة الأنعام /آية ٦٥.

الوهابية ويقبض روح من يخالف مبادئها،وانما المشرفون على المؤسسات رجال مشحونون بحبّ المادة لكثرة ماسمعوا باسمها من الحمد والتسبيح حتى صارت إلهاً يُعبد، يسبّحونه في العشيّ والآصال. فيكف يزهدون إذاً في هذا المال ويرعونه ويكتفون منه بالقدر الكافي والنصيب المفروض.

والمجتمع الإسلامي مجتمع يقوم وجوده على أساس الدعوة لله وحمل رسالته وتطبيق مناهجه كاملاً. فهل المجتمع الوهابي الذي يرتدي ثوب الإسلام مجتمع يدعوا الى الله ويحارب أعداء الله، فلايضمّ لصفوفه إلّامن يعبد الله، ويقيم الحدّ على تارك الصلاة «فيعدم» تاركها ويبقي على «علمائها»؟ هل يحارب دعاة الإلحاد ويطاردهم، ويقدم دعاةالله ويجلّهم ويحترمهم؟ هل يحارب الفجور والاختلاط والسفور؟ هل تغلق المسارح المبتذلة والملاهي ومحلّات الخمور؟ هل يدير الإذاعة والسينما والتلفزيون بطريقة تتلائم مع منهج الاسلام، ويكون المتحدث فيها تلامذة ابن عباس وجابربن عبدالله الأنصاري وحذيفة اليمان وعمّار بن ياسر وسلمان المحمّدي وأبوذرّ الغفاري والمقدادبن الأسود وعبدالله بن مسعود وأبي سعيد الخدري من جند محمد(ص)، وينبذ الخواجة عبدالعزيزبن باز، وعبدالله الخطيب، وإبراهيم السليمان الجهمان، وابن غامد العسكر و... و...؟

هل كان دعاة محمد(ص) ومؤذّنوه مغنّين ومغنّيات وراقصين وراقصات يصرف لهم الجوائز ويغدق عليهم الأموال؟ هل نشر الاختلاط بين الفتية والفتيات في المعاهد الدراسية وحلبات الرياضة حفاة عراة ليس معهم الآ إبليس يرقصهم على أنغامه؟ هل شجّع محمد كتّاب الإلحاد والجنس ومنحهم الجوائز والأوسمة؟ هل حالف محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام عبدة «الصليب» و «البقر» ضدّ أحد يسجدلله ويسبّح بحمده؟

هل ورد في القرآن والسنّة والتاريخ الإسلامي شيئ من هذا لنقول أن

«الوهابية» هي كمال الدين الاسلامي؟

إذاً ماهو الشبه بين دين الاسلام والحركة الوهابية؟ إنه تشابه محاربين اثنين: محارب يحارب مع المرابطين ويرد الأعداء ويحفظ الحرمات. ومحارب يحارب مع اللصوص ليسيطر على الآمنين ويهاجم المارّين. كلا الإثنين يحمل السلاح ويقاتل، ولكن كل في ميدان يختلف عن الآخر كل الاختلاف.

ونحن لانقرّ ما ذهب إليه بعض العلماء- سواء الطيّبين أم المتملّقين- في تسمية «الحركة الوهابية» باسم «مذهب الاسلام» أو أن في الإسلام- وهابية- سواء أكان مقصود المعنىٰ أو مجرد الاسم، فإن كان ذلك للمعنىٰ فمن الخطأ الفادح أن نجعل الأنظمة الأرضية مقياس صلاح النظام الإلهي، لأن ذلك يعني محاكمة الخالق أمام المخلوق، وإن كان ذلك لمجرد الإسم فللأسماء أهمية في التصوّر والخيال.

فالاسلام سرعان ما تسمع اصطلاحاته فينتقل تصوّرك لمجتمع يعيش لله، وتتذكر سيرة الداعي الأول محمد(ص) في غار حراء وغار ثور وفي طرقات الطائف وفي بدر وفي مكة ويثرب، يرسي دعائم هذا الدين، يصلح الدنيا ولا يأخذ منها شيئاً، شفوقاً رحيماً أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، وتتصوّر مجتمعاً متآخياً في الدنيا مقبلاً على الآخرة.

وتسمع بـ «الوهابية» فتتقلّص عضلات وجهك، وتنتصب شرايينك، وأول ما يقفز الى خيالك صورة «محمدبن عبدالوهاب الكذاب» حاقداً بذيئاً يلعن هذا وهذا، ويكفر بالله، والأديان والرسل والأخلاق والقيم كلها، ثم تتصوّر مجتمعاً فيه حكومة تحكم باسم الإسلام، والإسلام منها براء، حكومة مشحونة بالحقد على المسلمين والمستضعفين!! مقبلون على المادة بشره مخيف، يشتمون الكفار والمشركين وهم الكفار والمشركون بعد أن ذهبوا بالكفر والشرك المخفّف، لايتحكمون في المال فحسب بل بالفكر والرأي، والدين والأخلاق

والانسان.

تعمل الامبريالية الأمريكية هذه الأيام على تسعير عدوانيتها بغية استعادة نفوذها القديم الذي فقدته بفعل الإنتصارات الجبّارة التي تحققت لمصلحة الشعوب المستضعفة في عالمنا المعاصر، وخاصة في ايران الإسلام، حيث دمّرت أكبر معقل للامبريالية الأمريكية في منطقة الخليج ومجئ حكومة المستضعفين، وفي سبيل ذلك تُبذل جهودٌ محمومة لا ستبدال أساليبها القديمة بأساليب مبتكرة ومتنوعة دون أن يعني ذلك تخلّيها نهائياً من ممارسة أساليبها القديمة، وهي بهذا تلجأ إلى أساليب القتل والقمع والتدمير والتدخل المباشر وغير المباشر في الشؤون الداخلية للشعوب المظلومة، وزيادة استثمار واستغلال ثروات الشعوب الواقعة تحت نفوذها، وتدبير الانقلابات الرجعية والفاشيّة وابتداع أشكال تدميرية جديدة والضرب بعرض الحائط كل المواثيق الدولية، ومحاولات إحياء الأحلاف العسكرية العدوانية القديمة وتجديدها لخلق بؤر جديدة للتوتر وتهديد آمال ومطامع المستضعفين.

وتأتي تحرّكات الولايات المتحدة الأمـريكية في إنشاء القواعد العسكرية المتحركة والثابتة في أجزاء من وطننا الإسلامي بكثافة كبيرة ومجهزة بكل وسائل الحرب والدمار ومناوراتها الخطيرة، واستفـزاتها المتكررة لشعوب المنطقة والثورة الإسلامية في ايران فهي إنما تدشّن مرحلة جديدة وخطيرة من التدخل والغزو الامبريالي المباشر، لم تشهده المنطقة منذ العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م،وتشكّل جزءً من سياسة الارهاب الدولي التي تمارسها الامبريالية الأمريكية،ومن سياسة سباق التسلّح وتكثيف القواعد و الأحلاف العسكرية العدوانية والتلويح بقنابل النيترون والحرب النووية المحدودة، والانطلاق من مواقع القوة للسيطرة وإخلال التوازن لصالح الامبريالية وتدمير مصير البشر، ويأتي إنشاء القواعد العسكرية والمناورات الامبريالية الرجعية الخطرة هذه في

أعقاب الفشل الذريع الذي منيت به المخططات الأمريكية وعملاؤها في المنطقة، وإحباط محاولاتها المتكررة لإخضاع الشعوب، وفشلها في تقييم مؤامرة «كامب ديفيد»، ومشاريعها كمشروع «فهد السعودي» المكملة لهذه المؤامرة على شعوب المنطقة.

ويأتي إنشاء القواعد العسكرية العدوانية محاولة للضغط علىٰ شعوب المنطقة من أجل تمرير المشروع الأمريكي المسمّىٰ بمشروع «ريغان» لحلّ أزمة الشرق الأوسط وفرض التسوية الصهيونية الرجعية، ومحاولة خلق حلف «إمبريالي- صهيوني- رجعي» لتحقيق ما يُسمّىٰ «بالإجماع الاستراتيجي» لمواجهة المدّ الثوري للشعوب، وتتحدّد هذه الأهداف السياسية والعسكرية لهذه القواعد بمايلي:-

(أ) حماية السعودية وعملاء أمريكا في المنطقة، وتثبيت وتدعيم نظمهم المهتزّة، وقد كشفت بعض أجهزة الإعلام الأمريكية(١) أهداف ونوايا هذه القواعد والمناورات العسكرية بقولها: «إنّ واشنطن تريد الدفاع عن حلفائها في المنطقة ليس ضدّ أي غزو من الخارج وحسب وإنما حمايتهم من أيّة عمليات هدم داخلي» (٢).

(ب) المزيد من إخضاع هذه الأنظمة العميلة والسيطرة عليها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

(ج) السيطرة علىٰ منابع النفط، وحماية أي نظام سائر في ركابها، وتهديد أمن وسلام الخليج والجزيرة.

لم يكن آل سعود ظاهرة غريبة في التاريخ، كنماذج للحكام الذين يخونون

---

(١) مجلّة «الواشنطن بوست» بتاريخ ١٩٨٦/١٢/٢٧م بقلم: ادوين روتشيلد.

(٢) مجلّة «نيويورك تايمز» بتاريخ ١٩٨٥/١١/٢٥م بقلم: آموس بيرلميوتر.

مصالح الشعوب فيتحوّلوا إلى دمية تتبع المحتل، أو المركز المتبوع، ينفّذون كأدوات وطنية مايراد منهم تنفيذه، بأقل درجة من الاستفزاز والإهانة لشعوبهم، كي يتمكّنوا من مواصلة مهمّتهم غير المقدسة على مايرام.

وفي تاريخنا المعاصر نموذج آخر للحكام الذين يطلقون على المركز المتبوع «صديقاً» أو «حليفاً» ويتصرفون إزاءه بتمايز، يصل حدّ توجيه الإنتقادات الحادّة ضدّه، وكذلك افتعال الخلافات الشديدة معه، وبذلك يستطيعون أن يستروا ارتباطاتهم ويضلّلوا أعداداً غير قليلة من الناس البسطاء. وليس من شكّ في أن هذا «النمط المتحضّر» من التبعية والارتباط بالمركز المتبوع يخدم مصالح الطرفين في آن معاً، ويستطيع مواصلة ممارسة هذه اللعبة أطول فترة ممكنة.

أما نمط آل سعود فهو نمط خاص، وكأنهم أصحاب مدرسة جديدة في التبعية وخيانة مصالح الشعوب والوطن.

فخلافاً لكل الأنماط لم يكتف آل سعود باختيار خندق العدو الأمريكي- الصهيوني والإبقاء على «الجلباب العربي»، بل إنهم تمادوا في إلغاء أيّة سمة من السمات التي يمكن أن توقعهم بشبهة الإنتماء للعرب أو للإسلام، وبذلك لم ينالوا شرف التلمذة الذكية على يدي الصهاينة، بل فضّلوا أن يكونوا التلاميذ الأغبياء الذين لاتخدم مواقفهم وتصريحاتهم العدو كما يريد ويتمنّى.

وها هي طائرات «الأواكس» الأمريكية في الأراضي السعودية تشهد بذلك.

يبقى القول: هل من التجنّي- بعد هذه المواقف والتصريحات- اعتبار آل سعود هم تلامذة الماسونية الأغنياء؟!.

وأخيراً أقول لقارئي الكريم: فإنما هي جولة قلم في أُمور مسطورة لم أجهد بها فكراً، ولم أكدّ في تهذيبها قريحة، ولكنها طبيعة الدين توحي بالقلم، وطبيعة السيرة الطيبة تلهم الصواب، وسيرة محمد(ص) ملتقى المشاعر العالية، ودينه

ينبوع المثل الكريمة.

ومعذرة الى قارئي العزيز والى أخي الكريم، فاني لم أفكر في وقت ما أن أصل الى هذا الإسفاف، ولكن الكلام على هذه الحجج يسوقني إليه سوقاً، فماذا أصنع!!

والله أسأل أن يوفّقني وإياك للأخذ بأوضح الطرق وإلى أسمى الغايات «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتّبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين» وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله الطيّبين وأصحابه المنتجبين- آمين-.

محتويات الكتاب

الفصل الثالث

طبيعة النظام من حيث الحكم

الفصل الرابع

آل سعود والوحدة الاسلامية


الثمن ١٢٠٠ ريال